

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة ابوبكر بلقايد – تلمسان



كلية العلوم الانسانية و العلوم الاجتماعية
قسم التاريخ
تخصّص ثقافة شعبية، علم اللهجات

الثقافة اللغوية في لهجة الخطاب السياسي عند المرأة

حزب العمال نموذجا

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم اللهجات

تحت اشراف

د.ة نصيرة بكوش

اعداد الطالبة

دحاوي وفاء

أعضاء لجنة المناقشة

رئيسا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. شعيب مقنونيف
مشرفا و مقررا	جامعة تلمسان	أستاذة محاضرة (أ)	د.ة نصيرة بكوش
عضوا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. عبد الحق زريوح
عضوا	م.ج. مغنية	أستاذ التعليم العالي	أ.د. ابراهيم مناد
عضوا	م.ج. عين تموشنت	أستاذ محاضر (أ)	د. سغودي حبيب
عضوا	م.ج. عين تموشنت	أستاذ محاضر (أ)	د. بلي عبد القادر

السنة الجامعية 2019/2018

أهداء

أهدي هذا العمل العلمي الى كلّ من الوالدين الكريمين اللّذين بذلا الكثير من الجهد و العناء من أجلي حتى أصل الى ما أنا عليه اليوم.

الى أبي نرج الطيّب و العطاء الذي حرص سيرتي العلمية لأبلغ فيها الغاية
الى روح أمي الطيبة رحمة الله برحمته الواسعة

الى أبنائي قريبي عيني "عزلان" و "عبد الرحمان".
الى اخوتي و اخواتي و كلّ أبنائهم.

الى كلّ من ساهم في انجاز و انجاح هذه الرسالة، عن قريب أو عن بعد.
و الى كلّ من قرأ هذه الرسالة.

شكر و عرفان

إنّ هذا العمل ما هو إلا ثمرة من تكاتف جملة من الجهود، أذكر منها الجهد الذي بذله الأستاذ المشرف، الدكتور نبيرة بكوش بكلّ ما ساهمت به من منهجية و توجيه علمي بأفكارها فقد انجاز هذه الرسالة و انمائها بكلّ نجاح و التي لن تنفي كلمات الشكر بردّ و لو بعض فضائلها، فلما منّي جزيل الشكر و أسمى معاني التقدير و الاحترام.

أقدم شكري الى كلّ أعضاء المناقشة و الى كلّ من ساهم في انجاز هذا العمل العلمي.

و أخيراً أشكر كافة الأساتذة و الأصدقاء على مساندة و دعمهم.

مقدمة

مقدمة

تعتبر كل من اللغة والثقافة من الأمور المهمة التي تأخذ حيزاً كبيراً من تفكير المختصين وحتى الناس العاديين، فهما معاً يعتبران من الأمور التي تؤثر بشكل مباشر في تفكير الإنسان و هويته وشخصيته التي تبقى ملازمة له طيلة حياته.

كما أن اللغة هي الوسيلة التعبيرية الأولى التي يعبر فيها الإنسان عما يجول في خاطره، فبها يمكن للإنسان أن يشرح للآخرين وجوه التميز الثقافي لدى أمته وشعبه وبها أيضاً يحدد شخصية الفرد والجماعة وييساهم في توجيه التفكير لديهم.

وهنا يقودنا الحديث الى ضرورة تحديد العلاقة بين اللغة و الثقافة من منطلق ان هذه الأخيرة تمثل روح الأمة وعنوان هويتها. فهي ركيزة من ركائز بناء الأمم و نضوجها.

وتعتبر الثقافة المعرفة التي نستعملها من خلال الآخرين، سواءً كان تعلمنا لها بطريقة مباشرة وهنا تدخل اللغة باعتبارها الأداة الأساسية التي نستطيع من خلالها تعلم المعرفة لأنها هي من تنقل الثقافة بين الأجيال أو بطريقة غير مباشرة من خلال مراقبتنا لسلوك الآخرين.

وتؤكد النظرية الأنثروبولوجية على لسان أحد روادها، فرانز بواس، على أن اللغة المشتركة بين المجتمعات هي الناقل الأساسي لثقافتهم. وحسب هذا الطرح، لا يمكن دراسة ثقافة الشعوب من دون التعرف على لغتهم الخاصة لأن اللغة فعالة في فهم طبائع المجتمعات.

وعليه، فإن موضوع اللغة وعلاقتها بالثقافة وبالسياسة من القضايا المهمة والشيقة في الدراسة والبحث، خاصة وأن الخطاب السياسي يعتبر واحداً من الخطابات التي نالت إهتمام الدارسين لإرتباطه الشديد بالمجتمع و بثقافته . فهو يعكس صور التفاعل بين أفراد الذين يعبرون عن أنفسهم باللغة كوسيلة الإتصال الأولى بينهم.

فليس هناك إنفكاك بين الخطاب السياسي المكتوب أو المنطوق وبين المجتمع الذي ينشأ فيه .. إذ أن المفردات ودلالاتها والتراكيب والمضامين والقيم التي يتضمنها الخطاب هي من مواريث المجتمع الذي يستخدم اللغة في التعبير عن نفسه.

وما تقوم به اللّغة من أثر واضح في توجيه حياة الشعوب نحو أهداف السّلطة بما تتضمنه من دلالات وأفكار وأدوات تأثير، يستخدمها السياسيون لا ستمالة الجمهور وإقناعه وتوجيهه نحو أهدافهم .

يقول الدكتور محمود عكاشة : " توجد علاقة قويّة بين اللّغة والسياسة، فاللّغة لسان السياسة والقناة التي تحمل أفكارها وتحقق مقاصدها في الشّعب، وهي من أهمّ وسائل التأثير الجماهيري. فاللّغة بمنزلة سلطة أخرى يستخدمها أصحاب القرار لقمع الوجدان الجماهيري والهيمنة عليه ".
 إذن، اللّغة أداة حاسمة في الخطاب السياسي، من خلال ألفاظها القويّة المستعملة يتمّ استمالة الجماهير بطريقة مقنعة، حيث تدفعهم اللّغة السياسية بالشعور بالانتماء إلى فكر معيّن وتبني إيديولوجية معيّنّة والتصويت على حزب دون آخر.

وهذا من شأنه أن يسلّط الضّوء على أهميّة الاتصال السياسي الذي يعتمد على اللّغة التي تصبح خطاباً، إذ يتعامل الخطاب السياسي مع المشكلات الكبرى للحياة العامّة ويصفها ثم يدافع عنها. فأساس شعور الشّعب بالتفائل أو التشاؤم، بالرّضا أو السّخط حول سير الحياة السياسية، هو أن تكون اللّغة السياسية مسوغة بشكل ملائم. فمن دون لغة، تصبح الأفكار خرساء وصمّاء غير قادرة على توليد الفكر و إيصال المعنى. وحين تكون هناك أزمة في لغة الخطاب السياسي أو حتى الإداري، فإن التبليغ يكون ضعيفا أو يكون عكس ما يبتغيه صاحب الخطاب، وهذا هو الحال في مشهد لغة الخطاب السياسي عندنا.

فهل هناك أزمة لغة في الخطاب السياسي الجزائري ؟

وهل لغة الخطاب لدى الطبقة السياسية الجزائرية هو سبب توسيع الهوة بين المرسل والمرسل إليه؟

ما هي الوسائل التي اعتمدت عليها المرأة السياسية في الجزائر لكي توصل صوتها وفكرتها وتؤثر في الرأي العام وتفرض نفسها ؟

هل كان للخطاب السياسي الأنثوي صدى أكبر لدى الجماهير ؟ وهل هناك فرق في صياغة وقراءة الخطاب السياسي بين الرجل و المرأة ؟ هل له دور في إثبات المرأة نفسها في السّاحة السياسية ؟

ما نوع الخطاب الذي تستخدمه المرأة السياسية في الجزائر وما هي المعوقات المتعددة التي تواجهها خاصة عندما يتعلق الأمر بتوجيه خطاب سياسي للفئة الذكورية؟
هل لحزب العمال لغة مميزة ينفرد بها باعتباره حزبا تقوده امرأة؟

سوف نحاول من خلال هذه الدراسة إبراز أهمية الثقافة كعنصر فعال ومهم في المشاركة السياسية للمرأة، دون إغفال دور اللغة، بما أنها الأداة التي من خلالها يوصل السياسي أفكاره وتطلعاته.

1- أهمية الدراسة :

تسعى هذه الدراسة إلى معرفة إلى أي مدى تتّصف فاعلية المرأة في القيام بأدوارها في العمل السياسي، كما يعالج البحث الدور اللغوي والثقافي في صياغة الخطاب السياسي الأنثوي. وللبحث أهمية علمية كونه يتعلّق بالمشاركة السياسية للمرأة بشكل خاص، وكذلك بالعوامل اللغوية والثقافية التي بإمكانها أن تكون العامل القويّ لتمكين السياسي من الوصول إلى مبتغاه وإيصال رسالته.

بالإضافة إلى الدوافع والمعوقات التي يمكن أن تعرقل عمل المرأة كسياسية أو كمرشحة وكيف يمكن حلّها.

وبالتالي ينتج عن هذه الدراسة رؤى وأفكار تؤدي إلى تفعيل المشاركة السياسية للمرأة بشكل عام والمعايير التي يجب التركيز عليها لإنجاحها.

2- أهداف الدراسة :

سوف نحاول من خلال هذه الدراسة تبيان مدى أهمية ومكانة الخطاب السياسي في المجتمع وتأثيره على المواقف وعلى الاديولوجيات.

فمن أهداف الدراسة:

1/ اثراء الدراسات والبحوث التي تعنى بالخطاب السياسي بصفة عامّة والخطاب السياسي الأنثوي بصفة خاصة.

2/ تبيان العلاقة القويّة بين الثقافة واللغة باعتبارهما نقطتين جوهريتين في تحديد الخطاب السياسي بشكل عام.

3/ التركيز على الخطاب في مدلوله اللغوي وهذا يجرنا نحو الاتصال السياسي وهو ما يعني مهارات الإبلاغ والافتقار، أين يصبح المتلقي طرفاً في الخطاب.

4/ تحديد مجموعة من العلاقات، كعلاقة اللغة بالسلطة والايديولوجية والثقافة مع القاء نظرة على المشكلات المعرفية كأصل اللغة وسلطة اللغة والتميز الذي تقيمه اللسانيات بين اللغة والكلام والخطاب.

5/ تسليط الضوء على الخطاب السياسي والمشاركة السياسية للمرأة من جهة والخطاب السياسي الأنثوي من جهة أخرى.

3- أسباب إختيار هذا الموضوع :

لقد إخترت هذا الموضوع للأسباب التالية :

- أولاً : يعدّ الخطاب السياسي من أكثر الخطابات الحديثة شيوعاً وأقواها نفوذاً وأشدّها تأثيراً في توجيه حياة المجتمع السياسيّة.

- ثانياً : قلّة الدّراسات التي إعتنت بالخطاب السياسي الأنثوي في الدّاخل والخارج.

- ثالثاً : إدخال الدّراسات اللّغوية في الدّراسات السياسيّة ، وإدخال الخطاب السياسي داخل مجال الدّرس اللّغوي ، فكلاهما يشدّ من عضد الآخر ويستفيد منه.

- رابعاً : الوقوف عند كيفية توظيف اللّغة وإستخدامها في الخطابات الحيّة والمتداولة بين أفراد المجتمع لرفع المستوى اللّغوي لتلك الخطابات من ناحية ومن ناحية ثانية إبراز مدى إمكانية جعل الخطاب السياسي الأنثوي بنفس قوّة الخطاب السياسي الذّكوري ، وفي بعض الأحيان يمكن أن يكون أكثر قوّة وأكثر تأثيراً على المستمع من خلال ذلك الطّابع الأنثوي.

4- الدراسات السابقة التي عنيت بالخطاب السياسي و المشاركة السياسية للمرأة

أما بالنسبة للدراسات السابقة ا لمتناولة للموضوع ، فنجد الكثير من الأطروحات، الرسائل والدراسات التي تعنى بالخطاب السياسي والمشاركة السياسية للمرأة.

و من أبرز هذه الدّراسات :

- " الخطاب السياسي الرسمي وتأثيره على المشاركة السياسية للطالب الجامعي"، أطروحة لنيل شهادة ماجستير في علم الاجتماع السياسي ، اعداد الطالب حمّو مصطفى، السنة الجامعية 2012-

2013.

وعالجت الدراسة اشكالية تأثير الخطاب السياسي على المشاركة السياسية للطالب الجامعي، وركزت الدراسة بشكل كبير على المشاركة في الانتخابات أين يكون الخطاب السياسي موجّه لفئات محدّدة.

دراسات أخرى عنيت بالمجال السياسي و الخطاب السياسي يمكن اختصارها فيما يلي:
 * " المشاركة السياسية للمرأة الجزائرية في المجتمع المحلي، (وهران نموذجاً)"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، اعداد الطالبة حمداد صبيحة، السنة الجامعية 2015-2016.
 تطرقت الباحثة في هذه الأطروحة لإشكالية حقيقة ولوج المرأة الجزائرية لعالم السياسة ومدى مساهمة الدولة في إرساء دعائم العمل السياسي للمرأة ومنه مشاركتها الفعلية والفعالة في مجال كان إلى حد قريب حكرا على الرجال فقط.

* "ترجمة المسكوت عنه في الخطاب السياسي"، بحث لنيل شهادة الماجستير في الترجمة، اعداد الطالبة آيت عبد الله حياة، جامعة وهران، السنة الجامعية 2014-2015.
 * "لغة الخطاب السياسي، دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال"، الدكتور محمود عكاشة.

- "الخطاب السياسي الرسمي والمشاركة السياسية للمرأة في الجزائر(الطالبة الجامعية نموذجاً)، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه، اعداد الطالبة بقدوري حورية من جامعة وهران، تخصص علم الاجتماع السياسي، السنة الجامعية 2018-2019.

- "اللغة العربية و سؤال التخطيط اللغوي في الجزائر"، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص لسانيات، اعداد الطالبة معافي خيرة، سنة 2015-2016.

- "لغة الخطاب السياسي، المشكلة والحل"، الدكتور وليد عبد الحي، جامعة اليرموك، المحاضرة الخامسة عشرة، 2013/11/21.

- " تحليل الخطاب السياسي العربي، الاستبداد و الهيمنة و غياب الرؤية الشاملة"، الأستاذ عابد الأنصاري، دار الكتاب الحديث، 2009.

-Norman Fairclough, « Discourse and Text », linguistics and international analysis within discourse analysis, Discourse and society, Vol.3, N°2, 1992.

- Norman Fairclough, "Language and power", London: Longman, 1990.

-Colin B.Grant"Destabilizing social communication theory, culture and society", Vol.20.6, 2003.

-Louis Jean Calvet, " La guerre des langues et les politiques linguistique », hachette,1999, ترجمة الدكتور حسن خمزة، المظمة العربية للترجمة بدعم من مؤسسة مخمد بن راشد آل مكتوم.

5- اشكالية الدراسة:

لاقى موضوع المشاركة السياسية للمرأة اهتماماً كبيراً خلال السنوات الأخيرة من قبل الباحثين والدارسين والمهتمين بواقع المرأة العربية وأهمية دورها في النشاطات والمشاركات السياسية. والمؤمنين بأن للمرأة دور سياسي حتمي وفاعل في المجتمعات العربية، مصرّون على دعم هذه المشاركة من خلال تشجيع الإصلاحات التي من شأنها رفع العقبات التي تعوق المشاركة الفعلية للمرأة في المجال السياسي.

والجزائر من الدول التي عاشت تحولات عميقة في الجانب السياسي. فمنذ 1989، ومن أجل تحقيق قفزة نوعية في مسيرة بناء الدولة الجزائرية ومؤسساتها، أعلنت عن انفتاح صريح على التعددية الحزبية وبالتالي بروز تشكيلات سياسية تسعى إلى التموقع الإستراتيجي في الساحة السياسية، وهي مكونة من عدة تيارات وطنية متنوعة ملونة بألوان الديمقراطية، العلمانية، الوطنية، الإسلامية واليسارية وتعكس التنوع الفكري والإيديولوجي والثقافي الذي تزخر به الجزائر.

في هذا العراك برز بشكل واضح دور المرأة كونها تشكل نصف المجتمع وقوة لا يستهان بها في الوعاء الانتخابي. فلقد ساهمت الدولة الجزائرية بشكل إيجابي بالدفع بالمرأة وتحفيزها من خلال مجموعة من القوانين في الدستور، تضمن لها المشاركة الكريمة بعيداً عن أي تمييز عرقي أو جنسي أو لغوي وتحصنها من الاحتقار والتهميش.

فتم إشراكها في المشاورات والأخذ برأيها وتشجيعها على الانخراط في العمل السياسي وتعزيز المساحة الممنوحة لها لتقلد المناصب القيادية ودعم الدور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والحضاري للمرأة المتعلمة، وتوعية المرأة بحقوقها الشرعية القانونية حماية لها وإضفاء لمسة إنسانية ونعومة على النقاشات والحد من الصراعات العنيفة والخسنة في التعامل مع قضايا المواطنين.

و ضمن هذا الواقع نطرح إشكالية موضوعنا الموسوم بـ " الثقافة اللغوية في لهجة الخطاب السياسي عند المرأة" (حزب العمال نموذجاً).

وهنا نسلط الضوء على أهمية الاتصال السياسي الذي يعتمد على اللغة التي تصبح خطاباً باعتبارها عاملاً أساسياً في بناء الخطاب السياسي.

فمن البديهي أن توجد فوارق طبيعية للتواصل بين الرجل والمرأة، وهذه ليست مشكلة بحد ذاتها، لأنها الطبيعة التي خلق الله عليها كلاً من الذكر والأنثى، ولكن تضارب الأفكار من جهة وعدم القبول بوجود الرأي الآخر والرضوخ إلى المناقشة والتحليل من جهة أخرى يؤدي بالضرورة إلى بروز تضاريس وعقبات تصعب على المرأة إيصال أفكارها خاصة وأنها أتت بعد الرجل في هذا الميدان.

و لكن تنوع أشكال المشاركة السياسية للمرأة اتسع بشكل ضمن لها القدرة على نقد الواقع والتعبير الحرّ عن تصورهما للمجتمع الذي تشكل نصفه، بحيث لا تكون المشاركة المرجوة هي مجرد الحصول على مقاعد ومناصب تعيينية فحسب ولكن لتشمل إمكانياتها الفكرية في وضع خطاب تتناول من خلاله قضاياها وتدخلاتها في مفاصل الدولة المختلفة باعتبار العمل السياسي للمرأة ركيزة من ركائز الديمقراطية وشرطا من شروط المواطنة الفعّالة ومؤشرا من مؤشرات التنمية البشرية وتتويجا لما تتبوأه المرأة من أدوار في الحياة العامة.

ولأنّ مستويات اللغة عندنا في الجزائر متفرّعة وجميع التعبيرات، أي من الفصحى إلى التعبير باللّغة الأمازيغية أو الفرنسية أو الدارجة فهذا يدفعنا إلى طرح السؤال حول دور الخطاب السياسي في إثبات المرأة نفسها على الساحة السياسية وهل للغة تأثير في الخطاب السياسي الأنثوي؟ ما نوع الخطاب الذي تستخدمه المرأة السياسية في الجزائر لكي توصل فكرتها وتؤثر في الرأي العام؟ وهل لحزب العمال لغة مميزة ينفرد بها باعتباره حزبا تقوده امرأة؟

فمن خلال السعي للإجابة على هذه الأسئلة نكون قد تناولنا موضوع الثقافة اللغوية في الخطاب السياسي عند المرأة بكثير من التوضيح والنقاش، كما نكون بحاجة إلى فرضيات تحدّد اطر بحثنا.

6- فرضيات الدراسة :

تسعى هذه الدراسة إلى معرفة إلى أي مدى تلعب اللغة دوراً قوياً وإيجابياً في نجاح العمل السياسي مع تناول بعض سمات الوضع اللغوي وتأثيره في العملية التواصلية ، وفي سبيل التحقق من تساؤلات الدراسة تمّ طرح عدة فرضيات :

1- مستويات التفاوت بين الثقافات واللغات المستعملة من أجل صياغة الخطاب السياسي.

2- مسألة تقبل المرأة في المجال السياسي بالعودة إلى مكونات المجتمع العربي بصفة عامة والمجتمع الجزائري بصفة خاصة.

3- هناك علاقة ارتباط وثيق بين التمكين السياسي للمرأة وبين كيفية إلقاءها للخطاب السياسي واللغة المختارة.

كما أن هناك علاقة ارتباط عكسية بين تزايد المعوقات التي يمكن أن تواجهها المرأة أثناء القيام بأعمالها في المجال السياسي ، ومعالجة المشكلات والظواهر السلبية التي تخص أفراد المجتمع. ومن خلال هذا ، نحاول إبراز مدى تجاوز الخطاب السياسي البنية السطحية إلى دراسة الظروف الخارجية التي أدت إلى إنتاجه ، والمقصود هنا ، إذ أنه يهتم بالفكرة والمضمون ويهدف إلى التأثير والإقناع والتوجيه والضغظ على المتلقي ، وذلك من خلال لغة مباشرة واقعية وتركيب بسيطة تعبّر عن النفس وإنفعالاتها وتؤثر بذلك في سلوك الآخرين من خلال أدوات الإقناع المناسبة.

7- المنهجية والتقنيات المتبعة:

يعرف المنهج بصورة عامة ، بأنه مجموعة من الخطوات الهادفة من أجل الوصول بأقل تكلفة إلى نتيجة محدودة، (Raymond Bourdon, 1976.p31.32).

من هذا التعريف العام للمنهج، فإننا ونظراً لخصوصية موضوعنا، الذي ينتمي إلى الثقافة الشعبية، تخصص علم اللّهجات، سنختار المنهج القائم على التحقيقات الكيفية، القائمة بدورها على الفهم والتفسير من جهة، وعلى تحليل العلاقات بين المتغيرات من جهة أخرى. كما تقوم على ملاحظة مجموعة من العوامل الاجتماعية والثقافية القابلة للمقارنة وهي العوامل التي تكون مجسدة من خلال الأفراد والمجموعات.

تندرج هذه الدراسة أيضاً ضمن الدراسات الوصفية التحليلية ، التي تهدف إلى دراسة واقع الأحداث والظواهر، وتحاول تحليلها وتفسيرها من أجل تصحيح هذا الواقع وإجراء تعديلات فيه أو

استكمالها وتطويره. حيث يرى "أحمد بن مرسلي" أن البحوث الوصفية هي "الطريقة العلمية التي تمكن الباحث من التعرف على الظاهرة المدروسة، من حيث العوامل المكونة لها، والعلاقات السائدة فيها، كما هي في الحيز الواقعي ضمن ظروفها الطبيعية غير المصطنعة، من خلال جمع المعلومات والبيانات المحققة لذلك"¹.

ونظرا لكوننا بصدد تشخيص الواقع اللغوي والثقافي وأثره على الخطاب السياسي، ارتأيت أن تكون الدراسة وصفية تحليلية حيث تقوم مثل هذه الدراسات على وصف الحالة الراهنة مع التطرق الى الجانب التاريخي والتطورات المستقبلية.

وتستهدف الدراسة الوصفية تقرير خصائص ظاهرة معينة أو موقف تغلب عليه صفة التجديد، وتعتمد على جمع الحقائق وتفسيرها واستخلاص دلالاتها، أو تصل عن طريق ذلك إلى إصدار تعميمات بشأن الموقف أو الظاهرة محل الدراسة.

- **تقنيات البحث**: تعتبر عملية جمع البيانات من أهم المراحل في البحث العلمي فعليها تتوقف دقة البيانات المجمعة والمستخدمه وصحة النتائج الإحصائية وكفاءة الاستنتاجات العلمية في التحليل. ويمكن إجراء الدراسة الميدانية بعدة أساليب منها: الملاحظة أو المقابلة.

الملاحظة هي الطريقة التي ينتهجها الباحث في الحالات التي تزيد فيها مقاومة الأفراد بما يوجه إليهم من أسئلة، أو عندما لا يتعاون المبحوثون مع الباحث اثناء المقابلة بسبب الحرج في ذكر بعض الحقائق، كما أن تكاليفها أقل بكثير عن غيرها من الوسائل.

وتتخذ الملاحظة عدة أشكال، بدءاً من الملاحظة البسيطة، وهي الملاحظة العفوية غير المقصودة، التي يقوم بها الباحث في ظروف الحياة العادية دون أن يحضر نفسه لذلك أو يخطط لها مسبقاً، والملاحظة المقصودة من أجل البحث عن معلومات معينة والإجابة عن أسئلة تشغل الباحث.

فالملاحظة العلمية إذن هي نشاط بحثي منظم، يتوفر فيها للباحث القدرة على تنظيم بحثه، وهذا ما قمنا به أثناء اعداد بحثنا.

أمّا في المقابلة، قمنا بزيارات استكشافية عديدة بهدف جمع المعلومات والمعطيات حول الموضوع محلّ الدراسة عن طريق المقابلة التي تعدّ تقنية حيّة نظراً لمميزاتها المتعددة بما فيها حضور

¹ - د. أحمد بن مرسلي، قسم الاعلام و الاتصال، كلية الاداب و اللغات الجزائر " مناهج البحث العلمي في علوم الاعلام و الاتصال"، الطبعة الرابعة، صادر عن الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية.

لقاءات و تجمّعات ألفت خلالها زعيمة حزب العمّال خطاباتها السياسية لعدّة مناسبات وكان الغرض من هذه المقابلات هو جمع المعلومات التي بإمكانها تحليل الجانب اللّغوي من الخطاب.

- مجتمع البحث :

في هذه الدراسة اعتمدنا على مجموعة من الوثائق التي رافقتنا طوال انجازنا كالكاتب المطبوعة، الدراسات الرسمية، الرسائل، المقالات، الإحصاءات، الوثائق الرسمية والنصوص القانونية. ويتكوّن مجتمع البحث من عيّنة ممثلة في مجموعة من النساء تنبؤاً أن مناصب هامة في الحياة السياسية، كرئيسات أحزاب، منتخبات في المجالس المحليّة والوطنية، وأخرى فاعلات وناشطات تقمن بمهام مختلفة في الهيئات السياسية و مؤسّسات المجتمع المدني و مناضلات في حزب العمّال.

8- الخطة المتبعة في الدراسة :

تشتمل هذه الدراسة على خمسة فصول :

الفصل الأول : هو مدخل نظري يتضمّن الكلام عن الثقافة كأساس نشأة أيّ مجتمع ومدى تأثيرها في التوجّه الذي يتّخذه أفراد ذلك المجتمع من خلال الأعراف والتقاليد وأسلوب العيش.

الفصل الثاني : يتحدّث عن اللّغة التي تعتبر إمتداداً للثقافة، وكيف تترجم اللّغة تصوّر وتوجّه المجتمعات من خلال النظرة الثقافية لنشأتها، وكيف تعتبر اللّغة إنعكاساً لثقافة الشعوب.

الفصل الثالث : في الفصل الثالث نربط بين اللّغة ودورها في السياسة، وكيف أنّ اللّغة التي تترجم ثقافة شعب ما، هي الوسيلة التي يستخدمها السياسيون من أجل التأثير في مستمعهم، كلّ على حسب ثقافته ووعيه.

الفصل الرابع : في هذا الفصل نتحدّث عن الخطاب السياسي في الجزائر، بما أنّ دراستنا تتمحور حوله. و نحاول في هذا الفصل إظهار المراحل المختلفة التي مرّ بها الخطاب السياسي في الجزائر بعد التعددية الحزبية، وكيف أنّ الخطاب السياسي أصبح إنعكاساً لإيديولوجيات وتوجّهات وقناعات مختلفة بما فيها النظرة الأنثوية أو نظرة المرأة السياسية لسياسة الدولة.

الفصل الخامس : وفي هذا الفصل الأخير نتطرّق إلى المشاركة السياسية للمرأة وعن تجربتها في هذا المجال الذي اعتبر حكرّاً على الرجال.

وبما أنّ المرأة هي نصف المجتمع، فيجب أن تشكّل رقماً صعباً في المعادلة السياسية وتفرض وجودها بالتميّز والإنفراد، وهنا نسلط الضوء على أهميّة الإتصال السياسي من خلال الخطاب، ونركّز على اللّغة كحلقة مهمّة في الخطاب السياسي الأثنوي ونحاول إظهار ما إذا إستطاعت المرأة أن تنفرد بلغة سياسية خاصّة بها، و هل هناك عوائق لبناء خطاب سياسي خاصّ بالمرأة. ولقد إعتمدت في الدراسة على حزب العمال كنموذج لأنه أوّل حزب ترأسه امرأة في الجزائر، كما أنّها أوّل امرأة عربية وجزائرية دخلت غمار الرئاسيات. وتطرّقت لعينة من الخطابات التي إرتبطت بأحداث مختلفة كالرئاسيات والمحليّات والظروف التي عاشتها الدولة في مرحلة مضت. كما حاولت التركيز على مدى تأثير ثقافة المتلقّي في نوعية الخطاب السياسي خاصّة إذا كان الملقّي امرأة، فهل تتغيّر اللّغة ونبرة الصّوت أم لا ؟ وما هو الأقوى تأثيراً و تفاعلاً ؟ إحتفاظ المرأة بكيانها كإمرأة أثناء الإلقاء وإختيار الكلمات، أم أنّها تختار نفس كلمات وحركات الخطاب السياسي الذكوري ؟ وأخيراً، نختم بخلاصة نحاول من خلالها القاء الضوء على النّتائج التي أسفرت عليها الدراسة.

دحاوي وفاء، 2019/05/01

الفصل الأول

متلازمة اللّغة و الثقافة

فهرس الفصل الأول

المبحث الأول : لمحة تاريخية عن مفهوم الثقافة و اللغة : 02.....

المبحث الثاني : مفهوم الثقافة : 03.....

المبحث الثالث : طبيعة الثقافة : 05.....

المطلب الأول : السمة الثقافية : 06.....

المطلب الثاني : خصائص الثقافة : 07.....

المطلب الثالث : جوانب الثقافة : 11.....

المطلب الرابع : عناصر الثقافة : 11.....

المطلب الخامس : فوائد الثقافة : 13.....

المطلب السادس : الثقافة واللّغة : 20.....

خلاصة 35.....

المبحث الأول : لمحة تاريخية عن مفهوم الثقافة و اللغة :

عندما ظهر مفهوم الثقافة لأول مرة في أوروبا في القرن الثامن عشر والتاسع عشر، كان يشير فيما يشير إليه إلى عملية الإستصلاح أو تحسين المستوى، كما هو الحال في عملية الزراعة أو البستنة. فوفقا لروهل-أميني (1989) : " الثقافة لها معان متعددة. الثقافة تعني الزراعة"¹

أما في القرن التاسع عشر، أصبح يشير بصورة واضحة إلى تحسين أو تعديل المهارات الفردية للإنسان، لا سيما من خلال التعليم و التربية، ومن ثم إلى تحقيق قدر من التنمية العقلية والروحية للإنسان والتوصل إلى رخاء قومي وقيم عليا.

إلى أن جاء منتصف القرن التاسع عشر وقام بعض العلماء بإستخدام مصطلح " الثقافة " للإشارة إلى قدرة الإنسان البشرية على مستوى العالم، كما رأى ت. س. ت. مهادي و س. م. جفاري 'الثقافة واللغة': " بشكل عام، من منظور اجتماعي، الثقافة هي مجموع الأفكار الموروثة والفطرية

والمواقف والمعتقدات والقيم والمعرفة، التي تضم أو تشكل الأسس المشتركة للعمل الاجتماعي"² وبحلول القرن العشرين، برز مصطلح " الثقافة " للعيان، ليصبح مفهوما أساسيا في علم

الأنثروبولوجيا ليشمل بذلك كل الظواهر البشرية التي لا تعدّ كنتائج لعلم الوراثة البشرية بصفة أساسية. وعلى وجه التحديد، فإن مصطلح الثقافة قد يشمل تفسيري في الأنثروبولوجيا الأمريكية:

التفسير الأول : نبوغ القدرة الإنسانية لحد يجعلها تصنّف وتبيّن الخبرات و التجارب بطريقة رمزية، ومن ثمّ التصرف على هذا الأساس بطريقة إبداعية خلاقية.

التفسير الثاني : فيشير إلى الطرق المتباينة للعديد من الناس الذين يعيشون في أرجاء مختلفة من العالم والتي توضح وتصنف بدورها خبراتهم، والتي تؤثر بشكل كبير على تميز تصرفاتهم بالإبداع في الوقت ذاته.

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية، صار لهذا المفهوم، قدر من الأهمية و لكن بمعاني مختلفة بعض الشيء في بعض التخصصات الأخرى مثل علم الاجتماع والأبحاث الثقافية وعلم النفس

¹ - روهل أميني (1989) - "مخطط الثقافة" ص.15
² - ت.س.ت. مهادي و س.م. جفاري 'الثقافة واللغة' ص.231

التنظيمي، و أخيرا الأبحاث المتعلقة بعلم الإدارة. ولقد تطور الإختراع الثقافي ليشمل أي إبتكار جديد، مفيد لمجموعة من الناس ثم التعبير عنه في سلوكهم بدون أي وجود مادي له.

المبحث الثاني : مفهوم الثقافة :

بالنسبة لرزقينا باروفون 'الثقافة وعناصرها' : "كل الناس لديهم ثقافة ولا يمكن لأي فرد العيش بدون ثقافة. إن ثقافتنا هي التي تمكننا من اجتياز اليوم لأننا والأشخـاص الآخرين الذين نواجههم يعلقون، إلى حد ما، نفس المعاني لنفس الأشياء"¹

كما يرى ت.س.ت. مهادي و س.م. جفاري 'الثقافة واللغة'، في مدى تشعب مفهوم الثقافة: "اليوم ، في كل مجال في العلوم الإنسانية ، كل بحث يتطلب نظرة عامة للثقافة، وهذا يستخدم في علم الآثار، واللغويات، والتاريخ، وعلم النفس، وعلم الاجتماع وغيرها"² و يهتم أحد فروع علم النفس بدراسة الثقافات المختلفة، ويتخذها محورا لإهتمامه، وهذا هو علم الأثروبولوجيا الثقافية. Cultural Anthropologie ولما كانت السمة الغالبة لهذا العلم تؤكد الإطار الثقافي كما تطور من الماضي إلى الحاضر، فإن فرعاً جديداً قد ظهر أخيراً، هو علم ثقافات المستقبل Cultural Futurs ليضيف بعداً جديداً لأهمية هذا المفهوم في الحياة العملية حاضراً ومستقبلاً.

ويعتبر إدوارد تيلور E-Tailor، أول من وضع تعريفاً للثقافة، في كتابه 'الثقافة البدائية'، أن : "الثقافة في تعريف معقد تشتمل على المعتقدات والفنون والمهارات والأخلاق والقوانين والتقاليد والسلوكيات التي يحصل عليها الفرد، كعضو في مجتمع، من مجتمعه الخاص"³. و قد عرفها كيلباتريك Kilpatrick، بأنها "كل ما صنعه عقل الإنسان من أشياء ومظاهر إجتماعية في بيئته الإجتماعية"، أي كل ما اخترعه واكتشفه الإنسان وكان له دور في مجتمعه"⁴. وقدّم محمد الهادي عفيفي تعريفاً شاملاً للثقافة في نظرة تعني : " كل ما صنعه الإنسان في بيئته خلال تاريخه الطويل في مجتمع معين، وتشمل اللغة والعادات والقيم وآداب السلوك العام

1 - رزقينا باروفون 'الثقافة وعناصرها' academia.edu

2 - ت.س.ت. مهادي و س.م. جفاري 'الثقافة واللغة' ص231

3 - إدوارد تيلور- 'الثقافة البدائية' ص20

4 - و.ه. كيلباتريك-نشر من قبل بروسبيكتس-ص85-470

والأدوات والمعرفة والمستويات الإجتماعية والأنظمة الإجتماعية والإقتصادية والسياسية والتعليمية والقضائية. فهي تمثل التعبير الأصلي عن الخصوصية التاريخية لأمة من الأمم، وعن نظرة هذه الأمة إلى الكون والحياة والموت والإنسان وقدراته وما ينبغي أن يعمل، وما لا ينبغي أن يعمل أو يأمل".¹

وتعرف الثقافة بمفهومها الشامل على أنها نظام عام مفتوح (OpenMacro-System)، ويضم مجموعة من الأنظمة الفرعية التي تشمل تكنولوجيا الحياة الحاضرة والمتوقعة. ويدخل في ذلك الأنظمة المادية وغير المادية الناتجة عن تفاعل الإنسان مع غيره من بني جنسه ومع البيئة المحيطة به على مدى زمني يمتد من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل.²

ومن خلال هذا التعريف يتبين لنا ما يلي : أنه ينظر إلى الثقافة على أنها نظام عام مفتوح أو نظام كبير، و معنى ذلك أنّ الثقافة تتميز بالوحدة و بالتشكيلة و بالتكامل في نفس الوقت كما يعني أنّها مفتوحة لتأثيرات الثقافات الأخرى، كما أنّها تؤثر في غيرها من الثقافات و في أحداث التغيير الثقافي خاصة في عصر الوسائل و الإتصال المتقدّم الذي نعيشه.

إنّ الثقافة كنظام يضمّ تكنولوجيا الحياة، يؤكّد على قدرة الإنسان على الإبتكار و الخلق، فالثقافة من صنع الإنسان وحده، و هي عنصر يميّزه عن سائر الكائنات. و تشير كلمة تكنولوجيا إلى الوسائل و إلى التطبيق، كما تشير أيضا إلى الأفكار الجديدة.

وعلى ذلك تقرر أنّ مفهوم الثقافة يجمع بين الفكر و التطبيق و الوسيلة، و ما حياة الناس إلا فكرة يتبعها تطبيق. والوسيط بين الفكرة و التطبيق، إنّما هو الوسيلة والأدوات والإمكانات المتاحة و الفرص الممكنة، و ينصهر ذلك كلّه في علاقات متبادلة تؤدّي إلى مزيد من الأفكار و التطوير في الوسائل و التجديد في التطبيق و هكذا تتطور الثقافة.

إن فكرة التفاعل في هذا التعريف، تشير إلى إيجابية العنصر البشري و قدرته على التأثير في قوى البيئة المحيطة، فليس هو بالمستجيب المتكيف مع ظروف البيئة المحيطة بالمعنى الضيق للتكيف، وإنما حياة الإنسان نتاج التفاعل بالتأثير والتأثر مع غيره من الكائنات والماديات والجماعات.

¹ - محمد الهادي عفيفي، في أصول التربية، الأصول الثقافية للتربية، القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية، 1983.

² - د. طارق عبد الرؤوف عامر- "أصول التربية" (الاجتماعية-الثقافية-الاقتصادية) 2008 ص.70

يترتب على هذه النظرية لمفهوم الثقافة إتساع محتواها ليشمل كل أنشطة الإنسان المنظمة. فالنظام السياسي، جزء من الثقافة يميز المجتمع عن غيره من المجتمعات هو بذلك تكنولوجيا تنظيم القوة والسلطة و الإدارة و الحكم في مجتمع معين. كما أن النظام الإقتصادي جزء من الثقافة بإعتباره تكنولوجيا تنظيم وسائل الإنتاج وأساليب توزيع الثروة وما يستتبع ذلك من إنتاج وإستهلاك وإدخار¹. كما أن النظام التعليمي هو جزء من الثقافة بإعتباره تكنولوجيا إعداد البشر. ويؤكد هذا المفهوم، قدرة الإنسان على إعادة حياته بصورة أفضل ونحو تحقيق أهدافه. ومن هنا كان دور الإنسان كصانع للتغيير، ويصبح دور التربية بالغ الأهمية كوسيط للتغيير الثقافي وإعداد الإنسان عمليا وفنيا للقيام بهذا الدور. كما يؤكد هذا المفهوم على التأثير المتبادل بين الأنظمة الفرعية للثقافة دون سيطرة أحدهما على الآخر، أو تفوق عنصر على آخر في تشكيل الثقافة على خلاف ما نادى به المدرسة المادية مثلا من تفوق العنصر الإقتصادي في تشكيل الثقافة على أنه العامل المحدد الأساسي. و يعتبر تعريف "نبيل علي" من أحدث تعريفات الثقافة و أهمها، نظرا لإرتباط التعريف بعصر المعلومات وسماته. فقد قدم الثقافة " كنسق اجتماعي قوامه القيم و المعتقدات و المعارف و العادات و الفنون و الممارسات الإجتماعية و الأنماط المعيشية وأيضا كإيديولوجية تتضمن معيار الحكم على الأمور".

وترتبط الثقافة عنده بتكنولوجيا المعلومات، حيث أن تلك التكنولوجيا تعتبر منظارا نرى العالم من خلاله عبر شاشات التلفزيون وشاشات أجهزة الكمبيوتر، ولوحات التحكم و نماذج المحاكاة، علاوة على أنها أداة فعالة للحكم بفضل وسائلها الكمية والإحصائية في قياس الرأي وخلافه².

المبحث الثالث : طبيعة الثقافة :

عرفنا كيف أن الثقافة نتاج صنع الإنسان الذي تجمع بصورة معينة مع بني جنسه و عرفنا أنا الإنسان إذا وجد، نشأ المجتمع لأنه لا يمكنه أن يعيش منفردا، وإذا جمع الإنسان أنتج ثقافة معينة تميز كل مجتمع عن غيره من المجتمعات الأخرى. ولذا كانت الثقافة أحد الشروط أو الخصائص التي تميز المجتمعات البشرية.

¹ - د. طارق عبد الرؤوف عامر- "أصول التربية" (الاجتماعية-الثقافية-الاقتصادية)-2008 ص.71
² - د. طارق عبد الرؤوف عامر- "أصول التربية" (الاجتماعية-الثقافية-الاقتصادية)-2008 ص.72

وإشترك الأفراد في ثقافة واحدة يكسبهم شعورا بالوحدة و التماسك و يسهل عليهم مواجهة حياتهم و التغلب على مشكلاتهم، و بهذا يتحقق لهم التكيف السوي و التعاون المنتج.

و هذا يدل على أن الثقافة هامة أيضا للفرد، كما أنها هامة للمجتمع فهي تمد الفرد بأساليب مألوفة لمواجهة مواقف الحياة و تقدم له تفسيرات للعديد من المشكلات يحدد تبادلها سلوكه و اتجاهاته نحو هذه المشكلات أو المواقف والأشياء و الأشخاص المرتبطين بها وفي نفس الوقت يمكننا التنبؤ بسلوك الأفراد في المواقف المختلفة إلى حد كبير وذلك بناء على النمط السائد بين أفراد الجماعة و الذي تحدده طبيعة ثقافتهم، لكننا لا يمكن أن نتوقع أن يحمل كل فرد في المجتمع كل عناصر الثقافة المجتمعة لدى مجتمعه على مر العصور أو ينقلها إلى غيره، ولا نستطيع أن نجزم أنه يشترك في جميع عناصر الثقافة المميزة لمجتمعه الذي يعيش فيه فهو فقط يشترك في بعض خصائص الثقافة على أساس ما يشغله من مكانة إجتماعية (social status) وما يؤديه من أدوار إجتماعية (social rôles) تربط بهذه المكانة، و يجب أن نشير إلى أن مفهوم المكانة هنا، لا يعني المركز المرموق نتيجة الجهد و النجاح بل قد تكون هذه المكانة مفروضة (achieved status) كالمهنة مثلا وتشتمل طبيعة الثقافة على العناصر التالية: السمة الثقافية، النمط الثقافي، (النمط الثقافي القومي، النمط الثقافي العام).

المطلب الأول : السمة الثقافية :

وهي أبسط عناصر الثقافة هناك سمات مادية و أخرى غير مادية والحد الفاصل بينهما وهمي فهما يتحدان ليكونا كلا معقدا. فمعظم السمات المادية تتصل بها عادات أو وسائل أو سلوك¹.

النمط الثقافي :

تتصل السمات بعضها مع بعض، عادة حول ميول رئيسة، تصبح نقطا محورية للنشاط. وهذا الميل أو الاهتمام المحوري هو القوة الدافعة التي تثير نشاط الإنسان و يطلق على هذه المجموعة من السمات المتصلة التي تعمل بطريقة وظيفية إسم النمط الثقافي، و يمكن أن يعرف بأنه عدد من السمات الثقافية التي جمعت حول مصدر من مصادر الإهتمام الرئيسية.

¹ - د. طارق عبد الرؤوف عامر- "أصول التربية" (الاجتماعية-الثقافية-الاقتصادية)-2008 ص74

و يتضمن النمط الثقافي إنتظاما في السلوك، لا يمكن أن يحدث إذا كان شخص يعمل بطريقة عشوائية و أسلوب فردي.

ولكل ثقافة نمط أو مجموعة من الأنماط تفرضها على الفرد والجماعة وبذلك تتأكد في حدود معقولة من أن هناك حد لوحدة السلوك.

والأنماط الثقافية أمور غير محسوسة تقوم فقط في عقول الأفراد الذين يكونون جماعة ما. ولا يمكن رؤية هذه الأنماط إلا إذا إتخذت لها شكلا في سلوك الأفراد، حينما يعملون في نشاط منتظم تحت تأثير مؤثر عام، وتختلف الأنماط بعضها عن البعض الآخر في درجة الإقتباس وفي الوسط الإجتماعي الذي يحدث ذلك الإقتباس.

النمط الثقافي القومي :

وهو النمط الثقافي الذي يتكون من كل الأنماط الفردية من أمة ما، وتختلف الثقافات بسبب وجود الإختلاف في الأنماط المكونة لها وبسبب إختلاف العلاقات بين هذه الأنماط. كما أن هناك وحدة تماسك بين الأنماط الفردية المكونة للنمط القومي ويضمن الإستمرار التاريخي لنمط معين لدرجة معينة من الوحدة.

النمط الثقافي العام :

ويشمل عناصر موجودة في كل الأنماط الثقافية العامة وهو شاهد على الوحدة الأساسية للإنسان، وحدة مشكلات الحياة الأساسية التي تواجهه، بصرف النظر على العصور والبيئة التي يعيش فيها. بحسب إينا كورين براون في "فهم الثقافات الأخرى" : "ه و العلاقة مع العناصر الأخرى للثقافة، والجزء الذي يلعبه في تكيف الناس مع بيئتهم أو مع بعضهم البعض، لا يوجد عادة "غريبة" للأشخاص الذين يمارسونها"¹

المطلب الثاني : خصائص الثقافة :

على الرغم مما يظهر بين الثقافات من إختلاف وتباين، فهناك بعض الخصائص العامة لجميع الثقافات، هذه الخصائص التي تستند إلى المفهوم العام الشامل للثقافة، ومن هذه الخصائص العامة

¹ - إينا كورين براون - "فهم الثقافات الأخرى" ص 140

أولاً - الثقافة ذات خاصية مادية و معنوية معا :

ثقافة المجتمع تحدد نمط و أسلوب الحياة في هذا المجتمع والعناصر المادية هي عبارة عن تلك العناصر التي أتت نتيجة للجهد الإنساني العقلي و الفكري وفي نفس الوقت، لا تكتسب الثقافة وظيفتها ومعناها، إلا بما يحيطها من معاني وأفكار وإتجاهات ومعارف وعادات. هذا فضلا عن أن العناصر المادية تؤثر بدورها في مفاهيم الأفراد وقيمهم وإتجاهاتهم وعلاقاتهم. أي أن الإحالة متبادلة بين العناصر المادية واللامادية داخل البناء الثقافي، ومن ثم فإن البناء الثقافي يشمل العنصرين معا في آن واحد. وفقا لغانيش شيرمون - 'تقييمات نطاقات الكفاءة' تعتقد كريستينا دي روسي أنه : "تشمل الثقافة الدين والطعام وما نرتديه، وكيف نرتديه، ولغتنا، وزواجنا، وموسيقانا، وما نعتقد أنه صواب أو خطأ، وكيف نجلس على المائدة، وكيف نحبي الزوار، وكيف نتصرف مع أحبائهم ومليون شيء آخر"¹

ثانياً - الثقافة عضوية :

إذا كانت الثقافة تشتمل على العناصر المادية واللامادية معا، فإن كلا من العناصر المادية واللامادية يرتبط بعضها ببعض إرتباطا عضويا، فيؤثر كل عضو في غيره من العناصر، كما يتأثر به. فالنظام الإقتصادي مثلا يتأثر بالنظام السياسي والعكس صحيح. كما أن النظام التعليمي يتأثر بالنظامين معا ويؤثر فيهما. ومن جهة ثانية، فإن العادات والتقاليد تؤثر في نظام الأسرة من حيث طريقة الزواج و العلاقة بين الكبير و الصغير. وإذا تغير أي عنصر من العناصر، فسيستبعه تغير حتمي في النظم الأخرى. أضف إلى هذا أن التغير في أساليب المعيشة يتبعه تغييرا في القيم والعادات ومن ثم، فإن عناصر الثقافة يرتبط بعضها ببعض إرتباطا عضويا، يتسم هذا الإرتباط بالديناميكية، وليس بالإيستاتيكية.²

ثالثاً - الثقافة مكتسبة : الثقافة ليست فطرية في الإنسان، بل يتعلمها الأفراد و ينقلوها

من جيل إلى جيل. ويخطئ من يذهب إعتبار الثقافة فطرية في الإنسان بل يكتسبها منذ

¹ - غانيش شيرمون - 'تقييمات نطاقات الكفاءة' -ص.75 - كريستينا دي روسي 'الثقافة الامريكية'
² - د. طارق عبد الرؤوف عامر- "أصول التربية" (الاجتماعية-الثقافية-الاقتصادية)-2008 ص.76

سنواته الأولى حتى يصبح جزءا من شخصيته، كما يصبح هو عنصرا من عناصر هذه الثقافة.

رابعا - الثقافة تراكمية :

تتميز بعض عناصر الثقافة بالتراكم. ذلك أن الإنسان يبدأ دائما من حيث إنتهت الأجيال الأخرى وما تركته من تراث. و بتراكم الجوانب المختلفة، تتطور بعض الجوانب في الثقافة. وتختلف درجة التراكم والتطور من عنصر إلى آخر، فمثلا تطور اللغة التراكمي يأخذ طريقا غير تراكم القيم وغير تراكم التطور العلمي والتكنولوجي.

ومعنى هذا، أن الإنسان لا يبدأ حياته الاجتماعية والثقافية من العدم، وإنما يبدأ من حيث إنتهت الأجيال الرائدة الحيّة، التي ينتمي إليها، ومن التّراث الإجتماعي الذي يعبر عن خبرات الأجيال السابقة.

فبعض عناصر الثقافة في أيّ مجتمع تعبر عن خلاصة التجارب والخبرات التي عاشها الأفراد في الماضي بما تعرّضوا له من أزمات، و مارسوه من أهداف، و ما إستخدموه من أساليب، وما تمسّكوا به من قيم و معايير، وما نظّموه من علاقات... و تتراكم الجوانب المختلفة على هذا النحو بطرق و صور مختلفة.

خامسا - إمكانية إنتقال عناصر الثقافة بالإحتكاك :

فكلما زاد الإحتكاك و التعامل بين مجتمع و آخر، كلما زادت درجة الإنتقال الثقافي بين هذين المجتمعين. ولكن المجتمع ذو الثقافة الأقوى والأفضل يؤثر بدرجة أكبر في المجتمع ذي الثقافة الأقل نجاحا وقوة، وبالتالي فالثقافة ديناميكية متغيرة.¹

و في إطار ما سبق يمكن تحديد بعض الخصائص العامة للثقافة فيما يلي :

- 1- تنشأ الثقافة في مجتمع معين، و يظهر هذا جليا في سلوك أعضاء ذلك المجتمع.
- 2- الثقافة قابلة للتناقل، و عملية التناقل تقتصر على الإنسان بوصفه الكائن الوحيد الذي يبدو قادرا بدرجة كبيرة، على أن ينقل ما إكتسبه من عادات لإقرانه، و تعدّ اللغة عاملا أساسيا في هذا

¹ - د. طارق عبد الرؤوف عامر- "أصول التربية" (الاجتماعية-الثقافية-الاقتصادية)-2008 ص.77

- المجال. و لا تتضمن عملية التناقل الإجراءات و المعرفة فقط، بل تشمل أيضا تهذيب الدوافع الغريزية خلال السنوات الأولى من عمر الإنسان.
- 3- تتميز الثقافة بالدوام و الإستمرار عبر الزمن، بسبب قدرتها على تخليد نفسها، و على البقاء بعد إنقراض أيّ من الشخصيات التي تسهم فيها. ومع أنّ الثقافة تخرج تماماً عن نطاق التركيب الطبيعي للفرد، إلاّ أنّها تصبح خلال نموّه جزءاً من شخصيته.
- 4- الثقافة ميراث إجتماعي، فالعادات الخاصّة بالنظام الثقافي، تنتقل و تستمر عبر الزمن كما يشارك فيها كلّ الأفراد الذين يعيشون داخل تجمعات منظمّة أو جماعات تحرص على الإمتثال لتلك العادات تحت وطأة الضغوط الإجتماعية.
- 5- للثقافة وظيفة التوافق، فهي تتوافق مع البيئة الجغرافية للمجتمع و مع الشعوب المحيطة بها، كما تتوافق مع المطالب النفسيّة و البيولوجية للكائن البشري.
- 6- الثقافة هي ذلك الكلّ المركّب والمعقد، الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفنون والقيم والقانون والعادات التي يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع ويشمل ذلك الجانبين : المادي وغير المادي.
- 7- الثقافة تنظيم يشمل مظاهر الإنفعال والأفكار والمشاعر، التي يعبر عنها الإنسان عن طريق الرموز بفضل اللغة التي يتعامل بها. و بهذه الصّفة الرّمزية أصبح من السهل انتقال الثقافة¹.
- 8- الثقافة مكتسبة، فهي المصطلح الإجتماعي للسلوك المكتسب للمتعلم. فجوهر الثقافة عند الإنسان هو التعلّم تمييزاً لها عن الصّفات الموروثة، وتأكيداً على قدرة الإنسان على التعلّم.
- 9- الثقافة عقلية، فهي تتكون من السلوك المكتسب والفكر المكتسب لدى أفراد المجتمع. ويتمثل هذا الفكر في المعاني والمثل والأنظمة والمعتقدات.
- 10- الثقافة تنظيم يقوم على التفاعل الاجتماعي بين الأفراد، ووظيفتها توجيه سلوك هؤلاء الأفراد.
- 11- الثقافة مثالية وواقعية، فالثقافة المثالية تشتمل على الطرق التي يعتقد الناس أن من الواجب عليهم السلوك وفقها أو التي قد يرغبون في إنتاجها، أو التي يعتقدون أنّه من الواجب عليهم السلوك بمقتضيات الناطقين. أمّا الثقافة الواقعة، فإنّها تشكّل من سلوكهم الفعلي. و في الثقافات التي تجتاز

¹ - د. طارق عبد الرؤوف عامر- "أصول التربية" (الاجتماعية-الثقافية-الاقتصادية)-2008 ص.142.

تغيّراً سريعاً، فإنّ الفاصل بين الثقافة المثالية والثقافة الواقعة أخذ بالتأكيد في الإتساع، وتؤدي هذه الفجوة إلى التخلف الثقافي.

المطلب الثالث : جوانب الثقافة :

الجانب المعياري :

و هو بمثابة جذع المخ لأيّ ثقافة و يتمثل في تصور المجتمع العام للألوهية والكون والإنسان والحياة. وهذا الجانب هو الذي يميز مجتمع عن آخر، ويميل هذا الجانب دائماً إلى الثبات.

الجانب الحضاري :

وهذا الجانب يمثل الثمار الحضارية للثقافة، ويظهر عند إنسجام كل من الجانب المعياري والجانب السلوكي للثقافة فتخرج لنا ثمار هذا التناسق الفكرية، والروحية والعلمية والفنية...¹

الجانب السلوكي :

وهو الجانب التطبيقي للجانب المعياري، ويظهر في سلوكيات المجتمع ويميل هذا الجانب إلى التغير باستمرار. ويتوقف مدى تماسك أي مجتمع على التغيرات التي تحدث في هذا الجانب قرباً أو بعداً عن الجانب المعياري.

المطلب الرابع : عناصر الثقافة :

إن محتوى الثقافة في أي مجتمع متجانس يكاد ينقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية حسب رأي لنتون.

أولاً - العموميات :

وهي تلك العناصر التي يشترك فيها أفراد المجتمع جميعاً، و هي أساس الثقافة، و تمثل الملامح العامة التي تتميز بها الشخصية القومية لكل مجتمع، مثل اللغة والملبس والعادات والتقاليد و الدين والقيم. وهي الأفكار والعادات والتقاليد والإستجابات العاطفية المختلفة وأنماط السلوك و طرق التفكير التي يشترك فيها جميع أفراد المجتمع الواحد و تميزهم كمجتمع و ثقافة عن غيرهم من المجتمعات. ومثال على ذلك (السكن، طريقة الملبس و طريقة الزواج).

¹ - الثقافة "المفهوم- الخصائص - العلاقات " الباحث على عبد الواحد عبد الحميد شعبة إعداد معلمي اللغة العربية لغير الناطقين به 2011/2012.

فالعموميات هي مركز إهتمام التربية و إليها تتجه الجهود لنقلها وتبسيطها وتجديدها إذا لزم الأمر. وتتمثل فائدتها في :

- توحد النمط الثقافي في المجتمع
- تقارب طرق تفكير أفراد المجتمع و إتجاهاتهم في الحياة
- تكوّن إهتمامات مشتركة و روابط بينهم
- تكسبهم روح الجماعة، فتؤدي إلى التماسك الإجتماعي

ثانيا - الخصوصيات :

وهي عناصر الثقافة التي يشترك فيها مجموعات معينة من أفراد المجتمع ، بمعنى أنها العناصر التي تحكم سلوك أفراد معينين دون غيرهم في المجتمع. فهي العادات والتقاليد والأدوار المختلفة المختصة بجوانب إجتماعية حدّدها المجتمع في تقسيمه للعمل بين الأفراد¹. وقد تكون هذه المجموعة مهنية متخصصة أو طبية، مثال الخصوصيات الثقافية الخاصة بالمعلمين أو المهندسين أو الأطباء أو غيرهم. وهم يتصرفون فيما بينهم بأنماط سلوكية معينة، وقد تشمل هذه الخصوصيات عناصر تتعلق بالمهارات الأساسية للمهنة والمعرفة اللازمة لإتقانها. كما تشمل أيضا طرق أداء المهنة ونوع العلاقات التي تربط أبناء المهنة الواحدة وتميّزهم عن غيرهم من الناس.

وقد تكون الخصوصيات مرتبطة بالطبقة الاجتماعية، فالطبقة الأرستقراطية لها سلوكيات وعاداتها التي تميزها عن الطبقة المتوسطة، وأن كذا أو كذا من السلوك، لا ينتمي إلى عادات الأرستقراطية. ويجب أن لا ننسى أن الخصوصيات، لا تنفي إشتراك أفراد الطبقة أو المهنة في العموميات التي ناقشناها من قبل.

ثالثا - البدائل و المتغيرات :

وهي من العناصر الثقافية التي تنتمي إلى العموميات، فلا تكون مشتركة بين جميع الأفراد ولا تنتمي إلى الخصوصيات، فلا تكون مشتركة بين أفراد مهنة واحدة أو طبقة إجتماعية واحدة ولكنها عناصر تظهر حديثة و تجرب لأول مرة في ثقافة المجتمع و بذلك يمكن الإختيار من بينها

¹ - د. طارق عبد الرؤوف عامر- "أصول التربية" (الاجتماعية-الثقافية-الاقتصادية)-2008 ص.78.

وتشمل الأفكار والعادات وأساليب العمل وطرق التفكير وأنواع الإستجابات غير المألوفة بالنسبة لمواقف متشابهة، مثال ذلك ظهور موضة جديدة في الملابس لم تكن معروفة من قبل، أو ظهور طريقة لإعداد الطعام، لم يعرفها الناس من قبل. وهذه المتغيرات قليلة في المجتمعات البدائية، وكثيرة في المجتمعات المتقدمة، وتكون هذه المتغيرات أنماط سلوكية مضطربة إلى أن تتلاشى أو تصبح خصوصيات، أو تستقر على وضع و تتحول فيه إلى خصوصيات أو عموميات ثقافية، وهي تمثل العنصر النامي في الثقافة.

هذا، ويرى بعض العلماء أن عناصر الثقافة تنقسم إلى قسمين رئيسين¹:

* عناصر مادية : وتتضمن كل ما ينتجه الإنسان ويمكن إختباره بواسطة الحواس، مثل المساكن والآلات ووسائل المواصلات.

* عناصر غير مادية - معنوية : وتتضمن العرف و قواعد السلوك والأخلاق والقيم والتقاليد واللغة والفنون و كل العناصر السيكولوجية التي تنتج عن الحياة الإجتماعية. و لكن تقسيم لنتون Linton، أنسب وأقرب إلى الواقع من هذا التقسيم الثنائي، لأن الثقافة تجمع العنصرين معا ولا يمكن فصل أي منهما عن الآخر، وحتى لغرض الدراسة في هذا المجال.

المطلب الخامس : فوائد الثقافة :

- الثقافة ذات أهمية كبيرة بالنسبة للمجتمع من ناحية، و بالنسبة للأفراد من ناحية أخرى فهي :
- 1- تكسب أفراد المجتمع شعورا بالوحدة، و تهيئ لهم سبل العيش و العمل دون إعاقة و إضطرب.
 - 2- تمدّ الأفراد بمجموعة من الأنماط السلوكية، فيما يتعلق بإشباع حاجاتهم البيولوجية من مأكّل و مشرب و ملابس ليحافظوا على بقائهم و إستمرارهم.
 - 3- تمدهم بمجموعة القوانين و الأنظمة التي تتيح لهم سبل التعاون و التكيف مع المواقف الحياتية، و تيسّر لهم سبل التفاعل الإجتماعي بدون أن يحدث هناك نوع من الصراع أو الإضطراب².
 - 4- تجعل الفرد يقدرّ الدور التربوي الذي قامت به و تقوم به ثقافته حق التقدير، خاصة إذا إختبر ثقافة أخرى غير ثقافته، من عادات و تقاليد تطغى على وجوده.

¹ - د. طارق عبد الرؤوف عامر- "أصول التربية" (الاجتماعية-الثقافية-الاقتصادية)-2008 ص.80.

² - د. طارق عبد الرؤوف عامر- "أصول التربية" (الاجتماعية-الثقافية-الاقتصادية)-2008 ص.82.

5- تقدّم للفرد مجموعة من المشكلات التي أوجدت لها الحلول المناسبة و بذلك توفّر عليه الجهد و الوقت بالبحث عن حلول تلك المشكلات. كذلك تقدّم له مثيرات ثقافية عادية عليه أن يستجيب لها بالطرق العادية الموجودة في ثقافته، كمجموعة المواقف الحياتية المتوقعة و التي حللتها الثقافة و فسّرتها، و التي يستجيب لها الفرد عن طريق الثواب و العقاب.

فإذا إنتقل إلى ثقافة أجنبية، يقابل فيها مثل تلك المثيرات، فسيجد إستجابات مختلفة مما يحدث عنده القلق و الإضطراب.

6- تقدم للفرد تفسيرات تقليدية مألوفة بالنسبة لثقافته يستطيع أن يحدد شكل سلوكه على ضوءها. فهي توفر له المعاني و المعايير التي بها يميزون بين الأشياء و الأحداث صحيحة كانت أم خاطئة عادية أم شاذة، و هي تنمي أيضا لدى الفرد شعورا بالإنتماء أو الولاء، فتربطه بمجتمعه رابطة الشعور الواحد.

إذن، فالعلاقة بين الفرد و الثقافة، علاقة عضوية ديناميكية و الثقافة من صنع الأفراد أنفسهم، فهي توجد في عقول الأفراد، و تظهر صريحة في سلوكهم خلال قيامهم بنشاطهم في المجالات المختلفة، و قد تتفاوت في درجة وضوحها. كما أن الثقافة ليست قوة في حد ذاتها، تعمل مستقلة عن وجود الأفراد، فهي من صنع أفراد المجتمع، و هي لا تدفع الإنسان إلى أن يكون سويا أو غير سوي، بل يعتمد في ذلك على درجة وعي كل فرد بالمؤثرات الثقافية و نوع إستجابته لها. و جمود الثقافة و حيويتها يتحددان بمدى فاعلية أفرادها و نوع الوعي التوفر لهم.

أولا : الثقافة و المجتمع :

لا يستطيع أي مجتمع أن يتقدم و يزدهر حتى يعرف المكونات الثقافية التي تتحكم به و تتمط تفكيره و تحدد إهتماماته و توجه نشاطه، حيث يعتقد روشير (1972) أن : " الثقافة هي صلة الأفكار و المشاعر التي تقبلها غالبية الناس في المجتمع"¹

إن الثقافة هي أسلوب أو طريقة الحياة التي يعيشها أي مجتمع بما تعنيه من تقاليد و عادات و أعراف و تاريخ و عقائد، و قيم و إهتمامات و إتجاهات عقلية و عاطفية و تعاطف أو تنافر و مواقف من الماضي و الحاضر و رؤى المستقبل. إنها طريقة تفكير و أنماط سلوك و نظم و

¹ - روشير(1972)- 'مقدمة عامة في علم الاجتماع' : إنطباع نظري-ص142

مؤسسات إجتماعية و سياسية و ما يعيشه المجتمع من إنفتاح أو إنغلاق. فالثقافة بهذا المحتوى العلمي، هي في الغالب لا تأتي قصدا من الأفراد، و إنما يكتسبها الناس إمتصاصا من البيئة منذ ولادتهم، و إذا إكتسبوها بالقصد فإن قصدهم يكون محدد بالبرمجة من الأهل و المجتمع؛ فهم يتشربون ثقافة أهلهم و مجتمعهم مثلما يتشربون اللغة الأم و يحكمون على كل شيء وفق المعايير السائدة التي إمتصوها إمتصاصا تلقائيا، و إمتزجت بعقولهم و وجدانهم... فهي تحركهم بمخزون اللاشعور، و لكنهم يتوهمون أنهم يفعلون ذلك بمحض إختيارهم و فيض إرادتهم، و يجهلون أن مصدر هذه الثقة هو البرمجة الراسخة، فيظلون مأخوذين بما تبرمجوا عليه، و لا يخطر على بالهم أن يرتابوا فيه أو يراجعوه و من هنا تمايزت أوضاع المجتمعات. إن تنوع الثقافات هو الذي يحدد تنوع المستويات الحضارية للمجتمعات، وهو السبب في هذا التفاوت الشاسع في درجات التخلف أو التقدم.¹

ثانيا : الثقافة والحضارة :

تختلف الثقافة عن الحضارة ، فلكل مجتمع - بسيط و معقد - ثقافة معينة، هي كل نتاج الفكر المجتمعي، و نتاج هذا الفكر و مشتقاته. فالحضارة هي النواحي العملية و المادية لثقافة الأقسام المتحضرة، الذين عاشوا و مارسوا أساليب الحضرة، و تتميز الأزمنة بتميز مواطن الحضارة عن بعضها، حيث قال هيردر عن المكافئ الألماني لمعنى الثقافة: " لا شيء غير محدد أكثر من هذه الكلمة، و لا شيء خادع أكثر من تطبيقه ا على كل الأمم في كل الفترات"² و مما يوضح الفرق أيضا، تميز الثقافة. بأنها تراكمية و مكتسبة و تنتقل من جيل إلى جيل، أما الحضارة، فهي و إن كانت من أوجه الثقافة، إلا أنها مميزة بوصفها نتاجا مستقلا، أي من نوع خاص، قد يختص به مجتمع معين في فترة تاريخية، دون أن تنتشر منه إلى مجتمع آخر، فحسب إينا كورين براون : "... لا يمكن فهم العرف أو الاعتقاد أو السلوك من سياقه الاجتماعي أو الثقافي.

¹ - الثقافة 'المفهوم-الخصائص-العلاقات' مقدم من الباحث/علي عبد الواحد عبد الحميد، شعبة إعداد معلمي اللغة العربية لغير الناطقين به2011/2012
² - هيردر- ويليامز-1983،1976-ص.79

بمعنى، أي بند من بنود السلوك، أي تقليد أو نمط، لا يمكن تقييمه بشكل صحيح إلا في ضوء معناه للأشخاص الذين يمارسونه....¹

و يضاف إلى ذلك أن هناك تعاقبا بين الثقافة و الحضارة، و أن المصطلحين يعبران عن مرحلتين متعاقبتين في كل دورة مجتمعية، لأن التاريخ الإنساني يسير في دورات ثقافية و حضارية مقلدة، كل منها مستقلة عن الأخرى و كل دورة من هذه الدورات تبدأ بالثقافة التي هي ضرورة لبناء أي جماعة و بتنظيمها الفكري و الإجتماعي.

الثقافة تختلف عن الحضارة التي لها معنى أضيق من الثقافة. فالحضارة تقتصر على تلك الشعوب ذات المستوى الرفيع من التطور الثقافي. و الشعوب التي وصلت إلى درجة عالية من التقدم (التمدنية) ترى في الحضارة كافة العناصر المادية و غير المادية التي إبتكرها الإنسان. أما الثقافة فتوجد في كل الشعوب، بسيطها و معقدها ؛ فالشعوب البدائية لها ثقافة، و الشعوب المتقدمة لها ثقافتها، و الإختلاف بين المفهومين ليس في النوع و لكن في الدرجة حيث مستوى التقدم. و عليه، فإن الثقافة تشمل جميع جوانب الحياة المعنوية و المادية، و توجد في كل المجتمعات البسيطة و المعقدة، أو المتقدمة و المتخلفة على حد سواء. أما الحضارة، فتشمل كل المنجزات المادية و العملية فقط، التي أنتجتها المجتمعات أثناء التفاعل بين الإنسان و البيئة الطبيعية.² و يعود مشكل إلتباس مفهومي الثقافة و الحضارة إلى مشكل ترجمة المفاهيم و إنتقالها من ثقافة إلى أخرى، و هو ما جعل من الفصل بينهما أمرا إشكاليا قائما إلى حد الآن، فقد دل مفهوم الثقافة عند علماء الأنثروبولوجيا على مظاهر الحياة في كل مجتمع متقدما كان أو متخلفا، بدائيا أو متحضرا، في حين أن لفظ الحضارة عندهم يدل على مظاهر الحياة في الحياة المتقدمة وحدها³، و هذا ما نجد له تأكيدا عند " وول ديورانت " Wal Durent عندما سيعرّف الحضارة بإعتبارها النظام الإجتماعي الذي يساعد الإنسان على الزيادة في إنتاجه الثقافي، و إنما تتألف الحضارة من عناصر أربعة :

1 - إينا كورين براون - "فهم الثقافات الأخرى" ص140

2 - الثقافة 'المفهوم-الخصائص-العلاقات' مقدم من الباحث/علي عبد الواحد عبد الحميد، شعبة إعداد معلمي اللغة العربية لغير الناطقين به2011/2012

3 - المعجم الفلسفي جميل صليبا، الجزء الأول، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى، بيروت1982، ص 477

الموارد الاقتصادية، و النظم السياسية و التقاليد الخلقية، و متابعة العلوم و الفنون و هي تبدأ من حيث ينتهي الإضطراب و القلق.¹

و هناك من يعتبر أن الثقافة هي جزء من الحضارة أو بمثابة الجسر الموصل إليها فكل حضارة ثقافة ، و لكن ليس بالضرورة أن لكل ثقافة حضارة ، إلا أن هناك فهما آخر تشير إليه بعض الدراسات الأوروبية في هذا المجال ، و هو أن الحضارة تختص بالجوانب الروحية و العقلية و الأدبية.

في حين أن الثقافة تختص بالجوانب المادية²، أو أنهما يعبران معا عن مركب واحد من الظواهر الإجتماعية، يمكن النظر إليه من وجهين :

وجه مادي ملموس، يتعين في المستوى الذي بلغه التقدم العمراني و التكنولوجيا عند أمة من الأمم، أو في مجتمع معين و في حقبة تاريخية محددة، و كذلك في العلاقات الإجتماعية، و العادات و المعتقدات و في المؤسسات و أنظمة الحكم. ووجه ثاني يتجلى في نواحي الإنتاج الأدبي و الفني و الفكري و العلمي، و معالم الرقي الأخلاقي و الروحي.³

و على العموم، إحتدم هذا الخلاف بين إتجاهين بالخصوص : إتجاه يهيمن فيه لفظ " الحضارة " كفرنسا و إنجلترا و الولايات المتحدة، و إتجاه فضل إستعمال لفظ " ثقافة " كألمانيا و بولونيا و روسيا.

فإذا كان الإتجاه الأول يرى بأن مفهوم الحضارة هو عام يشمل القيم الأخلاقية و المادية معا، فإن الإتجاه الثاني يميل إلى تحميل لفظ " الثقافة " دلالة الأمر المتعلق بالفرد (تكوين الفرد) كالشعر و الشعور الديني و الإحساس الشخصي و العمارة و الموسيقى و العلم و غيرها. و بالعكس تحمل لفظة " الحضارة " دلالة الشأن المتعلق بالجماعة، أي دلالة المظاهر الخارجية، و ليس الداخلية لوضع ثقافي معين.

1 - قصة الحضارة، ول وايلر ديورانت، ترجمة زكي نجيب محمود، دار الجيل، مجلد الشرق الأدنى الجزء 1، المجلد 1، بيروت، الطبعة 1، 1988 ص 3.

2 - في معركة الحضارة قسطنطين زريق -21- دار العلم للملايين بيروت الطبعة 3، 1977، ص 39.

3 - في الثقافة و الخطاب عن حرب الثقافات: حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة. عبد الرزاق الداوي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى، بيروت 2013 م، ص 25.

و قد حاول عالم الاجتماع الألماني نوربرت إلياس أن يؤرخ لتاريخ ظهور هذا التعارض بين هذين المفهومين، فذهب إلى القول أن الفيلسوف الألماني كانط كان أول من عبّر عنه سنة 1784 م، تعبيراً صريحاً عندما ربط بين نهضة ألمانيا و تنمية الثقافة المرتبطة بالفن و العلوم، و تحضير المجتمع لممارسة آداب السلوك.

و شكلت سنة 1919، سنة إحياء هذا التعارض الذي عمّر قرناً و نصف من جديد، و هي السنة التي بوشرت فيها الحرب ضد ألمانيا بإسم الحضارة، و السنة التي حاولت فيها ألمانيا إعادة تأكيد ذاتها بعد معاهدة فرساي.¹

و لقد إنتقل هذا الإلتباس بين المفهومين إلى البلاد العربية و الإسلامية، و تأثر الأنثروبولوجيون و علماء الاجتماع العرب الذين ترجموا المؤلفات الأوربية، كشاكرك مصطفى، و عبد الرحمان اللبان، و فؤاد زكريا، و غيرهم، بمعركة المفاهيم التي وقعت بين الألمان و الفرنسيين، و هكذا عملوا على ترجمة (culture) تارة بلفظ "ثقافة" و تارة أخرى بلفظ "حضارة"، كما ترجموا لفظ (civilisation) بلفظ "حضارة"، و في حالات أخرى بلفظ "مدنية". إلا أنه، و في جميع الحالات، فإن التعريفات المقدمة و المعاني الراسخة في الذهن هي مدلولات المفهوم الأوربي المترجم لنفسه، و ليس الجذر اللغوي أو الدلالة العربية لهذين اللفظين.

و لكل هذا، سينصح نصر محمد عارف كل مترجم للفظ (culture) بالإحتفاظ به مكتوباً بحروفه اللاتينية في المثن المترجم، و بوضع لفظ "ثقافة" كمقابل له؛ و ذلك حتى ينبّه القارئ إلى أنه يقصد بإطلاق هذا اللفظ العربي، المعاني التي يحملها المفهوم الأوربي و لقد كان سلامة موسى في مصر، أول من أفشى لفظ ثقافة مقابل (culture)، و قد تأثر في ذلك بالمدرسة الألمانية في تعريف ربط الثقافة بالأمر الذهنية، حيث عرّف الثقافة بأنها هي المعارف و العلوم و الآداب و الفنون التي يتعلمها الناس و ينتفقون بها و يميّز بين الثقافة (culture) المتعلقة بالأمر الذهنية و الحضارة "civilisation" التي تتعلق بالأمر المادية.²

¹ - Norbert Elias , la civilisation des mœurs , Paris , calmann lévy , 1973 , p 12-13

² - الثقافة- مفهوم ذاتي متجدد، د. نصر عارف، أستاذ مشارك في جامعة جورج تاون- www.khayma.com/almoudaress/takafah

ثالثا - الثقافة و المثقف :

يرجع الخلاف في تعريف الثقافة و المثقف أساسا إلى تحديد علاقة الفكر باللغة و علاقة الواقع باللغة، فهل اللغة فوق العقل، و فوق حدود الفكر، أم العقل هو الذي يفوق اللغة و يجب أن يتحكم فيها ؟

إنه من الواضح في نظرية كبار المفكرين، أن اللغة شيء، و التفكير شيء آخر.. و أن التفكير يستعمل اللغة كوسيلة و أداة للتعبير عن ثقافته.

و عليه فلا بد أن نذكر بأن المواقف الرئيسية من علاقة الفكر باللغة بالثقافة تعود إلى ثلاثة مواقف: **أولا :** موقف يعتبر اللغة و الفكر و الثقافة شيئا واحدا.

ثانيا : موقف يعتبر اللغة قبل الفكر و بواسطتها يتم إنشاء الفكر ذاته و منه إلى الثقافة.

ثالثا : موقف يعتبر الفكر قبل اللغة و مستقلا عنها، و أن اللغة مجرد وعاء خارجي لعملية التفكير.

أصحاب الموقف الأول هم العلماء النفسانيون السلوكيون أمثال سكينر Skinner و لم تثبت نظريتهم عند التمحيص، لأن ما ثبت بالتجارب هو كون الفكر يظل يشتغل حتى في حالة عجز الإنسان عن الكلام أو عدم قدرته عن التعبير، فإننا نشعر جميعا بشكل مباشر أن تفكيرنا مستقل عن اللغة التي نعبر بها. و قد يعترض المعترض هنا بأن المقصود باللغة هو النظام التجريدي العميق الذي يدركه كل إنسان بفطرته و يستخدمه بقدر طاقته، و أن هذا النظام ملازم للتفكير و ضروري له.

أصحاب الموقف الثاني هم الدارسون الأنثروبولوجيون عامة، و بعض المفكرين و الفلاسفة الذين قادهم البحث إلى الإعتقاد بأن اللغة هي التي تحدد طبيعة التفكير. فخصائص كل لغة هي التي تحدد خصائص التفكير لأهلها. و القائلون بهذه النظرية، متأثرون طبعا بالنزعة الإجتماعية القائلة بأن المجتمع هو الذي يصنع أفراده و يحدد لهم لغتهم كما يحدد لهم تفكيرهم لتوضع في إطار الثقافة. أما أصحاب الموقف الثالث، فهم الفلاسفة المثاليون الذي يعتقدون بأن اللغة ليست سوى وسيلة للتعبير و بأنها مستقلة عن الفكر و تابعة له تماما، و أن الأفكار تنشأ من غير أن يكون للغة دور في تكوينها، لأن الفكر الإنساني ينبعث داخليا في حالات الصفاء الذهني البعيد عن كل أصوات اللغة و

تأثيرها. و هذا يعني أن الإنسان يغرق في تفكيره، و يستطيع أن يعبر عنه بغير اللغة، و يشتى أشكال التعبير الأخرى ... بل هناك من يذهب بعيدا و يدّعي أن اللغة كثيرا ما تجهض الفكر. و يتفق هذا الموقف مع النظرية القائلة بأن اللغة هي نظام من التواصل و بث الثقافة بالرموز و الإشارات المعيرة عن أفكار و معان لها إستقلالها. و بمقتضى هذه المقاربة يمكن التمييز في عملية الدراسة إلى مختلف الأنظمة الثقافية بين ما هو إبداعي و بين ما هو فلسفي إجتماعي و بين ما هو قانوني و سياسي، بحيث توجد بعض التغييرات الثقافية التي تمثل جزءا من الذاكرة الجماعية لهذا الشعب أو ذلك و التي تتجذر في أصوله، و تمثل مصدر إلهام له بحيث لا تمثل تراثا للإنسانية قاطبة بتعدد حدود و جغرافية الأماكن أي لا يمكن أن ترفع إلى مرتبة الكوني أو الكلي الذي يدّعي الجميع الإنتماء إليه، أو تبنّيه من خلال مدارس الفكر المختلفة.

المطلب السادس : الثقافة واللغة :

معرفة الطبيعة الدقيقة للعلاقة بين اللغة و الثقافة، يبدأ في التفكير في اللغة، أي لغة كانت من لغات البشر وما علاقتها بالثقافة.¹

يفيدنا عالم الأنثروبولوجيا الإنجليزي، إدوارد تايلور، بأن المساحة الأغلب من حياة الإنسان وسلوكه، هي ثقافية، وربما أكثر ما في هذه المساحة أهمية هو اللغة، فهي أكثر من كونها فقط تعبيرا عن مكنونات النفس، مثلا كون الإنسان يشرب أو يأكل ليس من الثقافة في شيء، بل هو حاجة بيولوجية ضرورية للحياة والعيش، لكن كون الإنسان يأكل أو يمتنع عن أكل أشياء معينة في أوقات معينة في أماكن معينة بطريقة معينة ...، هذا من الثقافة، ومن هنا، نفهم أننا نتشرب الثقافة مع اللغة منذ الصغر.

وقد لوحظت العلاقة بين الثقافة واللغة في فترة تعود إلى الفترة الكلاسيكية وربما قبل ذلك بوقت طويل. فالإغريق القدامى على سبيل المثال، يميزون بين الشعوب المتحضرة وبارباروس (أولئك الذين يميلون إلى التثرتة) أي أولئك الذين يتكلمون لغات غير مفهومة، لأن هناك مجموعات

¹ - الكلام و الكتابة بين اللغة و الثقافة.أ/عبد الله الحميدي.يناير 2009.16829. www.dinalarab.com/spip.php?article

تتحدث لغات مختلفة وغير مفهومة وقد يعتبر ذلك دليلاً ملموساً على الاختلافات الثقافية أكثر من كونه من السمات الثقافية الأخرى الأقل وضوحاً¹.

وفي السياق النظري، حسب ما كتب² ت.س.ت. مهادي و س.م. جفاري، في الواقع، فرضيتي سبير و وورف (سبير-1921/وورف-1952)³، تحتويان على مكونين متناسقين وموحدين على النحو التالي:

النسبية اللغوية : وفقاً للنسبية اللغوية، اللغات التي تختلف اختلافاً تاماً في مفرداتها وبنيتها، تعبر عن معاني ثقافية مختلفة، هذا الاعتقاد، في الواقع، يؤكد الطريقة التي ينظر بها الناس للعالم تحدد كلياً أو جزئياً بنية لغتهم الأم.

الاحتمية اللغوية : بما يتناسب مع الاحتمية اللغوية في نسختها القوية، فإن النماذج والعينات من الفكر والملاحظة واستيعاب الواقع تتم الموافقة عليها والاتفاق عليها والتوصل إليها بلغة أصلية واحدة. كما زاد كل من ت.س.ت. مهادي و س.م. جفاري عما نوقش من قبل إضافة إلى فرضية سبير- وورف التي تظهر النقاط التالية في العقل :

1- نحن، في كل تفكيرنا وفي فهم اللغة الخاصة التي أصبحت وسيلة للتعبير في مجتمعنا، أصبحنا نختبر ونمارس تعبيرنا عن طريق معاني الخصائص، الخصوصيات، وأحياناً الكلمات الأدبية المشفرة في لغتنا.

2- الخصائص، الخصوصيات والكلمات الأدبية المشفرة في نظام لغة واحد هي مميزة ونموذجية وفريدة في ذلك النظام، وهي تختلف تماماً عن نظائرها.

3- وبما أن ثقافة مكان أو أمة معينة تختلف عن ثقافة أخرى، في بعض الأحيان يحدث سوء الفهم وسوء تصور عندما يستخدم أحد من أمة أخرى لغة تلك الأمة.

4- من أجل فهم الكلمات المحددة، والمصطلحات الأدبية، وحتى الكلمات البسيطة في بعض الأحيان بلغة واحدة، يجب أن نكون على دراية بثقافة تلك الأمة.

¹ - بيبيل بول Baepler paul، "العبيد البيض، الأسياد الأفارقة" حوليات الأكاديمية الأمريكية للعلوم السياسية والاجتماعية ص91.

² - ت.س.ت. مهادي و س.م. جفاري 'الثقافة واللغة' ص232

³ - وورف تلميذ سبير- 'اللغة والفكر والواقع'

هذا ويقترح العديد من العلماء الآخرين أن شكل اللغة يساهم في تحديد بعض السمات الثقافية الخاصة، وهذا مشابه لمفهوم الحتمية اللغوية التي تنص على أن شكل اللغة يساهم في تحديد الفكر الفردي.

وذهب بعض ممن تناقلوا أسلوب بواس Boas في التفكير إلى تبني فكرة أن الأنماط الإعتيادية من التحدث و التفكير بلغة معينة قد تؤثر على مجموعة لغوية ما، ونقل كل من ت.س.ت. مهادي و س.م. جفاري عن فرضية ب.ل. وورف (1897-1941)، التي يشير فيها إلى أن: "اللغة تحدد وتحلل فكرة ومفاهيم المتحدثين بها، بمعنى أنه لا يمكن لأي لغة البقاء إلا في سياق الثقافة والعكس صحيح"¹

ويعدّ هذا الإعتقاد وثيق الصلة بنظرية النسبية اللغوية، وبواس Boas ، مثل معظم علماء الأنثروبولوجيا الحديثة، ومع ذلك كان أكثر ميلا إلى الربط بين العلاقة الوثيقة بين اللغة والثقافة وبين العبارة التي تقول، كما وضعها بي.إل. وورف: "أنهما نشأ معا".

في الواقع، إن أصل اللغة، والذي يفهم على أنه قدرة الإنسان على التواصل عن طريق الرموز المعقدة، وكذلك منشأ الثقافة المعقدة، هي نفس العملية التطورية للإنسان البدائي. "في كثير من الأحيان، يتم الربط بين اللغة والثقافة على مستوى عام جداً، ومع افتراض ضمني أو صريح بأن أولئك الذين يتحدثون نفس اللغة يجب أن يتشاركوا في نفس الثقافة". ومن ثم فإنه يمكن وصف كل من اللغة والثقافة على حد سواء كوسيلة لإستخدام الرموز في بناء الهوية الاجتماعية والحفاظ على التماسك الاجتماعي في إطار مجموعة إجتماعية لا يمكنها الإعتداد بشكل كامل على طرق بناء المجتمع التي ظهرت قبل ظهور الإنسان، وذلك بسبب كبر حجمها على سبيل المثال الإستمالة... ولأنه يعتبر كل من اللغة والثقافة على حد سواء في جوهرهما أنظمة رمزية، فقد قام المنظرون الثقافيون في القرن العشرين بتطبيق طرق تحليل اللغة التي تطورت في ضوء علم اللغويات من أجل تحليل الثقافة. ولاسيما النظرية الهيكلية لفردناند دي سوسير الذي يصف فيها الأنظمة الرمزية على أنها تتألف من إشارات بين شكل معين ذو معنى خاص، حيث يتم تطبيقها على نطاق واسع في دراسة الثقافة، فقد كتب ت.س.ت. مهادي و س.م. جفاري في 'اللغة و الثقافة': " يعتقد

¹ - ت.س.ت. مهادي و س.م. جفاري 'الثقافة واللغة' ص232

سوسيري (1974) أن اللغة هي نظام علامات، بالنسبة له، فإن العلامة تتكون من دلالة (الصورة الصوتية أو الشكل المكتوب) ومدلول عليه (المفهوم)، وكلاهما مرتبطان ببعضهما البعض بشكل لا ينفصم"، "ويعتقد أن الفكر (الثقافة) هو الجزء الأمامي من الورق والصوت (اللغة) الجزء الخلفي منه، فمن المستحيل قطع أي من الجزئين بمعزل عن الآخر، بمعنى أنه لا يمكن فصل اللغة عن الأفكار"¹

ولكن نظريات ما بعد البنيوية والتي لا تزال تعتمد على التشابه بين اللغة والثقافة بوصفهما نظم الإتصال الرمزي، قد طبقت في مجال السيميائية. ويمكن فهم التشابه بين اللغة و الثقافة على أنه التناظرية في التشابه بين العلامة اللغوية التي تتكون على سبيل المثال الصوت [كو-Cow] ومعنى كلمة " البقرة "، والإشارة الثقافية التي تتكون على سبيل المثال في الشكل الثقافي " مرتديا تاجا " والمعنى الثقافي " كونه ملكا ".

وبهذه الطريقة، فإنه يمكن القول بأن الثقافة الممارسة هي في حد ذاتها نوع من اللغة، فأما الكامنة منها فتندرج تحت غطاء الأفكار، وفي باب الإختلاف في المفاهيم بممارسة الثقافة لغويا يقول فرديناند دي سوسير: "إذا كانت الكلمات متعلقة بالمفاهيم الموجودة مسبقاً، فسيكون لها المكافئ نفسه الذي يعادلها في المعنى من لغة إلى أخرى، لكن هذا ليس صحيحاً"² كما أن هناك تناظرا آخر بين النظم الثقافية واللغوية، وهو أن كلاهما يعدّ نوعا من الممارسة، ويعني ذلك أنهما مجموعة من الوسائل الخاصة للقيام بهذه الأمور التي يتمّ بناؤها وإدامتها من خلال التفاعلات الإجتماعية، ولكن هذا لا يؤدي بالضرورة إلى فهم الآخر. فالأطفال مثلا، يعتمدون في إكتساب اللغة على ذات الطريقة التي تمكّنهم من إستيعاب القواعد الأساسية الثقافية للمجتمع الذي ينشأون فيه من خلال التفاعل مع الأعضاء الأكبر سنا من جماعتهم الثقافية.

ومع ذلك، فإن اللغات التي تفهم على أنها مجموعة معينة من قواعد الكلام في مجتمع معين، هي أيضا جزء من ثقافة المجتمع التي يتحدث تلك اللغة.

¹ - ت.س.ت. مهادي و س.م. جفاري 'الثقافة واللغة'ص.230
² - فرديناند دي سوسير 'دورة في اللسانيات العامة'ص.116

فالبشر يستخدمون اللغة كوسيلة للتعبير عن الهوية الثقافية داخل مجموعة واحدة وبشكل يميزهم عن باقي المجموعات الأخرى. وحتى المتحدثين بلغة واحدة، فإننا كثيراً ما نجد بعض الاختلافات في استخدام تلك اللغة، و يستخدم كل إختلاف من هذه الإختلافات في تمييز بعض المجموعات الفرعية عن غيرها ضمن إطار الثقافة الأوسع.

في علم اللغويات، تسمى هذه الطرق المختلفة لإستخدام لغة واحدة؛ " أصناف ". فاللغة الإنجليزية على سبيل المثال، يتحدث بها الناس بشكل مختلف في الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا وأستراليا.

وحتى داخل البلدان الناطقة بالإنجليزية، هناك المئات من اللهجات الإنجليزية التي تشير إلى أولئك الذين ينتمون إلى منطقة معينة أو ثقافة فرعية. على سبيل المثال، في المملكة المتحدة، تميز لهجة "كوكني" أولئك الذين ينتمون إلى مجموعة من عمال الطبقة الدنيا في شرق لندن. كما تظهر الفروق بين الأنواع المختلفة من نفس اللغة، غالباً، ليس في الإختلاف في طرق النطق والمفردات اللغوية فحسب، ولكن أيضاً في بعض الأحيان في الإختلاف في النظم البنوية.

هذا وقد تخصص كل من اللغويين و علماء الأنثروبولوجيا اللغوية في دراسة كيفية تنوع طرق الكلام بين المجتمعات التي تتميز بالكلام. و تعتبر طرق الكلام أو الإشارة في مجتمع ما، جزء لا يتجزأ من ثقافة المجتمع ككل، تماماً كما هي الممارسات المشتركة الأخرى. فإستخدام اللغة، هي طريقة لبثورة وتوضيح هوية المجتمع والتي لها علاقة بنفسية الفرد المؤثر والمتأثر بالمجتمع الذي يعيش فيه، قال كليفورد غيرتز في كتابه 'تفسير الثقافات': "تتكون الثقافة من الهياكل النفسية لأفراد أو مجموعات من الأفراد التي توجه سلوكهم، وكذا من أي شيء يجب أن يعرفه الشخص أو يؤمن به لكي يعمل بطريقة مقبولة لأعضائه"¹

فطرق الكلام بين الأشخاص ليست طريقة لتسهيل التواصل بينهم فحسب، وإنما لتحديد هوية ومكانة المتحدث الاجتماعية أيضاً.

وعادة ما يطلق اللغويون على الطرق المختلفة في التحدث بلغة ما، مصطلحاً يشمل لهجات معرفة لغوياً أو ثقافياً، ولغات وأساليب تحدد المجموعة الفرعية ذاتها وتمييزها عن غيرها.

¹ - كليفورد غيرتز- 'تفسير الثقافات' ص11

كما يعرف علماء الاجتماع و الأنثروبولوجيا اللغوية الأسلوب التواصلية على أنه الطريق ال ذي تستخدمه اللغة و الذي يعتبر مفهوماً في إطار ثقافة معينة، فلا تقتصر الاختلافات بين اللغات على إختلاف النطق، والمفردات أو القواعد اللغوية فحسب، بل تتعدى لت شمل الاختلافات في ثقافة الكلام. ونقتبس من دورة في اللسانيات العامة لفرديناند دي سوسير، من حيث اختلاف واستمرارية النمط اللغوي المعبر عن ثقافة ما، مايلي: " المادة الصوتية والأفكار ، كل من هذين العنصرين الموحدتين في العلامة يحافظ على ديمومته الخاصة إلى درجة غير معروفة. وأما اللغة فتتغير، أو بالأحرى تتطور، تحت تأثير جميع القوى التي يمكن أن تؤثر على الأصوات أو المعاني، التطور أمر لا مفر منه، وليس هناك مثال على لغة، ولو واحدة، تقاومه، فبعد فترة معينة من الزمن، يمكن تسجيل بعض التحولات الواضحة"¹

ولكي أبين علاقة اللغة بالمجردات التي يؤمن بها المجتمع، سأعرض نظرية صابير وورف Sapir Whorf التي أوحى أن بنية اللغة تحدد الطرق التي بها يستعمل الناس اللغة، ولكن ثمة شكل آخر ضعيف لفرضية صابير وورف تقول بأن البنية اللغوية لا تحدد النظرة التي يحملها الناس عن العالم والواقع. وهذا الزعم أدهش الكثير من علماء الأنثروبولوجيا و الكثير من علماء اللسانيات² و ثمة نظرية أخرى في علم اللسانيات الاجتماعية، تسمى "نظرية الإنعكاس" (Reflection Theory) تقول أن اللغة، إنعكاس للثقافة يضعها ويستعملها الناس في مجتمع ما، بما أنهم يعطون أهمية لأشياء معينة. وبما أنهم يقومون بأفعال بطريقة ما، فإنهم يستعملون لغة تعكس تلك الأشياء الهامة لديهم، و كل ما يقومون به من أفعال. وحسب هذه النظرة الإنعكاسية، فالثقافة والمتطلبات الثقافية، لا تحدد بنى اللغة، وإنما تؤثر الثقافة في استعمال اللغة فحسب. وأما النظرية المحايدة، فلا تؤمن بوجود علاقة بين اللغة والثقافة على الإطلاق.

وعمل صابير و تلميذه وورف على إثبات العلاقة بين اللغة والثقافة وقال إنهما غير منفصلين وهذا هو النص الشهير الذي تحدث فيه عن تلك العلاقة في كتابه " اللغة " : " الناس، لا يعيشون في العالم الموضوعي وحدهم، ولا يعيشون بمعزل عن النشاط الاجتماعي كما يفهم بصفة عامة،

¹ - فرديناند دي سوسير- ' دورة في اللسانيات العامة 'ص.76

² - اللغة و الثقافة، عز الدين بن عثمان : العدد2404 - 2008/09/14؛ الحوار المتمدن

ولكنهم يعيشون تحت رحمة لغة خاصة صارت وسيلة للتعبير لمجتمعهم. ومن الوهم التام أن نتصور أن الواحد يساير الواقع أساسا من دون استعمال اللغة، وأن اللغة مجرد وسيلة عارضة لحل مشاكل محددة في التواصل أو التفكير. حقيقة الأمر هي أن "العالم الواقعي" إلى حد كبير مشيد على العادات اللغوية المجموعة...، نحن نرى ونسمع، و خلافا لما يقال، نجرب بطريقة واسعة كما نفعل، لأن العادات اللغوية للجماعة تفرض مسبقا إختيارات تأويلية معينة¹.
 قام تلميذ بنجامين لي وورف بتوسيع هذه الأفكار و ذهب إلى أبعد الحدود فقال : " إنه ثمة لدى الفرد إستعداد مسبق يجعل الثقافة و اللغة مترابطين شديد الإرتباط ".
 في رأيه العلاقة بين اللغة و الثقافة علاقة حتمية، وتسمية النظام اللغوي المستعمل وقواعد اللغة النحوية، كما كتب ليست مجرد أدوات لإنتاج أفكار منطوقة، وإنما هي التي تشكل الأفكار وتقود النشاط الذهني للفرد في تحليله وإنطباعاته وفي إستنتاجاته وفي الرصيد الذي يروج له.
 التعبير عن الأفكار في رأيه، ليست عملية مستقلة، عقلية بطبيعتها، بل هي جزء من النحو اللغوي وتختلف إختلافا طفيفا من لغة إلى أخرى.
 وقال وورف، إن نماذج وأنواع التفكير التي يحاول علماء اللسانيات الإجتماعية عزلها لا يجدونها في الواقع بالرغم من أنها ظواهر تحذف في كل ملاحظ في الوجه².
 ويصور العالم كتدفق متلون ومتعدد من الإنطباعات يقوم بتنظيمها الذهن؛ وهذا يعني بعبارة أخرى تلك النظم اللسانية الموجودة في أذهاننا. نحن حسب وورف ننظم الطبيعة في مفاهيم محددة ونعطي أهمية لها؛ و نفعل ذلك عبر ما نتكلم به و ذلك يوضح الترابط الموجود بين اللغة و أشكال النظم الرمزية التي نكوّن.
 الترابط في نظر وورف خفيّ وغير معبرّ عنه، ولكنه حتميّ بصفة مطلقة، نحن لا نستطيع التكلم من دون إعطاء معان لطرق التنظيم و التصنيف الذي نقوم بهما. وبالرغم من قوله بحتمية العلاقة بين اللغة و الأفكار، يناقض وورف نفسه ويقول إن البنى اللغوية لا تحدد تماما الكيفية التي بها

¹ - "اللغة" (1921، ص207)، E sapir ; language , an introduction to the study of speech New york , harcourt , brace , 1921

² - اللغة و الثقافة ، عز الدين بن عثمان : العدد2404 - 2008/09/14 ؛ الحوار المتمدن

ننظر إلى العالم، ثم يقول مرة أخرى أن الفرد ليس حراً في وصف الطبيعة بحياد مطلق ، ولكنه مرغم عن نماذج معينة من التأويل وإن كان يفكر بأنه حر .
بهذه الكيفية، ينظر إلى مبدأ جديد في النسبية؛ إن الملاحظين لا تقودهم نفس الأدلة المادية عن نفس الصورة التي يحملون عن الكون والواقع إلا بقدر ما كانت خلفياتهم اللغوية متشابهة. وحسب هذه الرؤية ، فالملاحظون، وهم الدارسون، يجربون الواقع من خلال لغاتهم وتختلف نتائج أبحاثهم باختلاف لغاتهم.
حسب وورف، مهما فعل الدارس للغة والثقافة، فهو لا يستطيع أن يتجنب رؤية الواقع كما هو موجود فعلاً وإنما من خلال ما تفرضه عليه اللغة¹.

أولاً - اللغة لهجة الساحة الثقافية :

علاقة اللغة، أي لغة، بالثقافة، علاقة متينة جدا كلاهما تساهم في كينونة الأخرى وتغذيتهما والتأثير فيها، و بالتالي كلاهما لا يكون له وجود إلا بوجود الأخر²
إن اللغة بتعريفها البسيط، هي وسيلة إتصال بشخصين أو أكثر، الهدف منها التواصل والتفاهم. ولكي يحدث التفاهم، فلا بد من الإشتراك في معرفة رموز هذه الوسيلة وما تحويه من معانٍ سياقية وإجتماعية وثقافية متفق عليها مسبقاً. فاللغة هي منتج إنساني تراكمي، وثقافي أنتجته ضرورة تواصل أهل بيئة واحدة بعضهم ببعض.
وبما أن اللغة نتاج ثقافي تراكمي، فإن الثقافة تضيف بمعانٍ خاصة على كل كلمة وكل تركيب لغوي يستخدمه أهل اللغة إضافة للمعنى القاموسي. فمعرفة معاني الكلمات و تراكيب الجمل دونما معرفة المعنى و الإستخدام الثقافي السياقي لكل كلمة و تركيب هي معرفة ناقصة.
وبالرغم من الإختلافات الكثيرة في تحديد مفهوم اللغة، إلا أن الكل يجمع على أنها هي لسان الثقافة وعنوان الحضارة و ترجمانها. فاللغة هي القناة التي من خلالها تنتقل العلوم من الأمة وإليها وفيها و عنها. وهي وعاء الفكر و ميدان الإبداع. و هي كما يراها أهل الإختصاص وسيلة يبتكرها الإنسان لكي يتكيف مع بيئته من خلال تطوير أساليب الإتصال، و التخاطب؛ فهي بين البيئة و نبتتها.

¹ - اللغة و الثقافة ، عز الدين بن عثمان : العدد 2404 - 2008/09/14 ؛ الحوار المتمدن
² - دراسة آليات اللغة و الثقافة ، منتدى السوافة / 2011/07/24

ولهذا، فإن كلمات اللغة ومفرداتها ما هي إلا تراكيب بيئية مجردة، ذات أبعاد مفاهيمية متعددة، يتوازي عمق المفهوم بها مع عمق المفردة أو الكلمة في البيئة، و تنتسق هذه التراكيب اللغوية فيما بينها لتؤلف بناء وإطار ثقافي يؤثر في النظرة العامة للبيئة والفرد والمجتمع. تتخذ الدراسات في مجال اللغة واللسانيات أهمية متزايدة اليوم، وذلك نتيجة تفاعل اللغات والثقافات من خلال الإستعارة و التبني والإستخدام اليومي لمنتجات أنتجها البعض - الغرب بوجه خاص - ويستخدمها الجميع.

وفي كتاب " اللغة و الثقافة "، تسلط الكاتبة كلير كرامش، الضوء على الأرض التمهيدية لدراسة آليات اللغة لحاجة الساحة الثقافية مبيّنة في هذه الدراسات العلاقة الجوهرية بين اللغة و الثقافة منذ فرضية سابير وورف.¹

وما أطلق عليه نظرية النسبية اللغوية التي تقول بأن المفاهيم والتصنيفات الثقافية المختلفة الكامنة في لغة معينة تؤثر على إدراكنا للعالم المحيط بنا، وعلى هذا الأساس -وفق معايير سابير وورف- فإن المتحدثين بلغات مختلفة يفكرون و يتصرفون وفق أنماط مختلفة.

بداية تشير إلى تعريف اللغة باعتبارها الوسيلة الرئيسية التي ندير بها حياتنا الإجتماعية وعندما نستخدم اللغة في سياقات التواصل تتعقد الصلة بينها وبين الثقافة في نواح كثيرة ومتشابهة، فالكلمات التي ينطق بها الناس تشير إلى الخبرات المشتركة، لأنها تشير إلى مخزون من المعرفة بهذا العالم، يشترك فيه آخرون، كما تعكس مواقف كتابها و معتقداتهم و وجهات نظرهم. فاللغة تضطلع في الحالتين بالتعبير عن واقع ثقافي، كما أنها نسق من العلامات ذات قيمة ثقافية، لأن المتحدثين يعبرون عن هويتهم و هوية الآخرين من خلال إستخدامهم لها.

ومن الوسائل التي يستعان بها على فهم الثقافة، مقارنتها بالطبيعة، وتستعين المؤلفة بقصيدة " الوردة " لإيميلي ديكينسون² لتؤكد على أهمية العلاقة بين الطبيعة والثقافة واللغة، مشيرة إلى أن الطبيعة والثقافة لا غنى لأحدهما عن الآخر، فما كان للقصيدة أن توجد في الأصل، لولا وجود

¹ - Language and Culture-Claire Kramsch, published December 1998 by Oxford University

ترجم الكتاب د. أحمد الشيمي، و راجعه عبد الودود العمراني سنة 2010، U.S.A Press,

² Nobody knows this little rose by poem Emily Dickinson (1830-1886) -

الورد في الطبيعة، وما كان لأحد أن يفهم القصيدة لو لم تشارك قراءها بعض الفرضيات والآمال المشتركة عن حدائق الزهور.

وتأسيسا على قراءة قصيدة ديكينسون تبدو الخصائص المتعددة للثقافة في كونها أولا نتاج التدخل الإنساني في العمليات البيولوجية للطبيعة. وثانيا، في التحرير والتقييد : إنها تحرر لأنها تستثمر بعفوية الطبيعة، و ذلك بإضفاء معنى و نظام على هذه الطبيعة وتحميها من الفوضى. وتقيّد، لأنها تفرض على الطبيعة بنية ليست منها وتحدّ من مجال المعاني الممكنة التي أبدعها الفرد. كما أن الثقافة هي نتاج مجتمعات لها ظروف إجتماعية و تاريخية خاصة، و هي إلى حد كبير مجتمعات تصويرية خلّفتها و شكّلتها اللغة¹.

وتمثل لغة أيّ مجتمع و إنجازاته المادية، ميراثا إجتماعيا ورأس مال رمزي. وأخيرا، كون الثقافات في الأصل متغايرة الخواص وفي تغير دائم، فإنها تشكل مضمارا للصراع الدائم من أجل إثبات الذات و تحقيق شرعية الوجود.

أما نظرية سايبير وورف الراديكالية التي تزعم أن اللغة تحدد طريقتنا في التفكير وهي لا تقبل الجدل، بالرغم من أن هناك من خفّف من حدة هذه النظرية وخرج بنظرية أقل شيوعا، ولكنها تستند إلى نتائج بحثية خلّصت إلى وجود إختلافات ثقافية في العلاقات الدلالية التي تستدعيها مفاهيم تبدو مشتركة في ظاهرها. وتزعم هذه النظرية أن الطريقة التي تحوّل بها اللغة الخبرة إلى رموز دلالية، لا تجعل هذه الخبرة متاحة إلا لفئة خاصة من الناس، ويتحقق المعنى في اللغة من طريقين أساسيين، وكلاهما مرتبط بالثقافة.

الأول : ما تعنيه الألفاظ، أو ما تشير إليه.

الثاني : ما تحدّثه اللغة من فعل داخل سياق الذرائعية.

ولما كانت العلامات تضطلع بإنشاء جملة من العلاقات الدلالية المختلفة بين الكلمات والأشياء، معجمية أو إيحائية أو تطابقية، وتعطي هذه العلاقات بدورها العالم معنى عام، بالإضافة إلى ذلك، نجد أن العلامات تعمل على إنشاء علاقات دلالية مع علاقات أخرى، في البيئة المباشرة للمبادلات اللفظية أو في السياق التاريخي لخطاب مجتمع معين. و لا يكون خلف المعنى من خلال العلامات

¹ - دراسة آليات اللغة و الثقافة ، منتدى السوافة / 2011/07/24 www.al-souafa.ahlamountada.com

مصطنعا أو متعسفا ولكنه يتأتى من رغبة الإنسان للمعرفة والتأثير وإملاك السلطة، والرغبة الفطرية العامة في التعايش الإجتماعي والثقافي. ولما كان المعنى مشفرا في اللغة من أجل غرض معين، فإن المعنى بوصفه علامة. وهنا تكمن الصعوبة في الفصل بين المعاني الدلالية النوعية للشفرة، عن المعاني الذرائعية لها في سياقات متباينة أثناء الإستخدام.

وعند إنشاء المعنى، نجد كل إنسان يستلهم تفسيره الخاص للحوادث من خبرته ومجال إدراكه ويشترك سياق الموقف وسياق الثقافة في إنتاج هذه الأفعال لأنها يمنحانها التماسك البراغماتي المطلوب. فحين يتحدث المتحدثون ينطلقون في حديثهم من أطر للتوقعات يتقاسمونها مع آخرين يعيشون تاريخ الحياة والسياق الثقافي نفسه وعلى أساس هذه التوقعات يضع المتحدثون أنفسهم في مواجهة سياق الحال الخاص بتبادل معين عن طريق الإشارات المساقية. وتعد الإشارات المساقية دليلا على إستدلالات الحال التي ينتجها المتحدثون تأسيسا على طرق التوقعات المشتركة من الناحية الثقافية التي تنطبق على الموقف المحلي للتبادل، وتمنح تلك الإشارات التبادل الحواري والتماسك الدلالي المطلوب.¹

ويبقى المشاركون على هذا التماسك اللفظي عن طريق إتباع مبدأ التعاون الحواري الذي يدفعهم إلى أن يضعوا توقعاتهم جنبا إلى جنب مع توقعات الآخرين، حين يلعبون أدوارا متباينة كمشاركين، وتتناغم كل هذه الأفعال التي يصنعها المشاركون مع المعايير والأعراف الثقافية للجماعة التي ينتمون إليها وإلى مواقفها ومعتقداتها. حيث ترى كلير كرامش، أن هناك علاقة تطابق كامل بين اللغة التي يتحدثها أي فرد وهويته الثقافية، حيث أن اللغة من أكثر الإشارات أهمية في العلاقة بين الفرد والجماعة التي ينتمي إليها.

فالتماثل أو عدمه بين الفرد ولغته إنما يتجلى في سلوكه وينعكس على حياته بشكل واضح، كون اللغة جزءا من تركيبنا العضوي، وتهيمن على وجداننا ورؤيتنا للعالم من حولنا، غير أنها هي ليست كل شيء. وإذا كانت تدل على علاقتنا بالعالم، فليست هي نفسها العلاقة بيننا وبين هذا العالم.

¹ - دراسة آليات اللغة و الثقافة ، منتدى السوافة / 2011/07/24 www.al-souafa.ahlamountada.com

ومن هنا، فإن العلاقة بين اللغة والثقافة، من أكثر القضايا جدلاً في الدراسات الأدبية، كونها تخضع لمعايير التبدل والتغير، و إرتباطها عبر الثقافي، وبين الثقافي ومتعدد الثقافي فضلا عما أصبح¹ يعرف اليوم بسياسات الإعراف. فالأفراد يحتاجون إلى الإعراف بهم كأفراد أولاً و بهويتهم الاجتماعية في الجماعة التي ينتمون إليها ثانياً. وتختتم المؤلفة، كلير كرامش، بأن الرؤية القائمة على التعدد الثقافي للعلاقة بين الهوية اللغوية من جهة، و الهوية الثقافية من جهة أخرى، إنما تنطلق هي نفسها من تراث يضرب بجذوره في الثقافة المدنية للمجتمع الصناعي، ونجد اليوم الهوية آخذة في الإتساع، ليس بين الثقافات القومية فحسب، بل بين من أصبح في مقدوره القفز فوق القومية والدخول في العالمية المعولمة.

ثانياً - العولمة الثقافية اللغوية :

لا تنفصل قضايا عولمة الثقافة والقيم عن قضايا عولمة اللغة، ولا تقتصر عولمة اللغة على التعبير عن المقومات الثقافية العالمية، أو الربط بين المقومات الدينية التراثية والمقومات العالمية الحديثة، أو تحديد مفاهيم المصطلحات المتداولة عالمياً، ولكنها تتجاوز تلك الجوانب للنظر في الأهمية المصيرية للغة في بنیان أيّ قومية بوصفها وسيلة التفاهم والإندماج الإجتماعي، وعاملاً مهماً في التجانس القومي، لأن إستعمال لغة واحدة يؤدي إلى وحدة الرأي والشعور، وإنعكاس أنماطها على نمط تفكير أصحابها، وإشتمالها على تاريخ الأمة وثقافتها و أدبها وتراثها الفكري. فكيف تتحقق هذه الأبعاد أو تحافظ عليها في عمليات العولمة الثقافية واللغوية التي تتجاهل التنوعات، وتسعى جاهدة للتقريب بين الثقافات بتغليب النمط العربي للحياة، وتيسير وسائل الإتصال بتمكين اللغة الإنجليزية مثلاً؟

إن ثمن العولمة الثقافية هو ترك باب الثقافة الخاصة مفتوحاً للغارة العالمية في شكل الثقافة الأمريكية الشائعة، وبالتدريج يكون كل شيء متشابهاً في العالم كله. ومن الملحوظ وجود فرق يسير جداً بين مظاهر الثقافة العالمية، فالرجل العالمي يشبه الرجل العالمي الآخر في أنشطة حياته اليومية.²

¹ - دراسة آليات اللغة و الثقافة ، منتدى السوافة /2011/07/24 www.al-souafa.ahlamountada.com

² - العولمة و الثقافة اللغوية و تبعاتها للغة العربية، د.أحمد عبد السلام- الجامعة الإسلامية العالمية/ماليزيا- مجّع اللغة العربية الأردني

ويكاد كل قطر من أقطار العالم يشبه سائر أقطار العالم في الإهتمامات، والتوجهات الثقافية والمعرفية والإقتصادية والممارسات الإجتماعية. ويؤثر الأنترنت والبث الفضائي وغيرها من وسائل العولمة في تكوين هويتنا و أنماط التفكير لدينا و طريقة إتصالنا بغيرنا، و علاقتنا بهم في القرن الحادي والعشرين ولم يستطع الفرنسيون مقاومة غارة الثقافة الأمريكية، و هم المتصوفون بالأسلوب الهجومي في الدفاع عن لغتهم و ثقافتهم والحفاظ عليها نقيتين.

ويلاحظ أن العولمة ظاهرة تقبلها دول العالم الثالث طواعية دونما شعور بضياح جزء كبير من هويتها و ثقافتها المميزة.

تشار في مباحث العولمة الثقافية واللغوية في أوروبا مسائل المحافظة على التنقلات الإقليمية والمحلية، ولزوم الحفاظ على الهوية الثقافية مع المضي قدما في تسيير العولمة الإقتصادية والإتصالية لجميع المجتمعات الغنية أو الفقيرة، و المتقدمة أو النامية أو المتخلفة، و لعل المنطلق أن اللغة تمثيل للثقافة، والعقيدة الجماعية لمستعملي اللغة، و بها تتجلى عقليتهم، وأن الفرد الذي يكسب، إنما يتعلم ثقافة بعينها، و لا وسيلة للتعبير عنها أفضل من لغتها التي نشأ فيها ومعها وأصبحت جزءا من كيانه وشخصيته، وأن ما يصيب اللغة من نكسة، تعدّ نكسة لكيان الإنسان وكرامته و في تطور اللغة إعتبار لكيانه و معاضدة لكرامته.

لا تعني عولمة " السلع " الثقافية مجرد إجراءات تحوّل الممارسات والتعبيرات إلى مستوى عالمي؛ ذلك أن تحويلها في سياقات ثقافية، و لغوية جديدة، قد يقتضي تحولا جذريا وإجراءات متنوعة لتطويعها، وإستيعابها في سياقات مختلفة يمكن أن تؤدي إلى نتائج مختلفة أو معاكسة لدى إستيعابها في الممارسات الثقافية المحلية. ومما يدل على ذلك تأثير العولمة على تغيير الخطاب السياسي لدى إستعمال مصطلحات مثل (القومية، و الوطنية، و بناء الدولة ... و غيرها).

وقد تسبب عولمة التنقلات إشكالا في الممارسات الثقافية والتعبيرية الشائعة والمتوافرة في الثقافة واللغة المعنيتين من خلال بعث التناقضات في النظام الخطابى الإقليمي أو المحلي، كما يوجد مثلا في بنية التغييرات المستعملة في العلاقات الإجتماعية والهوية الاجتماعية و في المسائل السياسية. قد تجلب العولمة التباين الإجتماعي، وتكوين الهوية الجديدة عن طريق الردود المتباينة من الجماعات المحافظة و المتحررة المعاصرة، وربما تكون هذه الردود عناصر مهمة في عملية

العولمة الثقافية بشكل عام يعتمد عليها الأفراد في فهم الأشكال الثقافية الحديثة وتكوين الهوية المستجدة. وتختلف خبرات عولمة الممارسات الثقافية والخطابية وإجراءاتها من منطقة إلى أخرى. ففي أمريكا اللاتينية مثلا توجد عولمة الممارسات داخل أمريكا اللاتينية، كما توجد عولمة صادرة عن سيطرة الدول المتقدمة على الممارسات الخاصة بأمريكا اللاتينية (Fairclough). ونلاحظ في العالم العربي تأثيرا سافرا على الممارسات الثقافية التي تقترب من الثقافة الغربية، أو التي تحايد إتجاه إنتشارها أو التي تنحاز إلى العولمة بالسعي الحثيث نحو التعريب الكامل، أو ما تؤدي إليه العولمة أي التنقلات الإقليمية في الأقليات المحلية العرقية واللغوية التي تحاول إحياء ثقافتها و لغاتها، و المطالبة بحقوق ممارساتها. ونجد " غزوا لغويا " قادمًا من اللغتين الإنجليزية والفرنسية في إطار عمليات العولمة و لهذه المظاهر جميعا تأثير على الممارسات المتبادلة بين الأقطار العربية.¹

إن تنوع اللغات والثقافات، ثروة بشرية، وكنز يستحق الحفاظ عليه لتحقيق الأهداف التربوية والسعادة والفائدة الاقتصادية. ولكن نقطة الإزعاج في العولمة ربما هو تنامي الثقافة الأحادية العالمية بواسطة وسائل الإعلام الدولية الغربية وشبكة العلاقات والاتصالات العامة التي تحاول بجدّ تشكيل كيفية لبس الناس، و طريقة أكلهم وعيشهم والنمط المعرفي و الفكري لديهم. وتحاول تجريد الأغلبية البشرية من هويتهم الثقافية و قدرتهم على تشكيل مصيرهم بأنفسهم في هذا النظام المعولم. وإن العاقبة الوخيمة التي يخشى منها، هي وجود عالم تستعصي السيطرة عليه، أو التحكم في شؤونه أو توجيه أحداثه.

وليس الحديث عن اللغة العالمية مجرد أو هام، فمتحدثو اللغة الإنجليزية يرون أنها ترقى إلى مستوى اللغة العالمية لأنها شائعة الإنتشار، ومستعملة لدى عدد كبير من الشعوب مقارنة بغيرها من اللغات. ويرى متحدثو اللغة العربية أنها لغة عالمية، وان لم يكن القصد بالعربية العالمية أن تكون لغة الناس قاطبة في هذه المعمورة. و لعل مما ساعد العربية، و خاصة الفصحى على تحقيق هذا الإنتشار أنها لغة القرآن الكريم و أنها متصلة الإستعمال عبر مراحل الزمن المتعاقبة، وأداة وصل حقيقية بين الإنسان العربي المعاصر و بين تراث أمته عبر القرون الماضية. ومن مظاهر

¹ - العولمة و الثقافة اللغوية و تبعاتها للغة العربية، د. أحمد عبد السلام- الجامعة الإسلامية العالمية/ماليزيا- مجّع اللغة العربية الأردني

عالميتها تأثيرها على عدد من لغات الشعوب المسلمة، وكتابة بعض اللغات غير العربية بالحروف العربية وإستعمال الأرقام العربية في عدد من اللغات فضلا عن التوازي بين التهجي الصوتي والرموز الكتابية في أغلب ألفاظها.

ومن البديهي أن تسعى كل دولة لتكون لغتها هي لغة العالم، ولكن أهلية كل لغة تستند إلى ما تمتلكه من الجمال الصوتي و البساطة النحوية و الإنجاز الأدبي، والأهمية التجارية والسياسية. ويعتقد اللغويون أن لغة العالم ينبغي أن تختار على أساس سهولة تعلمها لعدد أكبر من الناس، وإتصافها بخاصيتين مؤهلتين هما : توازي الرموز المكتوبة مع الرموز الصوتية و تبني كل أقطار العالم لها في الإتصال في الوقت نفسه.

ولكن هناك من اللغويين من يرى أن الخصائص الجمالية والتعبيرية واللفظية والتركيبية والنحوية والأدبية والصلة الدينية والثقافية، كلها دوافع لتعلم لغة رسمية فتستعمل وسيلة إتصال في مجالات الحكومة والمحاكم و الإعلام والنظام التربوي، وثانيهما جعلها لغة مهمة في مجال تعليم اللغات الأجنبية في الأقطار التي يكون لها فيها وضع رسمي.

وينبغي أن تكون اللغة العالمية مستعملة شائعة في الإتصال العالمي، مبسطة، ميسرة خالية من أي تعقيد لكي يتيسر التعامل التجاري والثقافي بها وأن تكون شائعة على المستوى الإجتماعي بين أغلب الناس في العالم، و ليس ضروريا أن تكون مصطنعة أو تفقد الخصائص الثقافية المحلية والإقليمية و التاريخية لها، أو أن تكون شعارا للهيمنة الإستعمالية العالمية الجديدة. ولا يستلزم جود اللغة العالمية القضاء على غيرها من اللغات أو مزاحمتها في وظائفها و مجالاتها الإقليمية أو المحلية المحدودة.

وينبغي أن نضيف إلى ما سلف أنه لا يتعلق تحويل لغة إلى العالمية بعدد متحدثيها وإنما يتعلق بنوعية هؤلاء المتحدثين وقوتهم الثقافية، فهناك صلة وثيقة بين هيمنة اللغة والقوة الثقافية وما يساندها من قوة سياسية وعسكرية وإقتصادية.¹

¹ - العولمة و الثقافة اللغوية و تبعاتها للغة العربية، د. أحمد عبد السلام- الجامعة الإسلامية العالمية/ماليزيا- مجمع اللغة العربية الأردني

خلاصة

العلاقة بين اللغة و الثقافة من حيث التداخل و التشابك، تأخذ سجالاتا فكريا وجدليا، ويتولد عنهما الكثير من المعايير التي تساهم في إغناء كل واحدة منهن لحساب الأخرى. فاللغة تكون نتاجا وتطورا فكريا للإنسان و يحدد بها نمط تفكيره و مستوى حياته، مما يجعل كثرة اللغات ينتج عنه كثير من أنماط التفكير الإنساني، و هذه الأنماط الفكرية والمسافات المعرفية و تعددها، سينتج عنها الكثير من تلك الصور، وهذا ما يشكل الجزء الكبير بما ندعوه الثقافة.

كما أن الثقافة هي الأخرى، لا تقف عند حد اللغة، وأن المساحات التي يتقاطع فيها مفهوم اللغة مع مفهوم الثقافة كثيرة و متشعبة و متداخلة، حتى يصعب علينا فك كل واحدة عن الأخرى.

وفي هذه الحالة، يمكننا القول إن حالات التشابك هي الممرات والقنوات التي تمرر إسهامات اللغة في الثقافة وتطورها، و كذلك إسهامات الثقافة في اللغة. فعندما يخرج مصطلح في اللغة، لا بد أن تشارك الثقافة في صياغة مفرداته و بشكل كبير على دلالات ذلك المصطلح و جواراته و خياراته. وعند ذلك تحدد فيها معايير الثقافة وفضائها لتختزل في ذلك المفهوم أو المصطلح، في مجالات أخرى لا تكون اللغة أساسا في تكوين الثقافة إلا في حالة متقدمة على ذلك المنجز الثقافي.

ولا يقتصر مفهوم اللغة على ما هو مكتوب فحسب، بل على ما هو منطوق بتلك اللغة، وإن كان ذلك لا يشكل قاعدة؛ مما يجعلنا نقول أن اللغة و الثقافة ولدتا من رحم التفكير الإنساني.

ومن خلال تعريف اللغة أيضا، نلاحظ ذلك التقاطع في المفاهيم يعبر عنها ابن جنّي بقوله: " اللغة مجموعة من الأصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ".

وفي تعريف آخر، يرى البعض بأن اللغة هي الجسر الذي يربط أجيال المجتمع عبر القرون. فلا يمكن معرفة تاريخ و ثقافة شعب، إلا من خلال لغته، والتي تسمى أيضا بأنها الوعاء الفكري الذي يضم تاريخ و حضارة و إبداع و ثقافة تلك الأمة.

ويرى عالم اللسانيات أنطوان مائييه Antoine Maillet، في كتابه " لغات العالم " بأن: " كلمة لغة تعني جهاز متكامل من وسائل التفاهم بالنطق المستعملة في مجموعة بعينها من بني الإنسان بصرف النظر عن الكثرة العددية، أو المجموعة البشرية أو قيمتها من الناحية الحضارية. "

كما يشير تعريف دوسويير Desaussure، في علاقة الثقافة مع اللغة من خلال التعريف التالي : " إن علم اللغة يرتبط بقوة العلوم الأخرى ويستعير من معطياتها أحيانا كما يزودنا بالمعطيات أحيانا أخرى. "

وبالتالي ، فاللغة هي إنعكاس للثقافة، وعند حدوث تغييرات ما في الحياة، فإن هذا الأمر ينعكس في الثقافة ثم في اللغة التي يعتبرها دوسويير Desaussure : " واقعة إجتماعية، وخصوصياتها ليست مجردة، بل متواجدة بالفعل في عقول الناس. وبعبارة أخرى، فهي مجموع كلي متكامل، كامن ليس في عقل واحد، بل في عقول جميع الأفراد الناطقين بلسان معين. "

ونلاحظ أن دوسويير Desaussure يشبه اللغة : " بالقاموس الذي يمثل في الأصل الذاكرة الجماعية لما يحتويه من علامات، لا يطبق الفرد الواحد أن يختزنها في دماغه" فاللغة من وجهة نظر النظرية الدوسوييرية نظام؛ ذلك أنه يعتبرها : " نسقا معيناً، مضبوط الحدود، وهي الجانب الاجتماعي من الكلام الخارج عن نطاق الفرد الواحد، وهي لا توجد إلا بمقتضى نوع من التعاقد بين أعضاء المجموعة البشرية الواحدة. "

فاللغة من وجهة نظر بعض اللغويين الذين ينظرون إليها على أنها تابعة لميادين الفلسفة والمنطق والعواطف، هي أداة لنقل الأفكار والأحاسيس، وكل ما يختلج بصدر الإنسان، لأن هذا الأخير حينما " ينطق بعض الكلمات، إنما يفعل ذلك لكي يعتبر : أي ينقل العواطف والأحاسيس، والأفكار من الداخل إلى الخارج. "

ومن هنا، فاللغة تتيح لكل إنسان تبليغ تجربته الشخصية إلى نظائره. ويشمل مفهوم التجربة كل ما يشعر به الإنسان أو يلاحظه، سواء أخذت هذه التجربة صبغة يقين أو شك أو رغبة أو حاجة. ويمكن التبليغ أن يتم في قالب إثبات أو إستفهام أو طلب أو أمر دون أن يخرج من إطاره الخاص. وخلاصة القول، فإن هذه العناصر المتعددة التي تضافرت في الطاقات البشرية والوسائل الفنية والمادية المتنوعة، يجمع بينها قاسم مشترك هو الخلق والإبداع الذي يتجه إليه الإنسان للتعبير عن ذاته والتواصل مع الآخر، ومن ضمن ما ترمي إليه، هو الحفاظ على اللغة و تطويرها.

وبالتالي، فأجهزة الثقافة هي المسؤولة عن وضع اللغة والمحافظة عليها من الإندثار والذوبان تحت تأثير اللغات الدخيلة والمصطلحات الأجنبية، وهي مطالبة في نفس الوقت بإثراء هذه اللغة حتى

تكون أفضل أداة وصل بين ماضيها ومستقبلها، وتبقى قادرة على تمكين الشباب من إستيعاب العلوم الحديثة على غرار نظرائهم من الدارسين باللغات الغربية الكبرى.

الفصل الثاني

اللغة كأداة للاتصال و التواصل الإنساني

فهرس الفصل الثاني

39.....	تمهيد
40.....	المبحث الأول : اللغة و إشكالية التواصل و الدلالة :
44.....	المطلب الأول : الأبعاد الرابطة بين اللغة و التواصل :
45.....	المطلب الثاني : اللغة و التواصل :
60.....	المبحث الثاني : دور المتلقي في تفعيل العملية التواصلية :
61.....	المطلب الأول : التواصل و التلقي :
64.....	المطلب الثاني : التواصل بين الثقافات :
86.....	المطلب الثالث : التواصل و الإتصال السياسي :
88.....	خلاصة

تمهيد

مما لا شك فيه، أن عمليات التأثير والتأثر والتفاعل الإجتماعي تقوم على عملية الإتصال، وعملية الإتصال هذه تقوم على أساس اللغة، حيث تعتبر اللغة من أهم وسائل الإتصال التي يستخدمها الإنسان في التفاعل مع غيره من بين جنسه ومشاركاتهم خبراتهم. وقد أدت مشاركة الغير في خبراتهم والتفاهم معهم بإستخدام اللغة إلى قيام مجتمعات ولكل مجتمع ثقافته التي تميّزه عن غيره.

ولما كانت اللغة هي الأداة التي يستخدمها الإنسان في تفكيره والتعبير عن وجدانه وفهم رغبات الآخرين و التعبير عن رغباته، أضحت محلّ إهتمام العلماء كلّ يدرسها من زاوية إختصاصه وتخصصه؛ إذ تناولها علماء الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) من ناحية الإختلافات اللغوية من موطن إلى موطن، و تناولها المؤرخون و علماء علم الإجتماع من ناحية التغييرات التي طرأت عليها، وتناولها النحويون واللغويون من ناحية قواعد اللغة وتكوين الجمل وتركيباتها. وإهتم بدراستها علماء علم النفس الإجتماعي لما يمكن أن تكشفه عن الوظائف النفسية للإنسان بإعتباره الكائن الحيّ الوحيد الذي يستخدمها، حيث يدرسها العلماء في هذا المجال على أنها الأداة الأساسية لإتصال الإنسان بالغير.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن معرفة الإطار المرجعي للآخرين في أثناء تبادل الحديث معهم، أمر في غاية الأهمية، و لذا نحن نجد أنفسنا أقدر على فهم أصدقائنا والتجاوب معهم، أكثر من فهمنا للغرباء، لأن الخبرة المشتركة تؤدي إلى سهولة حلّ الشفرات المستخدمة. ومن خلال ما سبق، يتأسس الطابع الإشكالي لمفهوم اللغة. فهل اللغة ظاهرة خاصة بالإنسان؟ كيف يتمّ إنتاج الدلالة والمعنى في اللغة؟ وما الفرق بين العلامة اللسانية والرمز اللساني؟ وهل تعتبر اللغة منبثقة عن فكر جاهز أم عن فكر يتشكّل بإستمرار؟ وكيف تقوم اللغة بوظيفة التواصل؟ هل يتمّ ذلك بشكل شفاف و واضح أم أن اللغة ما هي إلا وسيلة للإخفاء والكتمان؟

المبحث الأول : اللغة و إشكالية التواصل و الدلالة :

كثيرا ما حاول الباحثون تحديد مفهوم اللّغة و عن إمكانية تصوّر عالم إنساني يعجّ بالصفّات و التصوّرات، و باقي التحديدات الأخرى خارج ما توفّره اللّغة من مفاهيم و مقولات.

فاللّغة تعتبر في نظر العامّة مرادفاً للكلام، بالإضافة إلى إعتبارها مجموعة من الكلمات، كلّ كلمة تقابل شيئاً معيّناً و تدلّ عليه. لكن إذا قمنا بمقارنة سريعة بين كلّ من اللّغة و الكلام، سننتهي إلى أن اللّغة ليست هي الكلام، فهذا الأخير فردي خاص، وهو حدث زماني قابل للزوال و التجدد، في حين أن اللّغة من حيث هي أصوات و حروف و كلمات تبقى ثابتة و ذات طابع إجتماعي عام.

ومن خلال ما سبق، يتأسس الطابع الإشكالي لمفهوم اللّغة. فهل اللّغة ظاهرة خاصة بالإنسان ؟ كيف يتمّ إنتاج الدلالة و المعنى في اللّغة ؟ وما الفرق بين العلامة اللّسانية و الرمز اللّساني ؟ وهل تعتبر اللّغة منبثقة عن فكر جاهز أم عن فكر يتشكّل بإستمرار ؟ وكيف تقوم اللّغة بوظيفة التواصل ؟ هل يتمّ ذلك بشكل شفاف و واضح أم أن اللّغة ما هي إلا وسيلة للإخفاء ؟

إن تحديد معنى اللّغة يتطلب أيضا الوقوف على الدلالة المعجمية لهذه الكلمة، ففي اللسان العربي نجد أنها مشتقة من اللغو، و تعني الكلام الغير مفيد، أما في لسان العرب لابن منظور، فهي كلمات يعبر بها قوم عن أغراضهم¹ ويركز ابن منظور بذلك على البعد التواصلية للغة.

أما في اللسان الفارسي، فنجد كلمة language من اللاتينية lingua التي تعني الكلام و الخطاب و في الكلمة اليونانية logos، فلها معان متعددة كاللسان و الكلام و الخطاب و العقل، و يفهم معناها من خلال السياق التي وردت فيه.

لقد خضعت اللّغة إلى تصورات مختلفة و وصلت إلى حد التباين، فلقد أعتبرت اللسانيات البنيوية اللّغة مجموعة من الملفوظات يتعين وصفها و تصنيفها و صفا واقعيًا. في حين حوّل شومسكي مجال البحث اللّساني من دراسة اللّغة بإعتبارها موضوعا خارجيا إلى دراسة نسق المعرفة اللغوية المكتسبة و المتمثلة في دماغ المتكلم، بذلك شكلت " القدرة النحوية " موضوع البحث اللّساني التوليدي.

1 - " اللّغة " www.madaris.fr/philosophie

ومثلما نازع التوليديون البنيويون في موضوع النظرية اللسانية، نازع الوظيفيون التوليديون في موضوع اللسانيات وأسسها و توجهاتها. إذ بظهور اللسانيات الوظيفية، أصبح موضوع النظرية اللسانية هو " القدرة التواصلية " الذي يرجع أصل ظهوره كما بيّن هايمز Hymes إلى إلتقاء تيارين متميزين هما : النحو التوليدي التحويلي و إثنوغرافيا التواصل لإشتراكهما معا في البحث عن نوع وطبيعة الطاقات التي يتوفر عليها مستعملو اللغة الطبيعية.¹

إن وظيفة اللغة التواصلية تعطي لمستعمل اللغة الطبيعية إمكان التواصل، وإمكان توظيف العبارات في المقامات المناسبة ...

وعلى هذا الأساس، فإن منطلق الوظيفتين يمكن تلخيصه في مسألتين أساسيتين:²

أ- الوظيفة الأولى للغة هي التواصل.

ب- تحدد الأهداف التواصلية بنيات اللغات الطبيعية.

ولعل هذا هو المبدأ الذي يحكم أيضا رواد سيمولوجيا التواصل، حيث يرى أنصار هذا الإتجاه في الدليل "signe le" غير كونه أداة تواصلية أو أداة قصد تواصلية، " إن الوظيفة الخاصة بالبنيات السيميوطيقية التي نسميها بالألسنة هي التواصل. ولا تختص هذه الوظيفة بالألسنة فقط، وإنما توجد أيضا في البنيات السيميوطيقية التي تشكلها الأنواع الثنائية غير اللسانية "³.

وبذلك يمكن للسيميولوجيا حسب بويسنس، أن تعرف بإعتبارها " دراسة طرق التواصل، أي دراسة الوسائل المستخدمة للتأثير على الغير والمعترف بها بتلك الصفة من قبل الشخص الذي يتوخى التأثير "⁴.

وقد طالب بويسنس وبرييطو ومونان تلافيا لتفكيك موضوع السيميولوجيا بالعودة إلى الفكرة السوسيرية بشأن الطبيعة الإجتماعية للعلامات. لقد حصرنا السيميولوجيا بمعناها الدقيق في دراسة أنساق العلامات ذات الوظيفة التواصلية.

¹ - Hymes (d) : vers la compétence de la communication T.y,de l'anglais par France-mulger Paris. Haheer,1974

² - مستفاد عن حفيظ سماعيلي علوي، في حديثه عن قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية عالم الفكر م. 33 ع.2 سنة 2004 ص 201،202.

³ - -Pricto(l,j) : pertinence et pratique, éd. De minuit 1975, paris 10.11

⁴ - -Buysens (E) : la communication et l'articulation linguistique p.u.f

والتواصل لدى بوسينس هو الهدف المقصود من السيميولوجيا، بل إن السيميولوجيا، كما يرى بريبطو ينبغي عليها أن تهتم، فيما يرى بويسنس بالوقائع القابلة بالإدراك والمرتبطة بحالات الوعي المنتجة بقصد التعريف بحالات الوعي هاته¹. وبعبارة أخرى، فإن التواصل هو الذي يشكل موضوع السيميولوجيا، "والتواصل المقصود هو من جنس التواصل الإنساني، لأن هذا التواصل، هو التواصل الحق".

وإذا أخذنا بعين الاعتبار كل ما سبق، فإن موضوع السيميولوجيا، هو الدلائل القائمة على القصدية التواصلية، و لهذا السبب سميت هذه السيميولوجيا، سيميولوجيا التواصل.

وإذا كانت اللغة، كما يوضح كلود ليفي سترأوس، هي الخط الفاصل بين الطبيعة والثقافة، فذلك لأن اللغة تنفرد بميزة إنسانية، و ثقافية و إجتماعية. ومن هذه الزاوية بالذات ينظر بارت إلى اللغة بوصفها واقعة ثقافية، بالمفهوم السيميولوجي للكلمة، مرتبط بالقيم العلمية، والفكرية والفنية وبالتالي، فاللغة هي نشاط إنساني الغرض منه أساس التواصل وتوظيف للثقافة وتنشيط لها، على اعتبار أن دلالة الأشياء لا تنشأ خارج اللغة بل داخلها. و عليه، فعندما ننتقل إلى مجموعات ذات عمق سوسيلوجي حقيقي، فإننا نواجه مجددا اللغة، ومن الأكيد أن الأشياء والصور والسلوكيات يمكنها أن تدل، إلا أنها لا تقوم بذلك أبدا بصورة مستقلة. " إن كل نسق سيميولوجي يمتزج باللغة "².

إن كل المجالات المعرفية ذات العمق السيميولوجي الحقيقي، تفرض علينا مواجهة اللغة. ذلك أن "الأشياء" تحمل دلالات. غير أنه ما كان لها أن تكون أنساقا دالة، لولا تدخل اللغة ولولا إمتزاجها باللغة. فهي إذن تكتسب صفة النسق السيميولوجي من اللغة وهذا ما دفع ببارت إلى أن يرى أنه من الصعب جدا تصور إمكان وجود مدلولات نسق صور أو أشياء خارج اللغة، بحيث أن إدراك ما تدل عليه مادة ما، يعني اللجوء قدريا إلى تقطيع اللغة، فلا وجود لمعنى، إلا لما هو مسمى، وعالم المدلولات ليس سوى عالم اللغة.

¹ - مارسيلو داسكال: الإتجاهات السيميولوجية المعاصرة، ترجمة فنون مبارك و آخرين، إفريقيا الشرق الدار البيضاء، سنة 1987، ص 10
² - Barthes (R), *Elément de sémiologies*, éd. Du seuil, p.80.

وعليه، فالإنسان، لا يستطيع إدراك حياته الواقعية، ما لم يفترض في نشاطاته اليومية وسيطا رمزيا أو تمثيليا يحدد وعيه بوجوده. تلك هي الحالة التي يصفها إيكو وهو يتحدث عن حقل السيميائيات وموضوعها¹.

فالسيميائيات هي دراسة للثقافة باعتبارها النموذج الكلي الذي يشتمل على كل حالات التواصل الإنساني. فلا يمكن تصور النشاط الثقافي - العنصر المحدد للوجود الإنساني - إلا من خلال زاوية تواصلية².

فما الذي يجمع بين أشياء متنافرة جدا، كاللباس والسيارة والطبق والأفلام والموسيقى والصور الإشهارية وغيرها؟ إنها تجتمع على الأقل في كونها علامات أو أدلة. إننا نصادف هذه الأشياء في حياتنا اليومية، وإننا نخضع بدافع الحاجة ودون وعي لنشاط القراءة. فالسيارة تدلني على الوضع الاجتماعي لصاحبها، واللباس يدلني على مقدار إمتثال صاحبه، والمشروب أو الطبق يطلعني على أسلوب في الحياة.

تأسيسا على ذلك، لم تعد اللغة تشتمل فقط على الأنساق اللفظية المنطوقة أو المكتوبة أو المصورة، بل أصبحت تشمل كل الوقائع الثقافية المرتبطة بنشاط الإنسان و سلوكياته.

وعليه فالتواصل بعد أساسي للغة و الثقافة على حد سواء، على إعتبار أن " التواصل لا يقتصر فقط على توصيل الرسائل اللفظية أو القصدية، إن التواصل كما نتصوره يشمل مجموع العمليات التي يتبادل بها المتخاطبون التأثير. إن القارئ قد يعترف بهذا على أن هذا التحديد يقوم على مسلمة قول كل فعل وكل حدث يوفران مظاهر تواصلية بمجرد ما يتم إدراكها من قبل كائن إنساني " ³.

كل ما سبق يقودنا إلى القول إن السيميولوجيا قد تم تفجيرها لكي تصبح تواصلًا " هذا التواصل قطع كل الصلات التي تربطه بالنموذج الجاكويوسوني البريء حيث المتكلم و المخاطب أقرب ما يكونان إلى الآلات الصماء. إن هناك باثًا يرسل إلى متلقٍ ما، عبر قناة، خطابا ذا موضوع ما وبسنن لغوي ما " ⁴.

¹ - Eco (U) : la structure absente, éd. Mercure de France, Paris 1972, p. 131

² - سعيد بن كراد: إستراتيجيات التواصل من اللفظ إلى الإيماءة العلامات عدد 21 س 2004-ص.3

³ - winkin (yves) vers une anthropologie de la communication p 20 science humaine N° 4

⁴ - محمد الوالي : السيموطيقا و التواصل علامات ع 16 س 2001 ص 88

وفي الختام، إذا كان تيار سيميولوجيا التواصل، يمثله باحثون (مونا، بويسنيس، برييطو ...) ينتمون إلى الطرح الوظيفي في اللسانيات الذي يرى أن اللغة تؤدي وظيفة تواصلية مباشرة، فإن رولان بارت، وفي سيميولوجيا الدلالة، حاول تجاوز تصوّر الوظيفيين الذين ربطوا بين الدلالة والمقصدية، حيث جنح إلى توسيع حقل البحث في اللغة، على إعتبار أن إنتاج المعنى وتوفير التواصل يمكنه أن يتم بواسطة أنساق لفظية وأنساق غير لفظية.¹

ولعل هذا ما دفع بارت إلى أن "يسند وظيفة التواصل إلى الأنساق اللسانية وإلى الأشياء، وبما أن المعنى من إنتاج اللغة، فلا يمكن للسيميولوجيا إلا أن تلجأ إلى اللغة للوقوف على دلالة الأشياء. وبذلك، فاللغة تعتبر نموذجاً للسيميولوجيا، إذ هي تمدنا بالمعاني و المدلولات، بالإضافة إلى ذلك، فإن اللغة مكوّن للسيميولوجيا، إذ يستحيل بناؤها ما لم تكن اللغة عنصراً بنائياً فيها". ولتحقيق هذا المعنى، توصل بارت بالمفاهيم اللسانية لمقاربة الظواهر السيميولوجية ك (نظام الموضوعة، الإشهار، الجسد، و الصورة ... إلخ)، ولعل هذا ما أثار حفيظة رواد سيميولوجيا التواصل، حيث يؤاخذ ج. مونا، بل ينتقد، بنوع من الشطط، استثمار بارت لمقولات ومفاهيم لسانية كلامية (اللسان/الكلام) و (الدلال/المدلول) و (المركب/النظام)، وإستخدامها في مجال النقد الأدبي أو ما دعوه بعد بارت بالنقد السيميائي Semiocritique.

ولعل خلفيات هذا الصراع بين التيارين، تكمن في نظرنا، في أن الإشكال الأعمق يتمثل في علاقة اللسانيات بالسيميولوجيا.

- لقد أطلق بارت هذا المصطلح "النقد السيميولوجي" سنة 1966 semiocritique، في كتابه "حفيف اللغة" للربط بين الأدب و اللسانيات، و يعتبر النقد السيميولوجي منهجاً نقدياً قائم الذات في مجال الدراسات الأدبية، مثله مثل النقد الإجتماعي، والنقد النفسي.

المطلب الأول : الأبعاد الرابطة بين اللغة و التواصل :

يمكن رصد العلاقة الوظيفية الرابطة بين عالمي اللغة و التواصل من خلال الإجابة على السؤال التالي :

ما هي حدود التأثير اللغوي في صياغة مجال تواصل إجرائي و فاعل ؟

¹ - موقع محمد أسليم، مجلة علامات العدد 16 /س 2001، محمد الوالي السيموطيقا و التواصل .

تعتبر العلاقة بين التواصل اللغوي والإنتاج المعرفي و الفكري، هي ذاتها العلاقة الرابطة بين اللغة والفكر وكان الحرص على أن يكون التواصل الأكاديمي باللغة المحلية بغرض الإقتصاد في طاقات الإستيعاب النفسية والعقلية، و تفجيراً لمواهب الإبداع والإضافة، وتنمية للرأسمال الرمزي، وتعميقاً للقدرة على الإنفتاح.

يسهم هذا الربط في بلورة الشخصية الثقافية والحضارية، إذ تكون العلاقات التواصلية في مستوياتها الرفيعة، إذا ما توصلت اللغة المحلية إلى ذلك، فيحقق هذا إرتباطاً واضحاً بين الذات ومختلف مكونات الحضارة الإنسانية ومراحلها، مما يقوّي صلة الإنتماء،¹ وهو ثمرة مباشرة لتطبيق أهداف التواصل الكبرى، فيكون لهذا الأمر أكبر الأثر في درء الصراع اللغوي والمجتمعي، إذ أن المساحة التي يتيحها التواصل، تعدّ مجالاً خصباً للتداول السلمي للغة، مع مراعاة الحقوق الطبيعية لكل طرف لغوي.

إن تكريس تواصل لغوي فاعل في مجتمعنا يقتضي إعتقاد إستراتيجية تعريب وظيفي وشامل، حيث أن تجارب الأمم أثبتت أن إعتقاد لغة رسمية/مركزية، في مجالات التواصل الرسمية، علمية كانت أو إدارية أو سياسية، يقوّي البناء الداخلي للمجتمع، ويحقق تميّزاً على مستوى عملية التثاقف والمثاقفة. ولذلك، للوصول إلى إزدهار لغوي فاعل، من الهام جداً إعتقاد إستراتيجيات تواصلية على أساس تعدد لغوي تكاملي.²

المطلب الثاني : اللغة و التواصل :

أولاً - التواصل :

رغم حداثة التجربة الوجودية لعلم التواصل، إلا أنه ومنذ الخطوة الأولى مع شانون 'Shanon'، 1948، حاز بإهتمام العقول المنظرة التي شغفت بتأنيث واقعه العلمي والأكاديمي، فلم يكن من السهل وضع تعريف لهذا العلم الجديد الذي يهيمن على مختلف مناحي الحياة، فهو ينطوي على

1 - " الأبعاد الرابطة بين اللغة العربية و التواصل "، رفيق لبوحسيني

2 - " الأبعاد الرابطة بين اللغة العربية و التواصل "، رفيق لبوحسيني، ص 1 الفهرس 81-90.

وضوح المشاع، وغموض اللامحدود " فهو واضح بما فيه الكفاية في حالة استخدامه الإصطلاحي، ولكنه غامض عندما يبحث عن حدود استعماله ¹.

وفي هذا المقام، يحسن أن نميز بين وجهين للتواصل : الأول عام وشامل لكل نشاطات الإنسان بارتباطه مع محيطه الحياتي، من نبات، وحيوان، بل وجماد وآلات. أما الوجه الثاني، فمخصوص، يتعلق بالروابط الجامعة بين بني البشر، بما يتضمنه من قصد وتأويل وترميز وتفكيك للسنن. وبهذا المفهوم، يكون التواصل : " عملية يقصد مصدر نوعي بواسطتها، إثارة إستجابة نوعية لدى مستقبل نوعي "، بحسب تعريف الكاتبة، إندي ريكارد (Rikard Indy 73).²

وإذا رجعنا إلى قاموس علم النفس، نجد أن التواصل بهذا المفهوم الشامل يعني : " نقل شيء من موضع إلى آخر، وهذا الشيء قد يكون رسالة، أو رمز، أو معنى، ولكي يتم الإتصال، لا بد من وجود ترميز مفهوم بين المرسل و المتلقي، حتى يتم تفسير المعنى المنقول دون أخطاء " يقول jurgen kussh : " إن مفهوم الإتصال سوف يشمل كل العمليات التي بواسطتها يؤثر الناس على بعضهم البعض " ³. وكتب عن التواصل بين البشر، في إطار الفهم الأولي الخاص بكون الإنسان إنسان، مايلي: " لفهم التفاعل بين الثقافات ، يجب علي نا أولاً التعرف على دور الاتصال في هذه العملية. التواصل هو قدرتنا على مشاركة أفكارنا ومشاعرنا، إنه أساس كل اتصال بشري . لقد صرح كيتنغ ببلاغة بهذا المفهوم: "التواصل قوي: فهو يجمع لأصحاب إلى جانبنا أو يفرق منافسينا، أو يطمئن الأطفال أو ينبههم، ويخلق توافقاً أو خطوطاً بيننا"⁴

أهداف التواصل الإنساني :

الإكتشاف : قد يكون هذا الهدف في علم التواصل، وهو القاعدة التي يتأسس عليها ما يلي من الأهداف، أو بمعنى آخر، يمكن القول إن مجالات التناول في هذا العلم متفرعة عن هدف الإكتشاف، ويأخذ هذا الهدف مراتب ثلاث تدرج من الأهم إلى ما دون ذلك كالآتي :

¹ - محمد أمين موسى، العامل النفسي و الإتصال في الحياة اليومية و عبر الوسائل " ط - 1994 " مطبعة المعارف الجديدة (نيلسون 70 ص 15)، ص 8.

² - مصطفى حجازي : الإتصال الفعال في العلاقات الإنسانية و الإدارية. المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، لبنان، 1990، ط 1، ص 18.

³ - محمد أمين موسى، العامل النفسي، ص 9 190 p the advanced learner's dictionary of current english 1968

⁴ - التواصل بين الثقافات'- الطبعة الثامنة-ص.27

- التعلم والتعرف على الذات : وقد لخص العالم " كلينيك " 1978 kleink هذا المفهوم وأهميته بقوله : " إن الوعي بالذات، هو قلب كل تواصل "، إذ أنه إذا كان الإكتشاف غاية كبرى، فإن إكتشاف الذات، يعدّ عموده الفقري، و بدونه يفقد التواصل الغاية من إبتداعه، والتي هي القدرة على تطوير الذات و إكتشاف طاقتها الكامنة.
- معرفة العالم أو المحيط وإكتشافه : وهي نتيجة متوقعة لإكتشاف الذات، علاوة على أنه عامل مساعد وحاسم للوصول إلى معرفة حقيقة الذات، لأنه يعسر التعرف السليم على أنفسنا بدون الدور " المراعي " للآخر.
- المقارنة مع الآخرين : تعتبر المقارنة إطارا طبيعيا للعلاقات الإنسانية القائمة على معاني الإدماج المجتمعي والتفرد الشخصي المميز، مع التأكيد على ألا يأخذ هذا السلوك منحى أو صورة الهاجس المفضي إلى التتميط و الذوبان في الآخر.

1 - الإقتراب و التقارب :

- أخذ هذا الهدف مساحة هامة من التفكير لدى المشتغلين بعلم التواصل، بحيث لم يبق عندهم معنى مجردا أو معنويا فقط، بل أخذ شكلا ماديا، مجسدا في قياس المسافة المعبرة عن درجة وقوة العلاقة الرابطة بين الطرفين¹. ويتحقق هذا الهدف من خلال :
- عقد و ربط علاقات حميمة مع الآخرين : إذ تعدّ عملية تأسيس العلاقات الإنسانية القاعدة الحيوية للتواصل وتحتاج إلى مهارات مكتسبة.
- صيانة وتقوية هذه العلاقة : لأن العلاقة بناء، تساهم فيه الأطراف المتواصلة، وكأيّ بناء، إذا ما أهمل، تطرق إليه الخور والهدم. قال Dutch Boling : " لكي يهتم بمعرفتنا يجب أن يعلم الناس أننا نهتم بهم ".

2 - الإقناع و الإقتناع :

- قد يتوهم الواهم أن هذا الهدف يتحقق خاصة في المجال التجاري أو الحقوقي، إلا أنه مصاحب للسلوك الإنساني في كل تفاصيل حياته القائمة على تبادل المصالح عبر قناة التفاوض، وتبدأ عملية

¹ - " الأبعاد الرابطة بين اللغة العربية و التواصل "، رفیق لبوحسيني، ص1 الفهرس 81-90 . www.aljabriabed.net

تمهير هذه الكفاءة في المراحل الأولى لحياة الإنسان، حيث أقوى ما يكون في التفاوض، هو الطفل¹. ويكمن مضمون هذا الهدف في :

- تغييرو تحويل الحالات والأوضاع.

- التأثير على معتقدات الآخر، وذلك بإعتماد طرق التثمين أو ما سماه القدامى بالتخليية ثم التحلية فالتجلية.

وتمارس عمليات الإقناع في المجالات التالية :

* عالم الأفكار

* عالم المعتقدات

* عالم السلوك و الحالات

3 - اللعب :

الدارج عند العامة، أن اللعب يقتصر على الأطفال الصغار من جهة، ويرتبط من جهة أخرى بالترف واللهو البعد عن الفائدة الجدية؛ في حين يمكن أن يستوعب هذا الهدف باقي الأهداف السابقة. ومن المفاهيم الرائدة داخل هذا المفهوم نجد :

- التمتع بالفكاهة، بالخطابات، بالموسيقى.

- المزاح والبسط، حكاية، قصص جذابة جدا.

أ / مبادئ التواصل :

يقوم التواصل كباقي العلوم على مجموعة من المبادئ، سنقتصر على ذكر البعض منها :

* التواصل مجموعة من العلامات والإشارات signaux، ويقدم التواصل عادة بشكل "مجموعة" سلوكيات أو رسائل لفظية وغير لفظية، تقوي عادة الواحدة منها الأخرى على قاعدة علاقة تكاملية.

* يحتوي التواصل مضمونا علائقيا، ويتحقق هذا المبدأ من خلال الحذر من الوقوع في أخطاء

فادحة، تم تلخيصها في خمس نقاط :

(1) الشخص الذي يحدثك.

¹ - " الأبعاد الرابطة بين اللغة العربية و التواصل "، رفيق لبوحسيني. www.aljabriabed.net

(2) الأمر الذي يتحدث عنه.

(3) كيف؟

(4) متى؟

(5) أين؟

و حاول "لازويل" Laswell، الإجابة على نفس الأسئلة تقريبا، محاولا وصف ظاهرة التواصل و صاغها كالآتي¹ : 1 - من ؟ 2- ماذا يقول ؟ 3- إلى من ؟ 4- بأي وسيلة ؟ 5- بأي مؤثرات ؟

كل من هذه الأسئلة ، تساعد على تحديد قطب من ظاهرة التواصل و كذا حقل التحرك الذي يناسبه.
* يحتوي التواصل على تعاملات متساوقة وتكاملية : ففي العلاقات المتساوقة، يرجع الشخصان، كلّ منهما إلى سلوك الآخر بشكل تبادلي. أما في العلاقات التكاملية، يتبنى الشخصان سلوكات مختلفة.

* تتوّج المتتاليات التواصلية بغايات تأويلية، ذلك أننا نعمل في الغالب على جعل التواصل خادما لمصالحنا الشخصية، ومتطابقا مع صورتنا عن ذاتنا.

* التواصل عملية تعاملية تبادلية، لأن إرسال الرسائل وإستقبالها يتّمان بشكل تزامني، كما أن العناصر مترابطة فيما بينها : فعناصر التواصل متوقف بعضها على بعض، وهي ليست أبدا مستقلة، إذ أن كل عنصر في علاقة بالعناصر الأخرى.

* التواصل عملية تسلسلية : فلا شيء يبقى قارّا وجامدا في التواصل، بل كل عناصره في تفاعل ديناميكي بإستمرار.

* لا يمكن تفادي التواصل، إذا يكتسي التواصل صفة الحتمية والضرورة، وعلى الرغم من عزلة الإنسان الإختيارية أو المفروضة، فإنه في تفاعل مؤثر مع ما خزنته ذاكرته من أحداث ومواقف تواصلية سابقة توطر تواصله مع ذاته.

¹ - " الأبعاد الرابطة بين اللغة العربية و التواصل "، رفيق لبوحسيني، www.aljabriabed.net

وتعدّ هذه المبادئ وغيرها مؤطرة للفعل الإنساني في مجال التواصل. لعل النقطة الأبرز في التواصل بمفهومه الخاص، هو التشارك أو المشاركة، وذلك في أنماطه الثلاثة (التواصل الذاتي/الشخصي/الجماهيري)¹.

لذا، يمكن أن نخلص إلى تعريف جامع مفاده: "التواصل، حصيلة جهد مشترك فيه، بين طرفين مختلفين، بينهما علاقة تكامل".

لذلك فالتعبير بمصطلح "إتصال"، كما نجد ذلك في بعض الكتابات العربية، لا يحقق هذا المعنى الأساسي.

وتحتل اللغة في علم التواصل، الموقع الفاعل والمؤثر، رغم المساحة الضيقة التي تشغلها داخل العلامات التواصلية التي تنقسم إلى علامات لفظية (علامات اللسان) وعلامات غير لفظية تشمل كل مجالات العمران البشري بكل تجلياته. فاللغة هي النسق الرمزي المميز للفعل التواصلية الإنساني.

ثانيا - اللغة :

لا تقل اللغة عن التواصل شمولاً وإستغراقاً للنشاط الإنساني، بل هي التي تؤكد طابع الإنسانية في الكائن البشري، فهي "ملتقى النشاطات الفكرية البعيدة و القريبة في وجود الإنسان"². واللغة بذلك، تقوم على مقومات فيسيولوجية و فكرية و نفسية و إجتماعية فهي فاعلية عقلية، منبثقة من الجهاز العصبي المركزي، بإتصال مع فعاليات أخرى، كالتفكير والذكاء والتجريد. وتقول جوليا كريشيفا: "إن اللغة هي الترجمة المادية للفكر، وأن هناك علاقة تربط بين الفكر واللغة وهي علاقة الإنتاج و التبليغ".

وتعكس اللغة اللاتينية هذه الرابطة بقوة، إذ تستعمل كلمة logos بمعنى الخطاب أو الكلام أو اللغة، كما تعني العقل، والفكر والمنطق، ومعلوم أن هناك علاقة إشتقاقية بين اللغة langue والمنطق logique وبين logos. لذلك يصعب الحديث عن اللغة، دون تسرب الأبعاد التواصلية

¹ - مصدر سابق، " الأبعاد الرابطة بين اللغة العربية و التواصل ".

² - يوسف كمال الحاج: " في فلسفة اللغة " دار النشر - النهار ط2، ص 7.

إلى مجال تداولها، وقد يكون هذا ما جعل أرسطو يقول : "وظيفة عضوية في الإنسان، وهي أساس طبيعي للفضائل والصلات الاجتماعية و السياسية"¹.

وإذا كان التواصل في مبادئه الكبرى، عبارة عن مجموعة من العلامات اللفظية، فيمكن أن نخلص إلى أن اللغة جزء لا يتجزأ من العملية التواصلية. وإذا كانت دائرة التواصل في شمولها تضم الإنسان والكائنات الحية الأخرى، فإن اللغة البشرية بالمقابل تقوم على نظم تواصلية تمكن الأفراد من القدرة على الإنتاج و فهم الألفاظ المعقدة إنطلاقاً من تفاعل الطاقات الذهنية والعقلية مع الحاجات التعبيرية المتجددة، بما يعنيه ذلك من تعالق بين محتوى محدود بإطار معلوم، قوامه أصوات وفونيمات معروفة ومحدودة، و بين سيرورة من المتتاليات اللغوية التعبيرية المتجددة بإستمرار، تبعاً للتوليد الذهني المستمر والمتجدد.

فكما أن الإنسان لا يستطيع أن يفكر بمعزل عن اللغة، فإن قدرته اللغوية الفطرية يمكن أن تعاني من ضمور حاد، إذا ما تحققت خارج دائرة التواصل، حيث تتحقق إنسانيته من خلال نسيج الروابط المعقودة داخل المجموعة البشرية، فتتوصل اللغة إلى أن تصبح إطاراً جامعاً لهذا النشاط الاجتماعي.

وهذا ما ذهبت إليه أغلب العلوم الإنسانية، كعلم الاجتماع الذي يعرف الإنسان باعتباره كائناً اجتماعياً، وكذا علم النفس الذي يقرّر تداخل دوائر الأنا و الآخر في بلورة الشخصية، وأيضاً علم الإجرام الذي يقرّ بقطع العلاقات التواصلية مع الآخر، أو ما يعرف بالحبس الإنفرادي، وهو من أقصى العقوبات التي توقع على الكائن البشري.

وهنا يمكننا القول أن هناك تفاعل في القدرات الثلاث : القدرة اللغوية والفكرية والتواصلية لإشتراكها المندمج في بلورة المسار التوليدي للنشاط الإنساني. وبإكتمال أضلاع المثلث، تتم مميّزة الهوية البشرية عن الهويات الأخرى التي قد تتوافر على أحد أضلاع المثلث، دون القدرة على بناء التجدد التوليدي المستمر. يعزّز هذا زعمنا أن الإنسان يولد بإستعداد تواصلية مبدئي، إذ

¹ - عبد الهادي بوطالب-الحقوق اللغوية:حق اللغة في الوجود و البقاء و التطور و الإنتماء،دار الكتاب ط1، ص 16، 2003.

لا وجود لشخصية غير تواصلية بالطبيعة، وإن وجدت، فهي حالة طرأت عليها عوامل خارجية أثرت سلباً على تطوير الكفاءات التواصلية الفطرية¹.
التواصل واللغة إذن عالمان ومجالان عميقان في بناء الذات مع تمييز في صفة التفاعل، فإذا كانت اللغة مولدة للتفاعل الداخلي الذي تتشاكل فيه الفعاليات الذهنية والنفسية و العضوية، مع إمكان مقاسمة تفاعلية مع الواقع المحيط؛ فإن التواصل، بالإضافة إلى ذلك تنتفي سمته الوجودية بانتقاء المثير النوعي والمحقر الخارجي².

ب / اللغة وأهميتها :

تعدّ اللغة من أهم الظواهر الاجتماعية التي أنتجها التطور البشري، فبدأ العلماء يحلّلون ما يحيط بهم تحليلاً واعياً ويلاحظون ما يحيط بهم من علاقات متبادلة بين اللغة ومختلف النشاطات الإنسانية الأخرى، ويسجلون تأملاتهم وملاحظاتهم عن دور اللغة في المجتمع. فهي منهج الحياة الذي يسع الحياة علماء، و فناً وعملاً.
ومما لا شك فيه، أنّ اللغة لها وظائف عديدة، تتضاعف هذه الوظائف مع تعدّد قنوات الإتصال، وأهمّ هذه الوظائف على الإطلاق هي الوظيفة الإتصالية، حيث لا سبيل أمام الفرد للإتصال وقضاء معظم حاجاته إلا بالتواصل والتفاهم مع الآخرين. ولا بدّ للتفاهم من لغة، ويؤكد ذلك اللغويون والتربويون قديماً وحديثاً.
فلما عرّف ابن جنّي اللغة بأنها : " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ". فإنّ تعريفه للغة، يشتمل على منظومة اللغة وهي : أنّ اللغة أصوات، وتعبير، وفي الوقت نفسه أداة يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم، وهذا تعريجه واضح من ابن جنّي على أنّ أهم وظائف اللغة، هي الوظيفة الإتصالية.
وفي العصر الحديث، أكد العلماء المعاصرين هذا المفهوم وإعتبروا اللغة منهج للتواصل الإجتماعي يستعملها الفرد لأداء وظائف مختلفة وللتأثير على الآخرين.

¹ - البرمجة اللغوية العصبية و فنّ الإتصال اللامحدود، إبراهيم الفقي، الناشر : المركز الكندي للبرمجة اللغوية العصبية 2001 " ماذا تعني البرمجة اللغوية ؟ " ص 17 - 18.

² - « le langage silencieux : EEdward T.Hall, traduit de l'americain par Jean Mesrie et Barbara Nicol, Edition du seuil 1984, p15

حيث قال تشيس بس (1969) أن "الغرض من استخدام اللغة هو التواصل مع الآخرين ، والتفكير ، وتشكيل وجهة نظر الشخص ونظرته للحياة"¹.

و مما سبق، يتبين أن اللغة قيمة عظيمة في التعبير عن الحاجات والمشاعر وعند إستخدامها كأداة للتواصل.

"فلكي يعيش الفرد مع الجماعة، لا بد من الإتصال بأفرادها، ومن الطبيعي أن تكون لغته هي الأداة في هذا الإتصال، وعن طريق إحدى مهاراتها (الإستماع أو التحدث أو القراءة أو الكتابة)، يستطيع أن يخرج من حدود الجماعة الصغيرة و يتصل بالمجتمع ليحقق مطالبه و يطلع على ما يجري فيه من أحداث وتطورات، ويكتسب خبرات واسعة ومعلومات أكثر"².

ويضيف الباحث إلى ما سبق، أن أهمية اللغة كأداة للتواصل، تتضاعف بالنسبة للمجتمع والإنسانية ككل، وليست مهمة للرد فحسب، فهي أداة الاندماج الحقيقية بين أفراد المجتمع، وهي الرباط الوثيق الذي ضمن للتطور الإنساني التاريخي، البقاء عبر السنين، والجانب المعنوي الذي حفظ الحضارة لكل الأمم والشعوب.

" فاللغة أصل وجذر لكل ما يمكن أن نتصوره عن عوامل تكوين المجتمع، كالتاريخ المشترك والدين المشترك، والأدب والفكر والإحساس. والإدارة، والعمل المشترك، فلا يمكن تصوّر تاريخ بلا لغة، ولا دين بلا لغة. فاللغة منهج إتصال يتمثل في فنون أربع هي : (الإستماع، والتحدث والقراءة و الكتابة)، والنحو و البلاغة، عاملان مشتركان بين هذه الفنون.

وأساس هذه النظرة - كما يرى الباحث - هو الاهتمام بوظيفة اللغة، ودورها في حياة البشر، وقد ترتب على هذه النظرة الاهتمام بعملية التواصل نفسها وبالجوانب المكوّنة لها، (الرسالة والوسيلة، والمرسل و المستقبل)، والنية أو العزم على تبليغ الرسالة، وما ينبغي أن يكون عليه كلّ جانب من هذه الجوانب، كما ترتب على تلك النظرة أيضاً الاهتمام بإستخدام اللغة وممارسة أنشطتها بدلا من التركيز على حفظ قواعدها.

¹ - تشيس بس (1969) - "كيف تشكل اللغة أفكارنا"، في اللغة: مقدمة القارئ' (جي.بورل.أش، و ريبيرت) ص.97-108
² - نايف خرما و علي حجاج 1988 (82 ، 187).

اللغة ووظائفها :

ينظر بعض اللغويون إلى اللغة كما لو كانت تابعة لميادين الفلسفة والمنطق والعواطف والإنفعالات، وتعرف هذه المدرسة، بالمدرسة الفلسفية، أو النفسية أو المنطقية في الدراسات اللغوية، و قد يشار إليها أحيانا بالمدرسة العقلية.

وتقابل هذه المدرسة، مدرسة فكرية أخرى، يعني أصحابها عناية بالغة بالجانب الاجتماعي للغة، إذ هم يعتبرونها حقيقة اجتماعية ونتيجة للتواصل الاجتماعي، وهي في الوقت نفسه مدينة في تطورها ونموها إلى وجود الجماعات. والوظيفة الأساسية للغة عند هؤلاء هو تسيير دقة الأمور، وتصريف شؤون المجتمع الإنساني، ومن أنصار هذه المدرسة، العالم الأنثروبولوجي مالفينوسكي، الذي يؤكد في كتاباته على العنصر الاجتماعي للغة، ويرى أنها وسيلة لتنفيذ الأعمال، وقضاء حاجات الإنسان. ويتضح هذا من قوله في هذا المجال : " إنما تستعمل الكلمة في أداء الأعمال و إنجازها لوصف الأشياء، أو ترجمة الأفكار ".

فالكلمة إذن، لها قوتها الخاصة، وهي وسيلة لتنفيذ الأعمال، وقضاء الأشياء، وليست تعريفا لهذه الأشياء.¹

ومن أنصار هذه المدرسة كذلك، العالم اللغوي يسبرسن، الذي يؤكد أن كلمات اللغة لا تستعمل في أكثر من الأحيان لتتنقل أفكارا، أو لتوضح أشياء من هذا القبيل، ولكنها تستعمل لتتبع الإشتياق إلى النزعة الاجتماعية والمصاحبة التي يهواها الإنسان و يعشقها، وهذا كله يمثل رأي المدرسة التي يطلق عليها أحيانا المدرسة الاجتماعية في البحوث اللغوية.

ومما تقدم، يتبين أنّ هناك نظريتين مختلفتين بالنسبة لوظائف اللغة، فالنظرة الأولى تركّز على الجانب العقلي من اللغة، و الثانية تركّز على الجانب الاجتماعي منها، ولكن نظرة فاحصة لهذين الجانبين ترينا أنهما متكاملين. فكما أن الفرد يستخدم اللغة أحيانا كي يعبر عن نفسه، ومشاعره وأفكاره، فهو يستخدمها في الوقت نفسه بهدف التواصل مع غيره من أفراد مجتمعه، ويعني هذا أن للغة مغزى فردي و مغزى اجتماعي.²

1 - " التواصل اللغوي و التعليم " د. فتحي علي يونس ، يناير 2009 ، ص 8،9.

2 - " التواصل اللغوي و التعليم " د. فتحي علي يونس ، يناير 2009 .

فحين يتحدّث الفرد إلى نفسه، يتخيّل أشخاصا يخاطبهم، و يناقشهم، يغلبهم أحيانا و يغلبونه أحيانا أخرى، يسرّ منهم و يغضب، يقترب منهم و ينأى عنهم.

ومن هنا وجدنا البعض يفصل الوظيفتين السابقتين للغة فيمايلي :

1- تنسيق الأنشطة بين أعضاء المجتمع.

2- تثبيت الفكر والتعبير عنه.

3- إيصال الأفكار والمشاعر.

4- إمتاع النفس وتقليل الإضطراب.

وعن الوظيفة الرابعة، يقول يسبرسن : "بالخبز وحده، لا يعيش الإنسان". فاللغة لها وظائف أخرى، علاوة على كونها أداة للتواصل، وهي لا تستخدم فقط في الكلام، بل في الغناء أيضا، والحديث، لا هدف له - في الغالب - إلا مجرد اللعب بالأصوات ليمتع الفرد نفسه ويمتع الآخرين. فليست الحياة اليومية جدّ كلها، بل هناك فرص ينبغي ألا نفكر فيها، و ذلك حينما نترك العمل جانبا، وفي مثل هذه الظروف، لا تؤدي اللغة وظيفة حلّ المشكلات، بل لها في هذه الأوقات وظائف أخرى، فهي وسيلة من وسائل الراحة، وتقليل الإضطراب وكسر حواجز الغربة بين الفرد ومن يشاركونه الحديث، وإقامة علاقات بينهم، تتأى عن التقليدية.

والمعنى مما سبق، أن للغة وظائف متعدّدة إجتماعية وفكرية ونفسية، و هي بهذا تمثل الأداة الأساسية لتواصل البشر سواء في المجتمع الواحد أو في المجتمعات المختلفة.

لكن نظرة فاحصة إلى الوظائف التي أشير إليها، ترينا أنّ هناك وظيفة أغفلت على الرّغم من أهمّيتها، وهذه الوظيفة هي التوثيق، تسجيل الأحداث والتاريخ، والحقائق، والمعارف ... ، التي مرّت بالإنسان، و تمرّ به، أو سيواجهها في المستقبل. إن الإنسانية مدينة للتوثيق اللغوي بكل ما لديها من معارف، وكل ما تعرف من أحداث الماضي و أحواله.

لقد ذكر علماء الآثار أن التاريخ الحقيقي للإنسانية، بدأ منذ اخترعت الكتابة، أي منذ اخترع المصريون الكتابة، ولقد ظلّ التاريخ الفرعوني كلّه غامضاً إلى أن أكتشفت الحملة الفرنسية حجر رشيد، و فكّ رموز لغته "شمليون".

إنّ الدّأكرة الإنسانيّة، لا تستطيع أن تفي جميع الأحداث و المعارف، و من هنا كانت وظيفة اللّغة، ووظيفة الكتابة. وقد أشار القرآن الكريم في أكثر من موضع إلى أهمية القلم، وإلى أهمية كتابة الدّين، فقال عزّ من قائل: (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) [سورة القلم : الآية الأولى].¹ وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ) [سورة البقرة : الآية رقم 282].²

أي أنّ الكتابة ذاكرة الفرد والأمة وهي سجلّ لكلّ جوانب حياته، وهي منبع لكلّ المعارف والعلوم، وحياتنا كلّها مرتبطة إرتباطاً مباشراً أو غير مباشر بهذا التوثيق اللغوي.³

لقد كان التاريخ قبل إختراع الكتابة مجرد مجموعة من الظنون المعتمدة على الحدس والتخمين والتحليل الذي يرتبط بقدرة من يقوم به، ولا يعتمد على منهج يقيني أنظر حولك، ترى الكتب والجرائد، والصحف والإعلانات والأسماء والوثائق المختلفة والعناوين ... إلخ، و هي كلها تعتمد على الكلمة المكتوبة، و هي كلها وثائق، بصورة أو بأخرى.

لكل هذا، نال فنّ الكتابة عناية بالغة في مناهج تعليم اللغة، بل إن بعض المناهج تعتبر الكتابة ودقتها و وضوحها من أهم أهداف تعليم اللغة، و بصفة خاصة في المرحلة الثانوية. بقي لنا هنا و نحن نتحدث عن وظائف اللغة أن نشير إلى وظيفة مهمة للغة، وهي تنمية الفكر. إن هذه الوظيفة لم تنل حظها من الدراسة والعناية فيما سبق، ولذا وجب أن نتناولها بشيء من التفصيل.

لقد ذكر علماء النفس أنّ اللّغة هي الوسيلة التي يمكن بواسطتها تحليل أيّة صورة أو فكرة ذهنية إلى أجزائها أو خصائصها، وتركيب هذه الصورة مرة أخرى في أذهاننا أو أذهان غيرنا بواسطة تأليف كلمات و وضعها في ترتيب خاصّ، وعلى هذا فالطّفل الذي يردّد الكلمات التي يسمعها ممّن يحيطون به، لا يتكلّم اللّغة حقّاً، إلّا إذا كان مدركاً لما ينطق به، و لا يطلق على الكلام لغة بالمعنى العلمي إلّا إذا أدّى هذا الكلام وظيفته النّفسية، وهي التّحليل التّصوّري والتركيب.⁴

1 - المصحف الكريم ، سورة القلم : الآية الأولى.

2 - المصحف الكريم ، سورة البقرة : الآية رقم 282.

3 - " التواصل اللغوي و التعليم " د. فتحي علي يونس ، يناير 2009 ، ص 10،11.

4 - " التواصل اللغوي و التعليم " د. فتحي علي يونس ، يناير 2009 ، ص 11

ومعنى هذا، أنّ عمليّة التصوّر ضرورية قبل أن تصدر اللّغة، كما أن معرفة اللّغة ضرورية للمتلقّي قبل أن تتمّ عمليّة التصوّر عنده.

وعلى هذا، فلا يكفي أن يقال : إنّ اللّغة وسيلة للتّعبير، كما لا يكفي أن يقال أنّها وسيلة لنقل الأفكار لدى المتكلّم إلى السّامع، بل هناك إلى جانب هذا شيء آخر مقصود، وهو إستجابة السّامع وتلبيته لأثر ما أدركه من كلام. فإذا لم تحدث اللّغة إستجابة من السّامع فقدت وظيفتها. وتطابق الصورة الذهنية مع الحدث اللّغوي لدى كلّ من المتكلّم و السّامع يؤدّي إلى تمام التواصل اللّغوي، أما عدم تطابق الصّورة الذهنية مع الحدث اللّغوي لدى المتكلّم و السّامع، فيؤدّي إلى نقص في التواصل أو يؤدّي إلى عدم التّواصل - في بعض الأحوال -.

ويرجع تفوّق الإنسان الذهني - لدرجة كبيرة - إلى قدرته على إستعمال اللّغة الرّاقية. فهي الوسيلة التي تمكّنه من إستخدام ما عنده من قدرة على التّفكير، فكل كلمة تحمل بين ثناياها كمية عظيمة من الخبرات البشرية، و يقدر ما لدى الفرد من ثروة لغوية تكوّن قدرته على التواصل الشفوي أو الكتابي، بل أن هناك علاقة في كثير من المجتمعات الحديثة بين القدرة اللغوية للفرد و المركز الاجتماعي الذي يتبوّؤه هذا الفرد. وتقاس الأمم حضارياً، بقدرة أبنائها على إستخدام اللّغة، لا على المستوى الشفوي وحده إنما على المستوى الكتابي بالدرجة الأولى. هذا المستوى المرتبط بفنّي القراءة و الكتابة و بالطبع تتأثر قدرة الفرد على الفهم حين يسمع، و على إنطلاقه حيث يتحدث بقدرته على القراءة و الكتابة.

ويمكن تلخيص ما سبق، في أنّ اللّغة تؤدي وظائف عدّة هي :

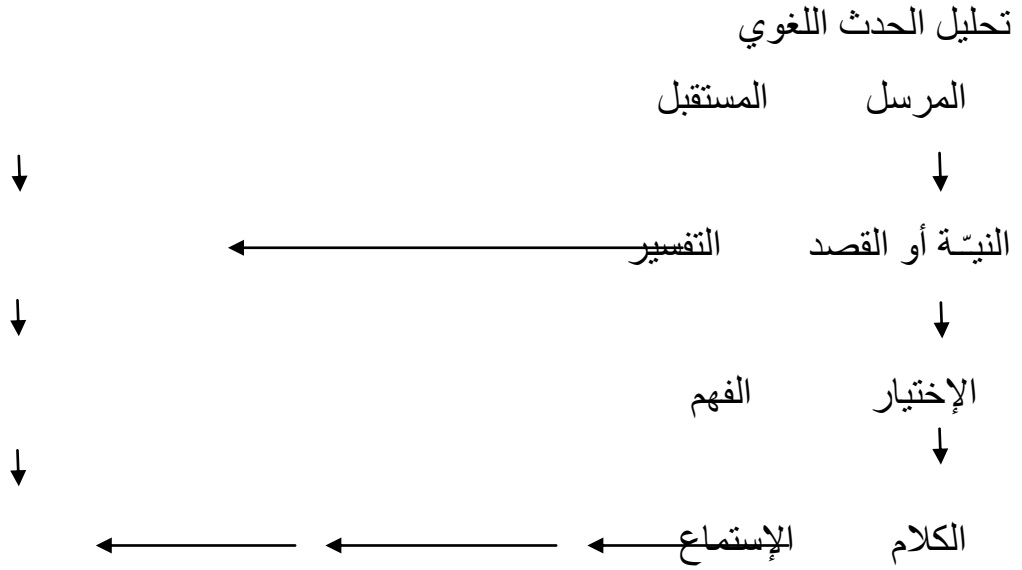
1- إقامة علاقات إجتماعية.

2- تبادل الأفكار والمعلومات.

3- تبادل الإحساس والمشاعر و التعبير عنها.

4- التسجيل والتوثيق، وحفظ تراث الإنسان وتاريخه.

وتؤدي اللّغة هذه الوظائف في موقفّي التّواصل الشّفوي و الكتابي. وبتحليل الحدث اللّغوي، تتضح هذه الصّورة التي أشرنا إليها، كما تتضح علاقة اللّغة بالفكر الإنساني، بل تتضح علاقة اللّغة بإعطاء الإنسان إنسانيته.



و من الشكل السابق يتضح ما يلي :

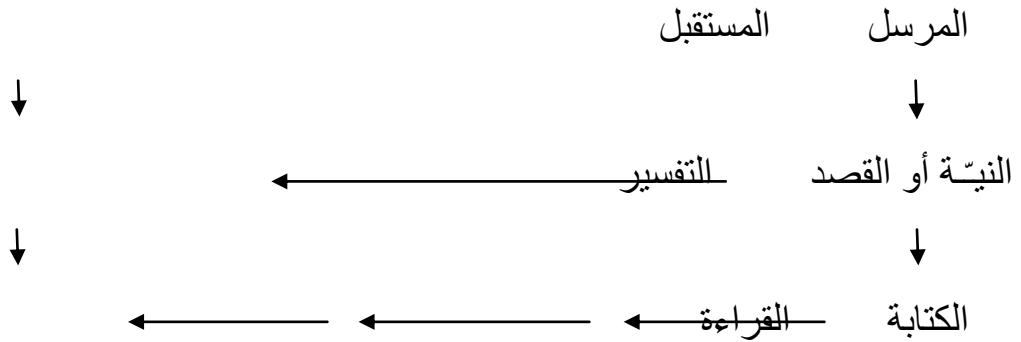
- 1- أن الجانب الفكري من اللغة يأخذ تقريبا ثلثي الحدث اللغوي سواءا عند المرسل أو عند المستقبل، بينما يمثل النشاط اللغوي ثلث الحدث¹ فعند المرسل : أ- النية أو الإتجاه.
ب- الإختيار (إختيار الرموز التي يستخدمها).
ج- الكلام أو الحديث.

و عند المستقبل : أ- الإستماع. ب- الفهم. ج- التفسير.

- و التفسير أعلى درجة من الفهم، حيث أنه يضيف إلى المعنى، المغزى أو الدليل.
- 2- التكامل بين فنّي الكلام و الإستماع، بمعنى أن الكلام يحتوي على العناصر التي فيها فن الإستماع و هي : اللفظ و المعنى، و الدليل على ذلك فهم المستمع - عادة - لما يقوله المتكلم. و أما عن تحليل الحدث اللغوي في التواصل الكتابي، فيبينه الشكل التالي :

1 - " التواصل اللغوي و التعليم " د. فتحي علي يونس ، يناير 2009 ، ص 12.

تحليل الحدث اللغوي الكتابي



وبالنظر في الشكل السابق نرى ما يلي :

- 1- أن الحدث اللغوي الكتابي يحتوي على فئتين هما : الكتابة و القراءة.
- 2- أن الجانب الفكري من الحدث اللغوي يمثل ثلثي الحدث اللغوي، وأن النشاط الظاهر يمثل ثلث الحدث¹.

3- أن هناك علاقة بين القراءة و الكتابة تظهر في أن العنصرين المكونين للكتابة، وهما اللفظ والمعنى، أو الأسلوب و المحتوى، هما نفسهما عند القارئ، و إلا ما إستطاع أن يفهم ما يقرأ. فعملية التفكير و تتميتها هدف أساسي من أهداف التربية، كذلك فالقدرات اللغوية أساسية في عملية التربية. وقد أشار المفكرون في أكثر من موضع إلى أن هناك علاقة متبادلة بين التفكير والنشاط اللغوي، وبين النمو اللغوي والنمو العقلي. وإذا كان الأمر كذلك فمن المفيد أن نعرض صلة عملية التفكير باللغة.

فباللغة والتفكير، يتشابهان في أنهما يتطلبان نفس العمليات الأساسية التي يعتمدان عليها. فالقدرة على التجريد والتصوير، وتكوين الأنواع، مطلوبة في إستخدام اللغة والتفكير في مستوييهما العالين، وفي الحقيقة يمكن القول : إن اللغة والتفكير عملية واحدة. ولقد كتب " كانط " الفيلسوف الألماني : " التفكير، هو الكلام للنفس وهو إستخدام غير صوتي للغة ".

1 - " التواصل اللغوي و التعليم " د. فتحي علي يونس ، يناير 2009 ، ص 13.

ويبدو ان الكلام الخفي يصاحب التفكير كما في القراءة الصامتة، وأن هناك قدرا معيناً من السلوك اللفظي، وحركات الشفة واللسان تصاحب كثيراً عمليات التفكير. فالتفكير الحقيقي أكثر من عملية داخلية بسيطة.

ورموز اللغة، أو العمليات الداخلية التي توجد في رموز اللغة لدى الفرد، يمكن أن تشكل التفكير وتحدد اتجاهه، وهي تمثل تنظيمات العمليات الداخلية المحصلة عن طريق التعلم أو الخبرات الماضية.

معنى ما سبق، أن اللغة تسهّل عملية التفكير، و تسمح له بأن يكون أكثر تعقيداً وكفاءة ودقة، وأنها بتركيبها الخاص تحدد مجرى التفكير ونوعه، وهذا يؤدي إلى أن يفكر مستخدموا اللغة بكفاءة أكثر أو أقل مما لو كانوا يستخدمون لغة أخرى.¹

المبحث الثاني : دور المتلقي في تفعيل العملية التواصلية :

يعدّ المتلقي ركيزة ثابتة ومهمة في العملية التواصلية، فهو المحرك المعتمد أساساً في الفعل التواصلية، فمن خلال مشاركته في تنظيم وتوجيه الخطاب المتكون أساساً من العلاقات النحوية والصرفية للغة، ينتظم الخطاب، وتصل الرسالة المراد تبليغها. فالعناصر المكونة لأي لغة كانت، لا بد أن يتحكم بها نظام لغوي معين تخضع له، إذ تبدأ بالوحدات الصغرى، أي (الفونيمات)، ثم الكلمات وأخيراً المركبات بأنواعها. ولا بد من وجود توافق بين هذه العناصر اللغوية لتقوم بوظيفة كاملة في الإبلاغ، وإلا إنعدم التواصل.

والتواصل لا يمكن أن يؤدي غرضه دون أن تتكامل أركان العملية التواصلية ودون أن يكون هناك نظاماً تواصلياً يحكم تلك العملية، وكذلك يجب أن يكون هناك لغةً مشتركة بين الأطراف المتواصلة بالخطاب على إعتبار أنّ اللغة تعدّ الوسيلة الخاصة بالبشر، والتي تنقل نشاطهم الفكري والتواصلي. والمتلقي يعدّ الشريك الفعلي في العملية التواصلية. إذ أنه، ومن خلال هذه الشراكة القائمة بين المبدع من جهة، وبين المتلقي من جهة، ينتج نوعاً من التفاعلية المتبادلة بين الطرفين، وهذه الشراكة المتبادلة التي تنشأ من عملية التفاعل، هي التي تثير التواصل.

كما يثير البعض مسألة الذاتية والتعريف بالذات من خلال التواصل :

¹ - " التواصل اللغوي و التعليم " د. فتحي علي يونس ، يناير 2009 ، ص 13.

" الذات ليست فطرية ، ولكنها مكتسبة في عملية التواصل مع الآخرين"- يقول وود أنه من خلال الاتصالات مع الآخرين ، يتم تجميع المعلومات التي تساعد على تحديد من أنت ، أين أنت تنتمي، وأين تقيم الولاء الخاص بك"¹

فالتفاعل والمشاركة من قبل المتلقي في إنتاج النص، يسهم بشكل فعال في جعل بعض النصوص غير المتماسكة مقبولة ومتماسكة، وذلك من خلال ما يضيفه متلقيه من ديناميكية تجعله أكثر قبولا وأكثر ترابطا وأكثر تماسكا. وكل ذلك يرجع إلى نظرة المتلقي إلى تلك البنى النصية التي يتولد عنها النص.

وهنا، نذكر نص رولان بارت : " إن معنى أي كلمة، لا يرجع إلى جذرها الدلالي وإنما إلى مكانها في نظام اللغة " .

فالبنيات النصية وأفعال الفهم تشكل قطبين في الفعل التواصل، و نجاح العملية التواصلية سيعتمد بالأساس على الدرجة التي يؤسس فيها النص نفسه كعامل إرتباط في وعي متلقيه. ومن هنا، كان للمتلقي الدور الفعال في إبراز وتحقيق التواصل؛ إذ يعدّ المتلقي الركيزة الأساسية للعملية التواصلية، ومن دونه لا يمكن أن يتحقق أي تواصل.

المطلب الأول : التواصل و التلقي :

من خلال عملية التواصل يتم التفاعل بين المتصل والمتلقي وإبراز الهوية أو التعرف عليها تلقائيا (التعارف)، "بغض النظر عن الهوية المعنية، فقد تطورت المفاهيم المتعلقة بكل هويات المتصلين أثناء التفاعل مع الآخرين " بمعنى إكتساب المعلومة والتجربة، كما يدل التواصل في الإصطلاح على عملية نقل الأفكار و التجارب وتبادل الخبرات و المعارف والمشاعر بين الذات والأفراد والجماعات. ويتأسس التواصل على عناصر هي بمثابة أركان ضرورية حتى يتم وهي : المرسل والمتلقي و الشفرة، حيث يتفق في تسنينها كل من المرسل والمستقبل والرسالة.

ويعرّف شارل كولي Charles Cooley التواصل بأنه الميكانيزم الذي بواسطته توجد العلاقات وتتطور، إنه يتضمن كل رموز الذهن مع وسائل تبليغها عبر المجال وتعزيزها في الزمان

¹ - نظريات التواصل و اللسانيات الحديثة، رابيس نور الدين، مطبعة سايس، فاس-ط1، 2007.

ويتضمن أيضا تعابير الوجه و هيئات الجسم و الحركات و نبرة الصوت و الكلمات و الكتابات و المطبوعات و القطارات و التلغراف و التلفون و كل ما يشمله آخر الإكتشافات في المكان و الزمان. فالتواصل هو جوهر العلاقات الإنسانية و محقق لتطورها. فهو تبادل للمعلومات و الرسائل اللغوية سواء أكان هذا التبادل قصدياً أم غير قصدي بين الأفراد و الجماعات. وبالتالي لا يقتصر التواصل على ما هو ذهني معرفي، بل يتعداه إلى ما هو وجداني و ما هو حركي و آلي. فهو بذلك تبادل للأفكار و الأحاسيس و الرسائل التي قد تفهم و قد لا تفهم بنفس الطريقة من طرف كل الأفراد المتواجدين في وضعية تواصلية¹. حيث جاء في كتاب 'التواصل بين الثقافات': " تكشف التجربة الشخصية أنه عندما نلتقي بشخص ما للمرة الأولى، يبدأ جمع المعلومات حول هذا الشخص على الفور. هذه المعلومات تخدم غرضين : أولاً، تمكننا من التعرف على الشخص الآخر ، ثانياً نتساعدنا في تقرير كيفية تقديم أنفسنا لهذا الشخص"².

والتواصل وظيفتان أساسيتان :

- 1- وظيفة معرفية و تتمثل في نقل الأفكار و الرموز الذهنية و تبليغها، و تبادل الخبرات و الأساليب اللغوية و غير اللغوية في الزمان و المكان المحددين من طرف المتواصلين.
 - 2- ووظيفة وجدانية تأثيرية تقوم على تمتين العلاقات الإنسانية و تفعيلها على المستوى اللفظي و غير اللفظي (مثلا تقنية الميم)، و هو التعبير عن المواقف و الأفكار بحركات ميمية، أي بدون إصدار أصوات، أي الفعل بدون كلام.
- كما يمكن إجمال وظائف التواصل في ثلاث وظائف بارزة و هي :

- التبادل - Echange

- التبليغ - Transfert

- التأثير - Impact

ويستند التواصل في سياقاته على التغذية الراجعة " فيد باك " feedback كتقنية في حالة حدوث سوء الإستقبال أو الإستيعاب أو التشويش أو الإنحراف عن مضمون غاية الرسالة.

1 - د. مصطفى العمراني 'أنظمة التواصل اللساني'

2 - نظريات التواصل و اللسانيات الحديثة، رابيس نور الدين، مطبعة سايس، فاس-ط1، 2007.

فوظيفة التّواصل هي التّأثير على المتلقّي و ذلك بهدف إحداث تغيير في سلوك الآخر. وتعتبر المدرسة السلوكية من أهمّ التّيّارات السيكولوجية التي ركّزت على الوظيفة التّأثيرية، لأنّ التّواصل حسب المنظور السلوكي يركّز على مفهومي المثير والإستجابة. ومن ثمّ، فإنّ السلوك اللفظي وغير اللفظي هي تأثيرات شعورية تكون لها إنعكاسات إيجابية مثل التّعاون؛ كما يمكن له أن يترك تأثيرات سلبية مثل التّعارض والصّراع، إلا أنّ العمليات الإيجابية هي أقوى أثراً وأبقى من السلبية. ولكي يتمّ التّواصل اللفظي (اللساني) بطريقة ناجعة، لا بدّ من إعتداد تقنيّات التّواصل اللفظي اللّساني، وسمّي باللساني، نسبة إلى اللسان، فاللسان يعتبر الأداة الرّاقية التي إستخدمها الإنسان للتّواصل وتحديد رؤيته لنفسه وللآخرين، وهو يعدّ، حسب الكثير من المفكرين¹ مثل دوسوسير، أساس إنفصال الإنسان عن الحيوان. حيث يقول فرديناند دي سوسير أن: "اللغة هي نظام من الإشارات التي تعبر عن الأفكار، وبالتالي فهي قابلة للمقارنة مع نظام الكتابة، الأبجدية للضم-البكم، الشعائر الرمزية، الصيغ المهذبة، الإشارات العسكرية،... إلخ، لكنها أهم هذه الأنظمة"² فبواسطة اللسان يتمّ التّواصل اللّغوي في أرقى أشكاله معتمداً في ذلك على أصوات ومقاطع وكلمات وجمل، ويتمّ كل ذلك عبر القناة الصّوتية-السّمعية.

وفي هذا الإطار، سوف نتحدّث عن مفهومين مرتبطين بالتّواصل اللّساني، وهما القدرة اللّغوية أو (الكفاية اللّغوية)، و القدرة التّواصلية أو (الكفاية التّواصلية)، فما هو الفرق بينهما؟

يعرّف العالم الألسني تشومسكي chomsky، صاحب النظرية التوليدية، الكفاية اللّغوية بقوله: "يشير مصطلح الكفاية اللّغوية إلى قدرة المتكلم/المستمع المثالي على أن يجمع بين الأصوات اللّغوية وبين المعاني في تناسق وثيق مع قواعد لغته... فمن الواضح جداً أن للجمل معنى خاص تحدده القاعدة اللّغوية، وأن كل من يملك لغة معينة قد إكتسب في ذاته، وبصورة ما، تنظيم قواعد تحدّد الشّكل الصّوتي للجمله و محتواها الدّلالي الخاصّ، فهذا الإنساني قد طوّر في ذاته ما نسمّيه بالكفاية اللّغوية الخاصة".

ويتبين من خلال هذا التعريف أن الكفاية اللّغوية مرتبطة بإستخدام اللّغة كأداء كلامي مرتبط بقواعد محدّدة ومضبوطة، وأمّا الكفاية التّواصلية أو ما يصطلح عليه من اللسانيين بالقدرة

1 - د. مصطفى العمراني 'أنظمة التّواصل اللّساني'
2 - فرديناند دي سوسير 'دورة في اللسانيات العامة' ص. 16

التواصلية، فإنّ مفهوم القدرة التواصلية حسب هايمز لا يقتصر على معرفة التّسق اللّغوي، وإنما يتجاوز ذلك على معرفة كيفية استعمال اللّغة في السّياق الإجماعي.

ويمكن أن نلخص مكونات القدرة التواصلية حسب ما اقترحه بعض الباحثين في ثلاث قدرات¹ :

1- قدرة نحوية : وهي معرفة نحو و معجم و دلالات لغة ما.

2- قدرة سوسيولسانية : وهي معرفة العلاقات بين اللّغة و سياقها غير اللّساني، أي معرفة كيف تستعمل وتستجيب لأنواع مختلفة من أفعال الكلام.

3- قدرة إستراتيجية : وتسمّى أيضا إستراتيجيات التّواصل اللّغوي وغير اللّغوي التي يمكن أن تعوّض الضعف في ميادين أخرى.

نخلص إذن مما سبق، أن القدرة اللغوية هي جزء لا يتجزأ من القدرة التواصلية.

وبناء على هذا، فإنّ اعتبار عملية التواصل حصر على اللسان فقط، معناه إغفال وتجاهل أنواع أخرى من التواصل.

ويوجد في التراث العربي إشارات قوية لإهتمام الباحثين القدامى بالأنساق غير اللسانية و خاصة الإشارات، ومن بين هؤلاء الباحثين اللغويين الجاحظ حيث يقول : " والإشارة واللفظ شريكان ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عنه ". من كتاب البيان والتبيين²، وهذا يظهر جليا في أشعار بعضهم، حيث يقول أحدهم :

أشارت بطرف العين خيفة أهلها ☺ إشارة مذعور ولم تتكلم

فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبا ☺ و أهلا وسهلا بالكريم المتيم

وبذلك ضربت الأمثال في الثقافة العربية بطريقة التواصل بالعين فسار المثل المشهور " ربّ إشارة أبلغ من عبارة ".

المطلب الثاني : التواصل بين الثقافات :

يعتبر التواصل بين الثقافات شكل من أشكال الإتصال الذي يهدف إلى مشاركة المعلومات والمعرفة بين الثقافات والمجموعات الثقافية المختلفة. ويستخدم مصطلح التواصل بين الثقافات لوصف طائفة واسعة من عمليات الإتصال و المشكلات التي تظهر بشكل طبيعي في التنظيمات

1 - " أنظمة التواصل اللساني " . د. مصطفى العمراني.

2 - البيان و التبيين للجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الجزء 1، دار الجيل بيروت ص 77-78 ، منقول عن www.djennad.net

التي تتكون من أفراد ينتمون إلى ديانات مختلفة، ومجتمعات مختلفة وأعراف مختلفة وخلفيات تعليمية مختلفة، بهدف التواصل بين الثقافات إلى فهم كيفية تصرف الأشخاص المنتمون لدول وثقافات مختلفة مع العالم المحيط بهم وكيفية تواصلهم معه وإدراكهم له. ففي الطبعة الثامنة لكتاب 'التواصل بين الثقافات' كتب مايلي: " بالنسبة لنا ، يحدث التواصل بين الثقافات عندما ينتج أحد أعضاء إحدى الثقافات رسالة للاستهلاك من قبل عضو في ثقافة أخرى ، وبشكل أكثر دقة ، يشمل التواصل بين الثقافات التفاعل بين الأشخاص الذين تختلف تصوراتهم الثقافية وأنظمتهم الرمزية بما يكفي للتأثير على حدث الاتصال"¹

يقول الكثيرون ممن يعملون في مجال الإتصالات التجارية بين الثقافات، أن الثقافة تحدد كيف يمكن للأفراد ترميز الرسائل والوسائط التي يختارونها لنقل تلك الرسائل وكيف يفسرونها²

تدرس دراسات "التواصل بين الثقافات" بوصفها فكرة منفصلة، الأوضاع التي يتفاعل فيها البشر من خلفيات ثقافية مختلفة.

يلعب التواصل بين الثقافات دورا في العلوم الإجتماعية، كعلم الإنسان، والدراسات الثقافية، وعلم النفس واللغويات، ودراسات الإتصالات. كما يشار في 'التواصل بين الثقافات' على أن : "المحادثة مع الآخرين تخلق تجربة ممتعة لأنها تعطي شعورا بالدفء والصدقة، على الرغم من أن الثقافات قد تعبر عن هذه المشاعر والعواطف بشكل مختلف، إلا أن جميع الناس، بطبيعتهم وتغذيتهم، يحتاجون إلى التواصل والتفاعل مع الآخرين"³.

فمن الضروري أن يقوم الأشخاص ببحث الثقافات و تقاليد التواصل الخاصة بهؤلاء الذين ينوون مقابلتهم، حيث سيقبل هذا من خطورة ارتكاب الأخطاء الأولية. ومن الحكمة أيضا وضع أجندة واضحة ليفهم الجميع طبيعة التفاعل و غرضه، وعندما تكون مهارات اللغة غير متساوية، فإن توضيح المعنى الذي يقصده الشخص باستخدام الطرق الخمسة التالية سيحسن من التواصل :

1- تجنب استخدام التعبيرات الإصطلاحية واللغة العامية، وإختيار الكلمات التي ستنقل أكثر المعاني الدلالية تحديدا فقط.

¹ - ل.س.ر.ب.-إ.م.ك.ر/ 'التواصل بين الثقافات'- الطبعة الثامنة-ص8

² - learning jakob (2011). « intercultural organizational communication : the social organizing of interaction in international encounters », journal of buisness and communication. U8.3 , 231-55

³ - ل.س.ر.ب.-إ.م.ك.ر/ 'التواصل بين الثقافات'- الطبعة الثامنة-ص28

- 2- إستمع بحرص، و عند الشك، قم بالإستفسار لتأكيد الفهم (خاصة عندما تمثل اللهجات المحلية وطريقة النطق مشكلة).
- 3- إدراك أن اللهجات و حدة الصوت قد يتسببان في إختلاف المعنى بدرجة ملحوظة.
- 4- مراعاة شكليات و أساليب التواصل المحلية، والإنتباه لأي تغيير يحدث في لغة الجسد.
- 5- المعلومات التي تم جمعها من كل من الرسائل اللفظية وغير اللفظية، ضرورية في التواصل بين الثقافات لأنك في كثير من الحالات تتعامل مع "الغرباء".

أولا : مفهوم الإتصال :

"نفتوح أن الاتصال البشري هو عملية ديناميكية يحاول فيها الأشخاص -اص مشاركة أفكاره م مع الآخرين من خلال استخدام الرموز في إعدادات معينة¹

تعني كلمة الإتصال في اللغة العربية البلاغ، فنحن نقول أوصله الشيء أو أوصل إليه الشيء، أي أبلغه إياه، كما تعني أيضا ربط الشيء بالشيء، وقد تعني الأداة التي يتم بها الوصل، وتسمى الموصل، أو الموصّلات، كما هو الشأن في علم الطبيعيات، حيث تشير إلى الأجسام التي تنقل خلالها الكهرباء، وقد تشير إلى الإرتباط و التلاحم، حين يأتي الحديث عن التواصل.

إذن، فحسب الدلالات اللغوية لكلمة الإتصال، يتضح لنا أن عملية الإتصال تحدث بين طرفين، كما أنها تتم من خلال وسيلة ويكون من آثارها حدوث إرتباط هذين الطرفين.

هذا وقد ورد المفهوم إلى اللغة الأجنبية (الغربية) من الأصل اللاتيني communis والذي يعني المشاركة والإشراك في الشيء. وهي تعني في اللغة الإنجليزية، ذات الشيء. أما في اللغة الفرنسية، فتشير كلمة communication، إلى عملية الإتصال ووقوعه، 'd'être en liaison- communiquer Action de، وإلى طرق الإتصال (طرق، قنوات) "voies de"، وإلى الوسيلة التي من خلالها يتم الإتصال.. إلخ.

هذا، ويعتبر المدلول اللغوي قريب من المفهوم الإصطلاحي، سواء في المعنى الكلاسيكي لكلمة إتصال، هذا المعنى الذي يجعل المستقبل مجردا من الإرادة عند عملية التلقي، أو من خلال التعاريف الحديثة التي تؤكد التفاعل بين أطراف الإتصال أو تلح على عنصر الإختيار؛ إذ أنها

¹ - ل.س.ر.ب.إ.م.ك.ر/ 'التواصل بين الثقافات'- الطبعة الثامنة-ص29

تعتبر الإتصال عملية تفاعل إجتماعي يستخدمها الناس لبناء معان تشكل في عقولهم صوراً ذهنية عن العالم، وهم يتبادلون هذه الصور الذهنية عن طريق الرموز. ويعتبر هؤلاء الإتصال مشاركة في فكرة أو إتجاه أو موقف، دون أن يعني ذلك الإتفاق في الفكرة أو الإتجاه أو الموقف¹ ولكن، يبقى جوهر الإتصال، هو العملية أو الطريقة التي تنتقل بها الأفكار والمعلومات وغيرها بين من يقوم بإصدارها و التعبير عنها و بين من يتلقاها، وما ينتج عن ذلك من تفاعل وتواصل وتغييرات تختلف باختلاف النسق الذي تتم فيه العملية. وهذا ما أوضحه محمود عودة عند تعريفه للإتصال بقوله : " مفهوم الإتصال يشير إلى العملية أو الطريقة التي تنتقل بها الأفكار والمعلومات بين الناس داخل نسق إجتماعي معين، يختلف من حيث الحجم، ومن حيث العلاقات المتضمنة فيه، بمعنى أن يكون هذا النسق الإجتماعي مجرد علاقة ثنائية نمطية بين شخصين أو جماعة صغيرة أو مجتمع محلي أو مجتمع قومي أو حتى المجتمع الإنساني ككل "².

ولا يجب أن يعني التمييز بين التعاريف الكلاسيكية والتعاريف الحديثة، أن الأخيرة حلت محل الأولى، بل يجب أن يفهم ذلك باعتبار أن التعاريف الكلاسيكية تخص على وجه الخصوص الجانب الإعلامي للإتصال الذي يبقى يشهد علاقة تأثير للمرسل للمعلومات والأفكار على المتلقي من خلال الأخبار والإشهار والدعاية وباستعمال مختلف أنواع ووسائل الإتصال.

مع الإعتراف بوجود بعض التعاريف التي غالت في هذا الإطار وجعلت الإتصال مجرد إستجابة المتلقي للمرسل، مثلما هو الحال بالنسبة لتعريف ستيفنس Stevens : " الإتصال هو إستجابة الكائن الحي المميز لأي مرسل "³.

وخلاصة القول، فإن التعاريف الحديثة تشير إلى ذلك النوع من الإتصال الذي يتم بين طرفين بشكل تفاعلي، كما يحدث في أساليب التربية الحديثة أو داخل المؤسسات ذات التنظيم العالي والديمقراطي، في حين أن التعاريف الكلاسيكية تؤكد على دور المرسل في توجيه المضامين نحو المستقبل بغرض تغيير مواقفه وسلوكه، وهذا ما أفاضت في ذكره مدراس الإعلام الأمريكية التي

1 - حسين خريف ، " الإتصال : مفاهيم ، أساليب و أنواع " في فضيل دليو و آخريين : الإتصال في المؤسسة ، فعاليات الملتقى الوطني الثاني. مؤسسة الزهراء للفنون المطبعية ، قسنطينة ، 2003 ، ص 9.

2 - محمود عودة، أساليب الإتصال و التعليم الإجتماعي، دراسة ميدانية في قرية مصرية، القاهرة، دار المعارف، 1971، ص 5.

3 - محمد سلامة، محمد غباوي، السيد عبد الحميد عطية، الإتصال و وسائله بين النظرية و التطبيق، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 1991، ص 22.

شرحت خصائص وشروط هذا التأثير، بل أنها توسعت في الكشف عما تعتبره أسلوباً تضليلياً تقوم به وسائل الدعاية والإعلام المريكية على وجه الخصوص.

ومن التعاريف الكلاسيكية نختار ما يلي :

- الإتصال هو : " العملية التي ينقل من خلالها الفرد أو الجماعة (المرسل ، المرسلون) بعض الرسائل من أجل التأثير على سلوك أفراد أو جماعات أخرى (المتلقي ، المتلقون) و تغييره حسب رغبة محددة " ¹.

ومن التعاريف الحديثة نختار ما يلي :

لقد أورد الأستاذ بن نوار صالح في مقاله المعنون "الإتصال الفعّال والعلاقات الإنسانية" والمنشور في الكتاب الذي أشرف عليه فضيل دليو عدة تعاريف للإتصال داخل المؤسسة والإدارة بقوله : " فهو عملية نقل وتبادل المعلومات الخاصة بالمنظمة داخلها وخارجها، وهو وسيلة تبادل الأفكار والإتجاهات والرغبات بين أعضاء التنظيم، وذلك يساعد على الإرتباط والتماسك، ومن خلاله يحقق الرئيس الأعلى ومعاونوه التأثير المطلوب في تحريك الجماعة نحو الهدف" ².

ولفهم المدلول الإصطلاحي للإتصال يجدر بنا معرفة المفاهيم القريبة منه، ثم تحليله لمعرفة العناصر أو المكونات الأساسية للتعرف عليه. ومن المفاهيم المجاورة لمفهوم الإتصال بحكم التطورات المعاصرة أو بحكم الدلالة اللغوية أو الإصطلاحية، المفاهيم التالية : مفهوم الإعلام، مفهوم الدعاية، مفهوم الإشهار.

أ / مفهوم الإعلام :

يعرف الإعلام information على أنه "عملية حصول أو إعطاء معلومات عن واقعة أو مجموعة إشارات، أو معلومات يمكن أن تترجم إلى كلمات أو نصوص أو صور، ويمكن أن تعرف بوصفها مجموعة من الإشارات التي تمّ ترميزها ومعالجتها بالحاسب الآلي، إلى آخره من التعاريف التي تدل على سعة هذا المفهوم وإنسحابه على حقول كثيرة.

¹ - محمد الجوهري و آخرون، علم الإجتماع و دراسة الإتصال الجماهيري، القاهرة ، دار المعرفة الجامعية، 1992، ص 18.
² - فضيل دليو و آخرون، الإتصال في المؤسسة، منشورات مخبر علم الإجتماع و الإتصال، قسنطينة، مؤسسة الزهراء للفنون المطبعية بالخروب، 2003، ص 83-84

وبشكل عام، فهو يتضمن عملية تبليغ وقائع أو جعل المستعلم أو المستعلم يحصل على وقائعه بوصول الخبر إليه، كما يتضمن جملة وسائل و وسائل تفصح عن صيغ و أشكال للتعبير متعددة، بفضلها يتم التبليغ ونشر الخبر.¹

وقد أشار إلى هذه العناصر التي تتم من خلالها عملية الإعلام " فرنان تيرو " من خلال تعريفه للإعلام الذي يقول فيه : " الإعلام هو نشر الوقائع و الآراء في صيغة مناسبة بواسطة ألفاظ أو أصوات أو صور، وبصفة عامة بواسطة جميع العلامات التي يفهمها الجمهور".²

كثيرا ما يستعمل مفهوم الإتصال مكان مفهوم الإعلام، و يحدث العكس أيضا في مرات عديدة ويرى البعض أن مفهوم الإعلام يقتضي وجود الإتصال بشكل عام في حين أن المفهوم الثاني لا يقتضي وجود الثاني.

فالإتصال لا يؤدي بالضرورة إلى الإعلام، فعند أداء طقوس معينة أو حين ينفجر الكل في غمرة من الضحك، فإن الجميع يشعر بشعور مشترك وبالإنتماء إلى إطار مجتمعي واحد، دون أن يرتبط هذا الشعور بمضمون معرفي ما، أي من دون وجود معلومة. ولذلك، يرى الفلاسفة أن قوة المعلومة و قياسها يكون ضمن حقل معرفي، في حين أن الإتصال يجد مضمونه ضمن الفعل والتنظيم.³

فالتواصل، لا يحتاج بالضرورة إلى مضمون إعلامي لكي يحدث، فهو يتم ضمن نسيج من العلاقات الإجتماعية بين أفراد المجتمع، حيث نجده يحدث حتى بين الأم ورضيعها الذي لم ينطق بعد، فهذه العلاقات تحقق تواصلا وشعورا مشتركا بلغة صامتة يتجاوز مداها لغة الحروف والإشارات. مما يعني أن الإتصال أعمّ من مفهوم الإعلام، الذي يكون بتبليغ مضمون رسالته.

ب / مفهوم الدعاية :

أما فيما يخص مفهوم الدعاية *propagande*، فقد تضاعف تأثيره مع تطور وسائل الإعلام. وتعرف الدعاية بأنها تشير إلى العملية التي يسعى من ورائها البعض إلى التأثير على سلوك الجمهور ومواقفه، سواء لأهداف نبيلة أو غير نبيلة، مثل التأثير على سلوك الناخب أو الجندي أو المواطن

¹ - منتديات وادي العرب الجزائري، مفهوم الإتصال-عناصره-أهدافه و أنواعه. www.wadilarab.com/7516-topic

² - زهير إحدادن، مدخل لعلوم الإعلام و الإتصال، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1991، ص 14.

³ - Daniel Bougnaux-introduction aux sciences de la communication, Alger, Edition Casbah, 1999, p 72

العادي. ومن السهل التأريخ لبداية الدعاية، التي إرتبطت بالترويج لصاحب الحكم والملك والسلطة، وربما كان لها الفضل الكبير في تطوير أساليب الخطابة منذ عصور اليونان مروراً بحضارات وحكومات¹.

ويرجع " نوام شومسكي " Noam Chomsky، بدايات الدعاية في العصر الحديث إلى فترة إنتخاب " وودرو ويلسون " Woodrows Wilson، كرئيس للولايات المتحدة الأمريكية في 1916، بعد حملة إنتخابية كان شعارها : " السلام من دون نصر "، و ذلك في منتصف الحرب العالمية الأولى، حينما كان الشعب الأمريكي مسالماً، ولايفكر في التورط في حرب أوروبية. ولكن حكومة ويلسون فكرت في ذلك، وكوّنت لجنة حكومية للدعاية كان هدفها هو إحداث تحوّل بمقتضاه يصبح الشعب المسالم، شعب مهووس بالحرب، و يرغب في تدمير كل ما يمتّ بصلة بالألمان، و الدخول في الحرب و نجدة العالم.

وقد ساعد هذا النجاح على إستعمال نفس التقنيات فيما بعد للتعبيّة ضد الخطر الأحمر الشيوعي، ثم (الخطر الأصفر). وقد ساهم بعض المثقفين التقدميين في هذه الحملات الوطنية مثل " جون ديوي " John Dewey، وقد كان هؤلاء يشعرون بالفخر بوصفهم " الأعضاء الأكثر ذكاء في المجتمع " و يرى شومسكي، أن الوزير البريطاني المكلف بالدعاية، هو من روّج للكثير من الإشاعات والحكايات التي كانت تشاع وتبث يومياً. وهو الذي توعد بتضليل أكبر عدد من الناس، وكان أهم شيء عنده، هو التحكم في آراء " الأعضاء الأكثر ذكاء في المجتمع الأمريكي "، فهم من تولّوا بعد ذلك الدور التضليلي².

وقد ساهمت البحوث المخبرية études en laboratoire خاصة تلك التي قام بها " كارل هويلاند " Karl Houland، ومعاونيه في الكشف عن تأثير الدعاية من خلال توضيح شروط التأثير التي تجعل المتلقي ينصاع ويستجيب بشكل محدد. كما أوضحت كيف يتأثر المتلقي بالمصدر la source، لإعتقاده، وثقته فيه، بوصفه مطلع على الحقيقة أو على الأقل يفترض فيه معرفتها.

¹ - منتديات وادي العرب الجزائري، مفهوم الإتصال-عناصره-أهدافه و أنواعه.

² - Noam Chomsky, Robert wx,Mc chesney,propagande,média et démocratie,Alger,les éditions El-Hikma ,2000,p 17-19.

ومن جهة أخرى، ساهمت "التحقيقات الميدانية" enquêtes sur terrain في إثراء نتائج هذه الدراسات بإضافة معلومات هامة تتعلق بالتأثيرات الفعلية effets réels، حيث أوضحت نسبية تأثير الدعاية السياسية من خلال الصحف والراديو، وبيّنت أن الفرد يتأثر أساساً بوسطه الاجتماعي. فغالبا ما يتخذ سلوكا انتخابيا معيناً حسب تأثير الأقارب كما إتضح من خلال النتائج التي توصل إليها " بول لازارسفيلد " Paul Lazarsfeld، وغيره من الباحثين عند دراستهم للانتخابات الرئاسية في 1940، التي تواجه فيها روزفيلت وبويلكي. وقد دعمت نتائج الدراسة الإعتقاد السابق حول التأثير الكبير للراديو والصحافة¹.

ج / مفهوم الإشهار :

ومن المفاهيم الأخرى ذات الصلة بمفهوم الإتصال، الإشهار أو الإعلان الذي أصبحنا نجده في الطرقات وفي وسائل الإعلام المختلفة، وأصبح يشكّل ظاهرة إجتماعية قائمة بذاتها. وهو يعتبر مثل الإتصال، فهو عبارة عن مجموعة من المضامين التي تروّج لسلعة أو خدمة أو فكرة ما تصدر من مصدر معيّن، يستخدم وسيط إتصالي مناسب ليعتد برسائله إلى جمهور مستقبل، حتى يقنعه بما يقدمه له، و يؤثر بالتالي عليه، فيحبّب إليه ما يعرضه عليه. و تعرفه " كريستين باعتبارها : " يشير إلى كل تقنيات الترويج المستعملة للتعريف Christine leteinturier لتأنتورييه" أو تحبيذ تنظيم ما، أو سلعة أو خدمة أو حادثة أو فكرة مهما كان الشكل أو الغاية"². ونجد نفس التعريف عند محمود عساف عندما يعتبره يشمل " مختلف نواحي النشاط التي تؤدي إلى نشر وإذاعة الرسائل الإعلانية المرئية أو المسموعة على الجمهور لغرض حثّه على شراء سلع و خدمات، أو من أجل التقبل الطيب لأفكار أو أشخاص أو منشآت معلن عنها"³. ونجد تعريفاً آخر في موسوعة "أونكارتا" مفيداً من حيث تمييز للإشهار عن بقية العمليات الإتصالية الأخرى، من حيث الأسلوب المتبع للتأثير على المستقبل.

¹ - chazel françois (influence) encyclopedie universalis.

² - Christine le teinturier « publicité », encyclopédia universalis

³ - أحمد عادل راشد، الإعلان، بيروت، دار النهضة العربية، 1981، 35، نقلاً عن فضيل دليو " تخصصات إتصال المؤسسة " في فضيل دليو و الآخرين، مرجع سبق ذكره، ص23.

فهي ترى أنه " يشير إلى الإعلانات التي تهدف لترويج البضائع والخدمات، والتي تحاول إحداث تأثير نفسي لأغراض تجارية، ويطمح الإشهار إلى التعريف بمنتج للجمهور، وكذلك حث هذا الأخير على إقتناؤه، وهي تختلف عن وسائل الإقناع الأخرى مثل الدعاية والعلاقات العامة والاتصال".

ويرجع تاريخ الإشهار إلى قرون بعيدة، فمن بين الطرق التي عرفت قديما، الإعلان الخارجي من خلال اللوحات الإشهارية الملونة أو غيرها، والتي كانت توضع أمام المحل أو تعلق في المبنى لجلب أنظار المارة.

غير أن الولادة الحقيقية للإشهار، كانت في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث أستعمل الإشهار المباشر في أراضيها الشاسعة من خلال إرسال الكتالوجات ويعتبر بائعي الحبوب وموزعي الكتب أول من إعتدوا هذه الطريقة، وبهذا ظهرت عمليات البيع من خلال المراسلة منذ 1870. ومع حلول القرن العشرين، توسع الإشهار داخل قطاعات أخرى، حيث بدأ البعض يعلن في الصحف الواسعة الإنتشار مثل منتجي الأدوية وشركات سكك الحديد، وفي هذه الحقبة، بدأ الصناعيون، منهم صانعي الصابون في صناعة منتجات التعليب، مما فتح تاريخا جديدا لتقنيات التعليب التي تعرف بالمنتج وتشهر به، و بذلك دخل الإشهار عهدا جديدا. وعليه، فيمكن القول، أن الإشهار أصبح يلعب دورا بارزا في التعريف بالمنتجات المختلفة، وخلق منافسة بينها، تعود بالمنفعة على المستهلك من حيث السعر والجودة.¹

ثالثا : عناصر عملية الإتصال :

من خلال التعريف الذي أوردناه سابقا للاتصال (نقل وتبادل المعلومات بين أطراف مؤثرة ومتأثرة، على نحو يقصد به ويترتب عنه تغيير في الموقف أو السلوك) يمكن أن نحدد عملية الإتصال من خلال العناصر التالية، التي تعدّ شروطا لإتمام هذه العملية :

أ/ "نقل و تبادل المعلومات" : أي أنه عملية إجتماعية، تتضمن شيئا ما (معلومات، رسالة، محتوى)، يتم إيصاله من خلال النقل و التبادل. فنحن أمام مسألتين، تتعلق الأولى بالمحتوى وتتعلق الثانية بطرق إيصالها.

¹ - منتديات وادي العرب الجزائري، مفهوم الإتصال-عناصره-أهدافه و أنواعه.

وفيما يخص عملية نقل و إيصال المحتوى، فقد أصبحت العملية اليوم من أهم الفنون و العلوم. ففي مجال التربية و التعليم مثلا، تعددت النظريات و العلوم التي تهتم بعملية نقل المضمون التعليمي. وفي مجال الإشهار، أصبح التدريب على ذلك يستدعي تظافر عدة علوم وفنون. وفي مجال الإدارة، إستحدثت مصالحي العلاقات العامة، وإستحدثت لها فروع علمية و دورات تدريب لإنجاح مهمتها في الترويج لخدمات المؤسسة وإقناع المتعاملين والزبائن.

هذا وكثيرا ما يتم الحديث عن أساليب الإتصال للتعبير عن مختلف الطرق المتبعة لتحقيق عملية نقل الرسالة، ويتضح من خلال تفحص الأساليب الخمسة التي حددها "فيرجينيا ساتير" virginia satir، أن هذه العملية شديدة الارتباط بشخصية المرسل، بتكوينه وبالواجهات التي توجه أفعاله وممارسته : و لذلك، فهي تتنوع حسب الأفراد و الهيئات.

ففي الوقت الذي يعتمد البعض على الطرق العنيفة للتبليغ بشكل مبرر (كما هو في التدريبات الشاقة للجنود و غيرهم)، أو غير مبرر حينما يكشف الأمر على تصرف عدواني لدى شخص، نجد البعض الآخر يعتمد على الحوار والإقناع العقلي كوسيلة للتعبئة وإستيعاب الأفراد، ولزيادة تفعيل أداء المستخدمين أو الأنصار.

وهناك من يعتمد على طرق ملتوية غير واضحة، في حين يكتفي فيه البعض بالإسترضاء وتجنب الخصام، وتسيير الأمور بشكل يجنبه الوقوع في المشاكل. وبسبب أهمية مسألة نقل المعلومة داخل عملية الإتصال، شدد " إدوين إيميري " Edwin Emery عليها عند تعريفه للإتصال : " الإتصال، هو فن نقل المعلومات و الآراء، و كذلك الإتجاهات من شخص إلى آخر، وكذلك عن طريق توجيه وسائل الإعلام والإتصال عن طريق الصورة أو الصوت أو الذوق أو الشم أو غيرها من الحواس ".

ب/ أما بالنسبة للمحتوى، أي الرسالة، فهي تعني كل ما من شأنه أن يوجه أو يرسل للجهة المستقبلية من أفكار و قيم وتعليمات و معارف ومهارات وأوامر.. إلى آخره.¹

¹ - منتديات وادي العرب الجزائري، مفهوم الإتصال-عناصره-أهدافه و أنواعه www.wadilarab.com.t 7516-topic

ويجب أن نفرّق بين المحتوى المشار إليه، والشكل عند الحديث عن الرسالة، فقد تكون الرسالة على شكل لغة (الكلام *) أو أصوات أو إشارة أو رمز أو صورة أو نغم أو رسم أو شكل معماري (ولذلك كانت العمارة والزخرفة مثلا أو الصور، تعبيرا عن رسالة خاصة تكشف هوية الأمة)، وبشكل عام ، تأخذ الرسالة أشكالا بحسب ما تتلقاه حواس الإنسان. ويتحدد نجاح المرسل في تبليغ رسالته في حسن إختيار الأسلوب والشكل والمحتوى، فأحيانا يتطلب المضمون التعليمي أن يستعمل المرسل أشكال التعبير الجسدي عندما يتعلق الأمر مثلا بالتعريف ببعض الموضوعات التي لا يمكن أن يستوعبها التلميذ إلا من خلال ذلك، و أحيانا، يكون التعبير من خلال الرسم أقوى، وهكذا ... فالعبرة هي تحقيق المرام.

- تتم " بين أطراف مؤثرة " و متأثرة : أي بين المرسل " Émetteur " و المستقبل " Récepteur " فقد يكون المرسل فردا أو هيئة، و قد يكون منتجا للخطاب و صانعه أو مجرد منفذ و ناقل له. ولذلك، و جب التفريق مثلا بين من يعدّ التقرير و بين الذي يذيعه، و من يصنع القرار و من يبلغه. هذا وتجدر الإشارة إلى طبيعة نجاح أي رسالة تتعلق بشروط خاصة بكل من المرسل أو المستقبل على حدى و بمدى العلاقة بينهما. فقد يعود التشويش أو اللبس أو الفشل في تحقيق أهداف الإتصال إلى الوسائل أو شكل الرسالة أو أسلوب الإتصال.¹

ولغرض التحليل، اقتباسا مما ذكر 'ال-ب-ب-إم-ك.ر' في 'التواصل بين الثقافات'-الطبعة الثامنة، نجد أن :

"الاتصال هو عملية خطية مع كل مرحلة من مراحل التفاعل، و تتطور كما أنه يحدث شيء واحد في كل مرة، هذه الفكرة الخاطئة تفشل في تصوير التفاعل البشري بدقة. لأنه، وفي معظم الحالات، تحدث ثماني مراحل من الاتصالات التي تتكون منها عناصر الإتصال في وقت واحد تقريبا. كما يعزز الوعي بالمكونات التفاعلية فهم طريقة اتصال الوظائف عندما يتبادل الناس الأفكار والمشاعر"، و نذكر المراحل التالية :

¹ - منتديات وادي العرب الجزائري، مفهوم الإتصال-عناصره-أهدافه و أنواعه.
* - يجب أن نفرّق بين الأصوات و الكلام، فالكلام هو اللفظ المركب المقيد بالوضع و هو يتكوّن من الإسم و الفعل و الحرف. فهو مركّب بحيث يؤكد شيئا أو ينفيه. و هو يكون من خلال الوضع أي من إبتكار المجتمع، حيث يتطور التفكير و الوسائل المختلفة التي يستخدمها الإنسان لتحقيق حاجاته و تحسين ظروف معيشته.

1- المصدر: يقوم المصدر، بالإضافة إلى شخص آخر، بإرسال وتلقي الرسائل، لأن الاتصال عملية تفاعلية.

2- التشفير أو الترميز: لأن ما نشعر به وتفكيرنا لا يمكن مشاركته مباشرة (لا يوجد اتصال مباشر بين العقل والعقل)، يجب أن نعتمد على تمثيل رمزي لحالاتنا الداخلية.

3- الرسائل: الترميز يؤدي إلى إنتاج الرسالة، وهي مجموعة من الرموز المكتوبة والمصورة واللفظية و/أو غير الشفهية. وفي حين أن الترميز هو فعل داخلي، فإن إرسال الرسائل يعد مهمة خارجية.

4- القناة: يجب أن يكون للرسائل وسيلة، للانتقال من شخص لآخر، تدعى القناة، ويمكن أن تتضمن القنوات مجموعة كبيرة من أنواع الوسائط، كالتلفزيون و الإنترنت، فيها يتم نقل الرسائل من مكان لآخر.

5- المتلقي: بعد إنشاء رسالة ونقلها عبر قناة، يجب أن تواجه جهاز استقبال، فالمتلقي هو الشخص الذي يأخذ الرسالة بعين الاعتبار، وبالتالي يرتبط مباشرة بالمصدر.

6- فك الشفير: يقوم المتلقي بفك تشفير الرسالة، وكثيرا ما يشار إلى عملية فك التشفير داخل جهاز الاستقبال على أنها معالجة للمعلومات، في هذه المرحلة، يعطي المتلقي معنى للسلوكيات الناتجة عن المرسل.¹

7- ردود الفعل: عندما نرسل رسالة إلى شخص آخر، فإنها عادة ما ندرك الرد الذي يقوم به الشخص تجاه تصرفاتنا، قد تكون تلك الاستجابة عبارة عن كلمات أو رد فعل غير لفظي أو حتى صمت، يُطلق على تصور الاستجابة لرسالتنا 'التعليقات'، فعادة ما تحتوي الملاحظات على مرحلتين. أولا، ينطبق على ردود الفعل التي نحصل عليها من شريك الاتصال الخاص بنا، ثانياً، في معظم الحالات، نستخدم رد الفعل هذا لتحديد ما يجب فعله بعد ذلك.

8- الضجيج: نحن نستخدم عن قصد كلمة "منافسة" كطريقة للفت الانتباه إلى حقيقة أن العديد من المحفزات تسعى للحصول على ملاحظة ويشير بعض علماء الاتصال، إلى مفهوم المحفزات المتنافسة على أنه ضجيج.

¹ - منتديات وادي العرب الجزائري، مفهوم الاتصال-عناصره-أهدافه و أنواعه..

رابعاً/ أهداف الإتصال و آثاره :

يتبين لنا من خلال التعريف، أن عملية الإتصال تنطوي على أهداف مختلفة بحسب النسق الذي تتم فيه، و حسب المرسل و الرسالة و طبيعة الجمهور المستقبل، فهو يتم بين أطراف تشترك في الأهداف، كما هو الحال في المؤسسة أو بين مؤثر و متأثر كما هو الحال في الغالب في التعليم والإشهار والدعاية وغير ذلك.

ومن هنا، يتضح لنا بأننا لا يمكن أن نتحدث عن الإتصال دون الحديث عن آثاره وما يترتب عنه من نتائج، و هذا يجزنا بالطبع لقول أن العملية الإتصالية تنطوي على أهداف يسعى المرسل إلى تحقيقها لدى مستقبله.¹

هذا ويتحدد الأثر حسب محددات ومعطيات عديدة (أسلوب الإتصال، شكل الخطاب ومحتواه والوسائل المستعملة ...) وكما يتنوع الأثر، يتنوع الهدف أيضا.

ونظراً لأهمية الأثر المتوخى من عملية الإتصال، أيّ عنصر الإستجابة، نجد البعض يركّز على هذا العنصر عند تعريفه للإتصال، على نحو ما نجد عند " ستيفنس " Stevens، الذي يرى بأنّ " الإتصال هو إستجابة الكائن الحيّ المميّز لأيّ رمز".²

أ / أساليب التواصل**4 الرسالة :**

يجب أن يبادر المرسل بالتخلص من أي صعوبات و ذلك من خلال التأكد من وضوح وسهولة فهم الرسالة بالنسبة للمتلقى، وهناك بعض الأمور التي يمكن القيام بها لتحقيق هذ الهدف.³

5 -إستخدام عدة قنوات :

يمكن زيادة فرص فهم الرسالة بدقة من خلال نقلها بطرق مختلفة وتشمل الأمثلة على ذلك التعبير عن الرسائل اللفظية بشكل مناسب من خلال تعبيرات الوجه والجسم المناسبة أو رسمها على

¹ - منتديات وادي العرب الجزائري، مفهوم الإتصال-عناصره-أهدافه و أنواعه www.wadilarab.com.t 7516-topic

² - محمد سلامة محمد غباوي، السيد عبد الحميد عطية ن مرجع سابق ص24

³ - موسوعة التنمية البشرية www.abahe.co.uk/humain-development-enc/77092-interpersonal-communication

ورقة. و يضمن التواصل عبر عدة قنوات للرسالة الواحدة أن يتلقاها المتلقي من خلال أكثر من حاسة. على سبيل المثال، قد يستخدم المدير الذي يتحدث عن الحاجة في تحسين جودة الإنتاج عدة قنوات، مثل الكلمات و نبرة الصوت وتعبيرات الوجه والإيماءات والصور والملصقات والعروض التقديمية المسموعة والمرئية.

6 التحدث بشكل شامل و محدد :

عندما يكون محتوى الرسالة جيداً أو غير معتاد بالنسبة للمتلقى، يمكن للمتلقى توضيح الرسالة من خلال تقديم خلفية كافية عنها والتفاصيل التي تتعلق بها. وبمجرد فهم المتلقى للإطار العام للرسالة، يمكنه فهمها بشكل صحيح. فمن خلال الإشارة إلى فترة زمنية، يجب إتمام مهمة معينة خلالها وذلك على سبيل المثال، فهكذا يمكن للمرسل الحد من فرص حدوث سوء فهم.

7 إقامة ثقة متبادلة :

يفضل المتلقي أن تكون دوافع المرسل واضحة له، فهل هو أناني أم يؤثر غيره على نفسه؟ يساعد كشف المرسل على دوافعه في بداية الحديث على إزالة قلق المتلقي و مخاوفه، كما أن ذلك من شأنه تعزيز الثقة بينهما.

8 كن شخصاً فعالاً :

إذا كنت شخصاً فعالاً واثقاً من نفسك، وتتسم بالإيجابية في توصيل ونقل المعلومات التي تعرفها، سوف تصبح جديراً بالثقة مقارنة بالشخص السلبي غير الواثق من نفسه والذي لا يحب المواجهة ويفضل الإنسحاب.

9 كن شخصاً معتدلاً :

إنّ الاعتدال في إظهار المشاعر الشخصية وردود الأفعال والإحتياجات و الرغبات للآخرين من الأمور المهمة. فالمبالغة في الإفصاح والتعبير عن المشاعر والحديث الكثير عن النفس وبشكل يتسم بالألفة الشديدة في مواقف لا تستدعي ذلك، تعطي إنطباعاً سلبياً عن الإنسان، كما أن المبالغة في إخفاء المشاعر والمواقف عن الأشخاص الذين لا يسمحون للآخرين بمعرفة أي شيء عنهم

حتى إذا كان من الأفضل القيام بذلك لتحسين العلاقة أو الإنتاجية. ويفضل القيام بالتقرب للآخرين¹ والتعبير عن المشاعر والآراء لهم بشكل تدريجي على أن يرتبط ذلك بالهدف المناسب. ومن المهم الإفصاح عن النفس لإنشاء علاقات تقدم الدعم حيث يفهم الأشخاص إحتياجات وقيم وأهداف ونقاط قوة الآخرين ونقاط ضعفهم، ومن المهم القيام بذلك لتطور كل من الفرد والفريق. فالناس في حاجة لمعرفة إحتياجات الآخرين و تلقي النقد البناء منهم عن تأثير سلوكهم على بعضهم البعض.

وأخيراً، يعتبر الإفصاح عن النفس من مكونات إرسال الرسائل بشكل ناجح لأنه ييسر عملية التوافق بينهم ويرسخ أو اصر الثقة و المصداقية ويساعد المتلقي في فهم الرسالة والتجاوب معها.

10 - كن شخصاً ودوداً:

إنّ الإنسان الذي يتمتع بالودّ والدّفء في التعامل أكثر قدرة على كسب مصداقية الآخرين، مقارنة بالشخص الذي يتّسم بالعداء والتعجرف أو مقاطعة الآخرين. فالناس يثقون أكثر في الأشخاص الذي يتّسمون بالود، لا الأشخاص الذين يحاولون إبهار الآخرين أو السيطرة عليهم.

11 - كن صريحاً:

إنّ أهم ما يحتاج إليه الناس في أيّ إنسان، سواء أكان قائداً أم صديقاً أم مساعداً هو الصراحة، لذلك يجب عليك تجنّب الخداع بجميع صورته، و التي قد تنطوي على تعبير مقصود في المعلومات بهدف تغيير رؤية الآخرين لموضوع ما. ويشمل الخداع الكذب وإخفاء الحقائق أو تشويهها وغيرها من السلوكيات التي لا تعكس مشاعرنا الحقيقية أو معتقداتنا.

12 - الحفاظ على المصداقية:

إنّ مصداقية المرسل هي أكثر العناصر تأثيراً في عمليّات التّواصل الشّخصية، فمصداقية المرسل تنعكس على إيمان المتلقّي، بأنه شخص جدير بالثقة، وتسهل العوامل التي تزيد وضوح عملية التواصل مثل تطابق الرسائل الشفوية مع الرسائل غير الشفوية في درجة مصداقية المرسل².

¹ موسوعة التنمية البشرية www.abahe.co.uk/humain-development-enc/77092-interpersonal-communication

² - مهارات الإتصال الفعال ، إعداد د . عادل صالح ، دكتوراه الإتصال السياسي - فريديريك أليكسندر - ألمانيا

13 - معرفة ما نتحدث عنه:

يصبح المتلقي أكثر إنتباها عندما يرى أن المرسل له خبرة في المجال الذي يتحدث فيه أو عندما يتم إعطاء التعليمات من شخص موثوق فيه، سوف تفقد المصداقية إذا شعر الناس بأنك لا تعرف ما الذي تتحدث عنه. فإذا لم تعرف الإجابة عن سؤال ما، لا تنكر عدم معرفتك و إجاباً لخبير حتى يجيب عن سؤالك فيما بعد.

14 - التحدّث بشكل متناسق:

حاول أن تتطابق رسالتك مع ما تقوم به، فعدم تطابق ما تقوله مع ما تفعله، يسبب الحيرة لدى المتلقي. فلو أخبر المدير مرؤوسيه بأنهم دائماً بجانبه لمساعدته و بدأ مشغولاً عندما يأتون إليه يعرضون مشكلاتهم، فإنه يوصل لهم شيئاً يختلف عمّا قاله لهم.

15 - تبادل المعلومات:

يكتسب التّواصل بين الأشخاص صيغة أخلاقية عندما يوفر حرية للفرد في الإختيار من خلال تقديم جميع المعلومات التي تتعلق بالموضوع. تصبح عملية التّواصل غير أخلاقية عندما تمنع الشخص الآخر من معرفة المعلومات التي تتعلق بإختياره، أو إجبار أشخاص آخرين على خيار معين لم يكونوا ليقوموا به، أو التراجع عن خيار كانوا على وشك إتخاذ.

ب / التّواصل بين الأشخاص:

تعدّ هذه المهارة إحدى أوجه الإتّصال اللفظي، وهي عبارة عن رموز لغوية منطوقة تقوم بنقل أفكارنا ومشاعرنا إلى الآخرين و ذلك عن طريق الإتّصال المباشر كالمناقشات وغيرها و عبر وسائل الإتّصال المختلفة (تلفزيون، إذاعة، هاتف، تحدّث مباشر ...).

وهناك جملة من التّكتيكات الفعّالة في التحدّث، يمكن حصرها فيما يلي:¹

- التعبير الواضح.

- استخدام النّمادج و الأمثلة.

¹ - مهارات الإتّصال الفعال، إعداد د. عادل صالح، دكتوراه الإتّصال السياسي-فريدريش أليكسندر-ألمانيا.

- الإنتباه إلى ردود أفعال الجمهور.
- القدرة على الإجابة بفعالية على أسئلة الجمهور.
- أما الإرشادات التي يمكن أن تساعد على الحديث مع الآخرين، فهي كما يلي :
- إختيار نغمة الصّوت التي تناسب موضوع الحديث.
- القدرة على التحكّم في أسلوب نطق الكلمات والألفاظ.
- تأمل موضوع الحديث والتعمّق فيه.
- تنقية الحديث من المعاني الصّعبة التّافهة و الفارغة و التّركيز على مضمونه و جوهره.
- تجنّب المعاني الصّعبة والمعقدة.
- مراعاة تعبيرات الوجه و حركة اليدين و الجسم التي تتلاءم مع سياق الحديث.
- إستخدام الإستمالات العاطفية و الإستمالات المنطقية وفقاً لطبيعة الجمهور المستهدف و مستواه الثقافي و الإجتماعي.
- تقديم الحجج المؤيّدّة و المعارضة لأفكار المتحدّث، و خاصّة في حالة إرتفاع المستوى التعليمي للجمهور.

كما أنّ هناك سمات لا بد أن تتوفّر في المتحدّث الجيّد و يمكن تلخيصها فيما يلي :

أولاً : السمات الشخصية :

أ- الموضوعية :

و تعني قدرة المتحدّث على السّلوّك و التصرّف وإصدار أحكام غير متحيّزة لعنصر أو رأي أو سياسة أو العدالة في الحكم على الأشياء و التحدّث بلسان مصالح المستحقين وليس المصالح الخاصّة.

ب- الصّدق :

و يعني أن يعكس الحديث حقيقة مشاعر المتحدّث، أفكاره و آراءه، كما يعني أن تتطابق أحوال المتحدّث مع أفعاله و تصرفاته.

ج- الوضوح :

ويعني القدرة على التعبير عن الأفكار بوضوح من خلال اللغة البسيطة والمادة المنظمة والمتسلسلة منطقياً¹.

د- الدقّة :

وتعني التأكد أنّ الكلمات التي يستخدمها المتحدث تؤدي المعنى الذي يقصده بعناية.

هـ- الإئزان الإنفعالي :

ويقصد به أن يظهر المتحدث إنفعاله بالقدر الذي يتناسب مع الموقف وأن يكون متحكماً في إنفعالاته.

و- المظهر :

ويعني أن يعكس مظهر المتحدث مدى رؤيته لنفسه. كما يحدّد الطريقة التي ينظر بها الآخرون إليه ويشكّلون أحكامهم عنه.

ويضمّ المظهر العام ، النظافة والأناقة الشخصية، والملبس والمظهر المناسب للحالة وكذلك الصّحة النفسية والبدنية.

ثانيا : السمات الصوتية :

وقد تؤثر العوامل الخاصّة بالنطق على مدى نجاح المتحدث مثل النطق بطريقة صحيحة ووضوح الصوت، والسرعة الملائمة في النطق وإستخدام الوقفات.

ثالثا : السمات الإقناعية :

تتضمن القدرة الإقناعية مجموعة من المهارات و هي :

- القدرة على التّحليل و الإبتكار.

- القدرة على العرض و التّعبير.

- القدرة على الضّبط الإنفعالي.

- القدرة على تقبّل النقد².

و عليه، فيمكننا القول أنّه، و من أجل إتقان فنّ التحدّث الجيّد يجب ما يلي :

¹ - مهارات الإتصال الفعال، إعداد د. عادل صالح، دكتوراه الإتصال السياسي-فريدريش أليكسندر-ألمانيا.

² - نفس المرجع.

- أعط إنطبعا بالحيوية و الروح المتفائلة.
- إعرف نقاط ضعفك في الحديث.
- كن على طبيعتك و لا تتصنع.
- إجعل تعبيراتك مرتبطة بالموضوع.
- صحح كلماتك عندما تخطئ .
- كن هادئا في حركة عنقك.
- تكلم بصوت هادئ و مرتفع.
- تنفس بانتظام و هدوء.
- قابل النقد بإبتسامة ثقة.

ج / مهارة مخاطبة الجمهور :

يقضي معظمنا الكثير من وقته بالحديث إلى الناس والأمر طبيعي جداً، لكن إذا كان الأمر يتعلق بالحديث إلى مجموعة من الناس، فيتولد لدينا شعور طبيعي بالرّهبة من الكلام أمام حشد من الناس، وإننا في هذه الحالة نحتاج إلى الثقة بالنفس كي نتغلب على هذا الشعور. لذا، فإننا بحاجة إلى بعض الأمور خلال الإعداد للحديث و بعض الأمور أثناء الحديث.

أما الإعداد للحديث ، فيحتاج إلى ست خطوات :

1- معرفة صفات الجمهور المستمع :

ونقصد به معرفة معلومات أساسية عنهم (متوسط أعمارهم، مستوى تعليمهم، إتجاهاتهم نحو موضوع الحديث و حجم هذا الجمهور).

فبمعرفة أعمار الجمهور يختلف أسلوب حديثنا والمعلومات التي تعطى تبعاً لقدرة الناس على الفهم. ولا ننسى أن الرسول صلى الله عليه وسلم، يحثنا أن نخاطب الناس قدر عقولهم. ويهمننا أيضاً معرفة إتجاهات الحاضرين عندما نتحدث عن مسألة جدلية أو أخلاقية حيث يؤثر ذلك على كمية المعلومات التي نحتاج إلى جمعها.

2 - إختيار الموضوع :

عندما نختار موضوعا للحديث، فيحبذ أن يكون ضمن إهتماماتنا ونعرف عنه الكثير ومراعاة إهتمام الحاضرين به، ولا ننسى جمع المعلومات بدقة عن الموضوع كي يكون الموضوع المطروح أكثر قوة.¹

3 - الغرض من الحديث :

عادة ما يكون للحديث أحد الأغراض التالية :

* **الإخبار:** يقدم فيه حقائق و معلومات بطريقة مباشرة.

* **الإقناع :** عند محاولة تبني فكرة ما، فإننا نحاول إقناع الجمهور بتلك الفكرة و إضافة إلى عرض الوقائع، نحاول مخاطبة عواطف الجمهور. فجاء في "التواصل بين الثقافات" : " يتيح لك التواصل إرسال رسائل شفوية وغير لفظية يمكنها تشكيل سلوك الآخرين . يصف كل من Adler و Proctor هذه الوظيفة على النحو التالي: "إلى جانب تلبية الاحتياجات الاجتماعية وتشكيل الهوية، يعد التواصل هو الأسلوب الأكثر استخدامًا للوفاء بما يسميه علماء الاتصال بأهداف مفيدة: حث الآخرين على التصرف بالطرق التي نريدها"²

* **الإمتاع :** و هنا نشعر الجمهور بالسرور والبهجة من خلال الخبرات التي نمتلكها.

4 جمع المعلومات :

إذا كانت معلوماتنا عن أي موضوع نود طرحه قليلة، علينا أن نقوم بجمع المعلومات عن طريق الكتب والمجلات و الصحف والأفلام والمكاتب الإلكترونية و الرقمية بإستخدام الكمبيوتر ويمكن الإستفادة من ذوي الخبرة في ذلك.

5 تنظيم محتوى الحديث :

يتطلب الحديث الناجح عناية بتنظيمه في : (1 مقدمة، 2 متن، 3 خاتمة).

¹ - مهارات الإتصال الفعال، إعداد د. عادل صالح، دكتوراه الإتصال السياسي-فريدريش أليكسندر-ألمانيا.

² - ل.س.-ر.ب.-إ.م.ك.ر/ 'التواصل بين الثقافات'- الطبعة الثامنة-ص28

* إجعل مقدمة حديثك جذابة، تشد إنتباه الجمهور، وتخبره بموضوع الحديث بصورة تستميله ولا تنفره.

* أما متن الحديث، وهو صلبه، فقدّم فيه نقاطه الرئيسية بعدة وجوه؛ فقد ترتب حسب الأهمية، الأهمّ أولاً ثم ما يليه، وقد ترتب زمنياً حسب تسلسل حدوثها.

وإذا عرضت لك نقطة تظن أن إستيعابها صعب، فحاول أن تبسّطها إلى وقائع بسيطة متدرجة، أو إلجأ إلى ما يعرفه الجمهور عنها.

* وخاتمة الحديث، خلاصته، وهي آخر فرصة متاحة لك لتحدث إنطباعات عميقة في المستمعين، فحاول أن تختم حديثك بأمر تدعو المستمعين إلى التفكير.¹

6 طريقة الإلقاء : هناك أربعة طرق لإلقاء الحديث، علينا أن نختار واحدة منها قبل الشروع في الحديث :

قراءة الحديث : وهي أسهل طريقة للحديث، ومن إيجابياتها أننا لا ننسى من خلالها النقاط التي نريد إيصالها إلى الجمهور، والحديث يلائم الوقت المتاح، لكن من سلبياتها، أننا نواجه الجمهور وقد يصاحبها رتابة تفقد الإهتمام بالحاضرين، كما يصعب تعديل المحتويات بما يناسب ردّ فعل الجمهور.

إستظهار الحديث : أي حفظ الحديث، وهي عملية صعبة تستغرق ساعات وأيام، تبعا لطول الحديث، ومن مساوئها أنها تنسي المتحدث عند الإلقاء نقاط قد تكون مهمة.

إرتجال الحديث :

يمتاز بأنه عفوي وحيوي، غالبا ما يلاءم الجمهور وعادة ما يستخدم في إجتماعات فرق العمل واللجان ومن مساوئه، إهمال بعض النقاط.

الإرتجال المعزز :

وهي صورة وسط بين قراءة حديث مكتوب و الإرتجال إذ أنه لا يكتب كاملا، و إنما تكتب نقاطه الرئيسية، و الكلمات أو الجمل المفتاحية التي يبدأ بها في كل نقطة، و من مزاياه المرونة، إذ أنك

¹ - مهارات الإتصال الفعال، إعداد د. عادل صالح، دكتوراه الإتصال السياسي-فريدريش أليكسندر-ألمانيا.

تستطيع أن تضيف إليه، أو تحذف منه حسب ردود فعل الجمهور كما أنه يمكنك من مواجهة الجماهير، وتعرف إنطباعاتهم أولاً بأول. ويحتاج الإرتجال المعزز إلى جمع معلومات وفيرة، تستخدمها بالقدر الذي تلحظه في إستجابات الجماهير لحديثك.

كما يجب أثناء الحديث أو التحدث أن نراعي عشر ملاحظات مهمة :

1- القاعدة : قبل الحديث، لاحظ القاعة التي تتكلم فيها، أنظر إلى المساحات الكافية للتحرك فيها،

قف في الوسط، حيث يساوي تقريباً العدد الذي عن يمينك و العدد عن يسارك.¹

2- لغة الإشارة : إجعل إشاراتك طبيعية وغير متكلفة، ركز على الموضوع وليس الحركات

وتجنّب الإشارات التي تضايق الحاضرين و إستخدم إشارات متنوعة على أن لا تكون قصيرة لا يفهمها أحد، ولا طويلة بحيث يملّ منها الجمهور، وإختر الإشارات تبعاً للموضوع وطبقاً لموضوع المحاضرة.

3- الإهتمام بالحاضرين : أنظر إلى الحاضرين جميعاً أثناء الحديث مع التأكد من تفاعلهم مع

الحديث، وتأكد من فهمهم للهدف من الموضوع.

4- تحريك المناقشة : وضّح أهمية الموضوع في تحقيق الهدف العام عند إثارة المناقشة تجنّب

التعميم والربط بين الأحداث والإفتراضات غير الصحيحة، وكذلك عدم زج الأمور الشخصية في المناقشة والدوران حول نقطة واحدة.

5- إنتباه الآخرين : حاول أن ينتبه إليك الحاضرون ولا ينشغلون بغيرك، حاول أن تتوافر فيك

الحيوية و اليقظة والحماس و ثراء المعلومات، نسّق بين كلامك وتعبيرات وجهك وحركات جسدك.

6- المرونة : جهّز ما يلزمك من المعلومات والتجهيزات، ولا تتقيد حرفياً بما حضّرت بل إنتقل

من نقطة إلى أخرى حسب سير المناقشات و إنتباه الآخرين.

7- المشاركة : لا تجعل إتصالك بإتجاه واحد، تأكد من فهم الحاضرين لما تقول، إبحث عمّن

يرغب في الحديث، ولا تنتظر من يتطوّع للسؤال.

8- الردّ على الإعتراضات : في حال وجود إعتراضات، حاول الربط بينها وبين نقاط إيجابية في

موضوعك بإستخدام طريقة (نعم ... لكن ...) و لا تراوغ السائل في حالة عدم معرفتك بالإجابة

¹ - مهارات الإتصال الفعال، إعداد د. عادل صالح، دكتوراه الإتصال السياسي-فريدريش أليكسندر-ألمانيا.

وكن صريحاً، إفهم مغزى السؤال، هل هو للمعارضة أو المضايقة أو عدم فهم أو تحويل الموضوع... إلخ.

9- قيادة المناقشة : سيطر على المناقشة، فأنت المتحدث، إذن أنت قائد المناقشة، ذلك من خلال الإعداد المسبق للحديث.

10- المواقف الفجائية : أعدّ نفسك لمواجهة الطوارئ، فمن الممكن أن تواجه مواقف تعطلّ من المايكروفون و المكيف أو تأخر بعض الحاضرين، فكن على إستعداد لمواجهةها و كن طبيعياً في ذلك.

المطلب الثالث : التواصل و الإتصال السياسي :

التّواصل أو الإتّصال السياسي، هو ذلك النّشاط الذي يقوم به السّاسة، والإعلاميون و أفراد المجتمع من أجل عكس أهداف سياسية محدّدة تتعلّق بقضايا البيئة السياسية وتؤثر في الرّأي العام والحياة الخاصّة للأفراد والشّعوب من خلال وسائل الإتّصال المتنوّعة.¹

وهو ما يعكسه نشاط السّاسة داخل الحكومة وخارجها والذين يتخذون من وسائل الإعلام منبراً لإيصال أصواتهم للشعب، أو نشاط الإعلاميون الذين يشاركون السّلطة في صناعة القرار وفي العملية السياسيّة.

وإتّصال السياسي يرفع حالة الوعي السياسي للأفراد في الدّول الديمقراطيّة والمتطوّرة، بينما في المجتمعات النّامية والتي تمارس الدكتاتوريات، فهو يهدف إلى الهيمنة و التّحكم في سلوك الأفراد والجماعات.

وتعتبر البيئة السياسيّة إحدى وسائل الإتّصال السياسي من خلال التأثير المعرفي على الإتّصال الشخصي وإنعكاسه على السلوك السياسي للفرد. والأحداث و الأزمات تخلق بيئة سياسية فاعلة ومؤثّرة على الممارسة وسلوك الأفراد، وتساعدهم على المشاركة السياسيّة مع الأحداث والأزمات نتيجة متابعتهم للأخبار والأحداث والتّحليلات عبر وسائل الإعلام المتنوّعة.

وكذلك الناخبون يكتسبون معلوماتهم السياسية من بيئتهم المحيطة بهم في الحملات الانتخابية من خلال الإتصال السياسي عن طريق إختيار الرسائل الإعلامية التي تلبي رغباتهم الذاتية. فالإعلام يلعب دور الوسيط في الإتصال السياسي، ويساهم في صياغة وتشكيل الحقيقة السياسية في المجتمعات الديمقراطية التي تمنح وسائل الإعلام حرية التعبير عن القضايا التي تشغل الجماهير. وكون الإتصال السياسي محدّد بأهداف مقصودة وغايات مرسومة، فالسياسي يتحدّث إلى الجمهور من خلال وسائل الإعلام إلى الرأى العام في المجتمع، فهي الوسيلة المثلى للإتصال السياسي وينقلون تلك المعلومات التي تبثها وسائل الإعلام بطريقة التحليل و التفسير للجمهور و تقديم وجهات نظرهم المختلفة لتلك المعلومات و الرسائل الإعلامية.

خلاصة

إنّ اللّغة هي أداة يستطيع الإنسان بواسطتها أن يتفاهم مع غيره من أفراد المجتمع في المواقف الحياتية المختلفة. فبواسطتها يستطيع نقل أفكاره وأحاسيسه وحاجاته إلى غيره ممّن يتعامل معهم، وعن طريقها يستطيع أن يعرف أفكار وأحاسيس وحاجات غيره من النّاس. فهي وسيلة هامة في مجال الفهم والإفهام اللذين يمثلين العلاقة الجدلية بين الفرد والمجتمع. فاللّغة نظام للتعبير وفقاً للقواعد من خلال خلفيات الكلمات و صياغتها. هي بذلك أعمق نظام يخترق عقول الأفراد بلا تفرقة، موضحاً الرّابطة القابلة للتداول ومبرزاً الدّلالة على الأشياء والمعاني، كما تتداول ثقافياً.

ومع اللّغة، هناك المخاطب دوماً، فهذا المتلقّي للرّسالة، مهما يكن وضعه، إنّهُ النقيض والمشابه، الغائب والحاضر، الجمع والمفرد، هو الرّغبة بمجمل تقلباتها. فاللّغة تطرح درجات للرّغبة بما هي معرفة، بما هي حوار، بما هي هيمنة بواسطة التعبيرات. إذن، ليست اللّغة أداة للتواصل فحسب، لكنّها أيضاً كون نتنفس من خلاله. فإذا أردنا التحدّث، سرعان ما تمدّنا اللّغة بكلّ طاقة محتملة لأنّها تعطينا مناسبة الحديث، وزخم الفهم. واللّغة تعتبر هنا أكثر من مجرد ألفاظ، فهي وسيلة تعبير إجتماعي وعلمي وسياسي وإقتصادي ممّا يحتم دراسة خصائص هذه الإستعمالات المختلفة ومعرفة أبعاد التكيّف اللّغوي مع مختلف الأغراض والمواقف.

ولذلك يصعب الحديث عن اللّغة، دون تسرّب الأبعاد التّواصلية إلى مجال تداولها وقد يكون هذا ما جعل أرسطو يقول: " اللّغة وظيفة عضوية في الإنسان، وهي أساس طبيعي للفضائل والصّلات الإجماعية و السياسية ".

وإذا كان التّواصل في مبادئه الكبرى، عبارة عن مجموعة من العلامات اللّفظية وغير اللّفظية، فإنّنا يمكن أن نخلص إلى أنّ اللّغة جزء لا يتجزأ من العملية التّواصلية، وإذا كانت دائرة التّواصل في شمولها تضمّ الإنسان والكائنات الحيّة الأخرى، فإنّ اللّغة البشرية بالمقابل تقوم على نظم تواصلية تمكّن الأفراد من القدرة على الإنتاج وفهم الألفاظ المعقّدة إنطلاقاً من تفاعل الطّاقات الدّهنية و العقلية، مع الحاجات التعبيرية المتجدّدة بما يعنيه ذلك من تعالق بين محتوى محدود

باطار معلوم قوامه، أصوات وفونيمات معروفة ومحدودة، وبين سيرورة من المتواليات اللغوية التعبيرية المتجددة باستمرار، تبعاً للتوليد الذهني المستمر والمتجدد.

ويعدّ المتلقي ركيزة ثابتة و مهمة في العملية التواصلية، فهو المحرك المعتمد أساساً في الفعل التواصلي، فمن خلال مشاركته في تنظيم وتوجيه الخطاب المتكوّن أساساً من العلاقات النحوية والصرفية للغة، ينتظم الخطاب وتصل الرسالة المراد تبليغها.

ومن هنا كان للمتلقي الدور الفعّال في إبراز وتحقيق التواصل، إذ يعدّ المتلقي الركيزة الأساسية للعملية التواصلية، فمن دونه، لا يمكن ان يتحقق أيّ تواصل.

وعليه، يوصف كل إستعمال للغة language لغرض التخاطب، بأنّه أداء كلامي performance، و بأنّه خطاب discours وبأنّه نوع من السلوك اللفظي verbal behaviour، وهو في كلّ الأحوال يهدف إلى تحقيق التواصل communication بين منتج الكلام ومستقبله سواءً عبر الكلام أو الكتابة، إلا أنّ هناك إختلاف في الغايات و المواقف و الذي أدى إلى الإختلاف في طبيعة الخطاب ووسائله.

فما يبتغيه السياسي في خطابه، يختلف بهذه الدرجة أو تلك عما يريده مستعمل اللغة العادي من كلامه في الموضوعات السياسية المحليّة، واللغة العادية بهذا الوصف، هي ذلك النوع من الخطاب المسخر لأغراض لا تتجاوز التعبير عن الحقائق المعاشية. ومن المهمّ أن نذكر بأنّ التواصل يكاد ينقطع في بعض الأحيان بين مستعمل اللغة العادية وصاحب الخطاب السياسي لوجود إختلافات جوهرية بين الخطاب السياسي واللغة العادية على الرّغم من كونهما يتناولان القضية نفسها.

فما هي إذن أسس الخطاب السياسي ؟

وهل أصبح الخطاب السياسي يفى بالغرض الذي وضع من أجله ؟

وهل إتساع الفجوة بين لغة رجل الشارع العادية والخطاب السياسي هي مظاهر الخلل في الأداء السياسي ؟

وهل أصبح من الضروري أن يحسن رجل السياسة الإستماع إلى لغة رجل الشارع العادية ويتخذها بوصلة، لأنها تعكس الواقع بصدق وتجرّد و شفافية ؟

وهل السياسة بحاجة إلى الثقافة من أجل الإتصال بالواقع والتفاعل معه ؟

الفصل الثالث

السياسة و سلطة اللغة

فهرس الفصل الثالث

تمهيد

92.....

95.....

95.....

99.....

101.....

102....

102.....

103.....

104.....

105.....

107.....

107.....

109.....

المبحث الأول : السياسة اللغوية ، مفهومها و آلياتها :

المطلب الأول : مصطلح السياسة :

المطلب الثاني : مصطلح اللغة :

المطلب الثالث : مصطلح السياسة اللغوية في اللسانيات الإجتماعية :

المبحث الثاني : الثقافة و السياسة تجليات العلاقة و أنماطها :

المطلب الأول : العلاقة بين المعرفة و الواقع :

المطلب الثاني : العلاقة بين النظر و العمل :

المطلب الثالث : العلاقة بين المعرفة و القوة :

المطلب الرابع : العلاقة بين القيم و المصلحة :

المبحث الثالث : بين لغة السياسة و سياسة اللغة :

المطلب الأول : سلطة اللغة :

المطلب الثاني : اللغة السياسيّة :

- المطلب الثالث : الخطاب السياسي و اللغة العادية : 110.....
- المطلب الرابع : لغة الساسة : 113.....
- المبحث الرابع : الخطاب السياسي : 115.....**
- المطلب الأول : الهوية البلاغية للخطاب السياسي : 118.....
- المطلب الثاني : الغرض من الخطاب السياسي : 119.....
- المطلب الثالث : وظيفة الخطاب السياسي و فن التواصل مع الجماهير : 120.....
- المطلب الرابع : الخطاب السياسي و أثره في تحريك الشعوب : 122.....
- المطلب الخامس:ثمانية من أعظم الخطابات السياسية في التاريخ: 125.....
- المطلب السادس : علاقة الخطاب السياسي بالسلطة : 128.....
- المبحث الخامس : الخطاب السياسي في علم اللسانيات : 131.....**
- المطلب الأول : تحليل الخطاب السياسي : 136.....
- المطلب الثاني : أهمية تحليل الخطاب في معالجة القضايا السياسية و الإجتماعية : 138.....
- 140..... خلاصة**

تمهيد

يقول الدكتور محمود عكاشة : " توجد علاقة قويّة بين اللّغة والسياسة، فاللّغة لسان السياسة والفتاة التي تحمل أفكارها وتحقق مقاصدها في الشعب، وهي من أهمّ وسائل التأثير الجماهيري، فاللّغة بمنزلة سلطة أخرى يستخدمها أصحاب القرار لقمع الوجدان الجماهيري والهيمنة عليه "*.

فاللّغة هي بمنزلة سلطة قويّة يستخدمها أصحاب القرار من (زعماء، وقادة، وسياسيون) من أجل بسط نفوذهم السياسي. فمن خلال اللّغة تحدث التعبئة لإحداث التغيير في الأوضاع السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية ... إلخ.

فالسّياسة بذلك، هي عبارة عن (لعبة الكلمات)، لأنّ الزعماء والسياسيون يتقلّدون السّلطة من خلال تلاعبهم بالكلمات ومن خلال قدرتهم على الإقناع وإستمالة العواطف، فهم يوظفون بذكاء الرموز اللفظية في نشاطهم التواصلي.

واللّغة السياسية بهذا المفهوم لا تتحقق بألفاظها، بل بالمعلومات التي تنقلها وبالسياق الذي تتحقق فيه عمليّة التّواصل، فالمسؤول السياسي مثلاً يصدر خطابه بكلمات رومانسية يدغدغ بها مشاعر الآخر ويقنعه، ولهذا الغرض يحتاج دائماً إلى التّلاعب بالكلمات.

إنّ اللّغة أداة حاسمة في الخطاب السياسي، من خلال ألفاظها القويّة المستعملة يتمّ إستمالة الجماهير بطريقة مقنعة، حيث تدفعهم اللّغة السياسية بالشعور بالإنتماء إلى فكر معيّن وتبني إيديولوجية معيّنة والتصويت على حزب دون آخر.

ومنذ صباح التّاريخ، يوم بدأ الإنسان يدوّن لمن بعده مآثره، كانت اللّغة أداة أساسية من أدوات السياسة، لم تكن أهمّيتها تقلّ عن أهمية المال وأهمّية الإحتماء بالعصبية، غير أنّ وزن اللّغة في إستواء أمر السياسة قد تطوّر بتطوّر آليات الإنسان في تواصله مع الإنسان، ثمّ تضخّم عندما أصبحت المعلومة ملكاً مشاعراً بين الحكّام و المحكومين.

إنّ ذلك التطوّر الذي آل إلى جعل اللّغة سلطة داخل سلطة السياسة، قد مرّ بمحطّات كبرى : فالمحطة الأولى هي نشأة الصّحافة، و الثّانية، ظهور البثّ الإذاعي، والثالثة ظهور البثّ التلفزيوني، والرابعة إساحداث الأنترنت. فهي كالمراحل الجنينية التي إستوى عليها سلطان اللّغة، وأصبح من

* : محمود عكاشة (2005) خطاب السلطة الإعلامي، ص 33.

الغباء أن نعزل سلطة السياسة عن سلطة اللغة، فاللغة في الوجود هي أداة مطلقة، وهي في السياسة قيمة مقيدة، ولكنها في الإعلام وظيفة متحركة، وتجري العادة بأن الناس يهتمون بالحدث السياسي دون أن ينتبهوا ملياً للصياغة التي نحكي بها تفاصيل الحديث، و بذلك تراهم يطابقون بين الحدث السياسي والخبر السياسي، فهم ينزلون الأوّل منزلة المدلول و الثاني منزلة الدال، فلا يخطر بذهنهم أن يفرقوا هذا عن ذلك.

نحن نرى إذن كيف تتعدّد دوائر النّظر كلما حاولنا إلقاء النّور على الجسور الواصلة بين السياسة واللّغة، وتتشعب أدوات الرّصد و التحليل كلّما خفيت علينا السّلطة التي يكتسبها الخطاب، ومرّد هذا الخفاء أنّ مفهوم السّلطة يستحوذ عليه الحدث السياسي، فلا يخطر على بال الجمهور في الشّائع من الأحوال أن يقيم إقتراناً بين اللّغة وهي إبلاغ، واللّغة وهي صناعة للفعل السياسي ومحقّقة لحيثيات إنتاجه، أمّا أن تتحوّل اللّغة أحياناً فتمسي هي جوهر الحدث السياسي في ذاته ولذاته، فهذا مالا يستوعبه الوعي العام في غالب الأحيان.

إنّ لكلّ لغة من لغات البشر قوانين تنظمها وتشد أوصالها بحبل متين لا تراه العيون المجردة وتصبح تلك القوانين أعرافاً يتخاطب بها أفراد المجموعة المنتسبين إليها بشكل أصلي او بشكل طارئ، وداخل تلك القوانين العامّة، قوانين أقل منها عموماً، تجعل للكلام الأدبي ترتيباته الخاصّة، وللکلام القانوني حيثياته، وللکلام العلمي قواعده أيضاً، وتجعل للكلام السياسي ضوابطه وقوانينه بحسب تصوّر المتكلم للمعايير الشائعة بين أهل ذلك الحقل الشائع الفسيح الذي لا يخرج من تحت سقفه كائن، مهما كان.

فمن جهل تلك الضوابط والقوانين تحدّث في السياسة وهو غافل عن أسرار لغة السياسة حتّى ولو كان ماسكاً بزمام القرار ومتربّعاً على كرسيّ المناصب، فيأتي خطابه السياسي كخطاب الهواة في لعبة السياسة، ومن علم تلك الضوابط والقوانين، تحدّث في السياسة وهو واع بأسرار لغتها، ماسك بزمامها حتّى لو لم يكن يوماً متبوّناً لمنصب القرار، فيكون إذا تحدّث في السياسة قادراً على أداء الخطاب وصانعاً لنموذج الإحتراف.

إنّه ليس مألوف عندنا أن نبحث في الآليات المحرّكة للغة في مجال السياسة لأننا لم نتشعب بعد بنواميس إستراتيجيات الخطاب عامّة، وبقوانين إستراتيجيات الخطاب السياسي خاصة. فقد يدفعنا الحدث السياسي إلى الوقوف برهة على اللّغة، وقد نستشهد و نحن نبحث في اللّغة على مقولة

جاءت على لسان أحد السياسيين، ولكننا لم نعهد إتخاذ التقاطع بين الظاهرتين مجالاً للبحث والإستكشاف.

إنّ البحث في السياسة بتجرّد منهجي، - ولاسيما عن طريق فنون تحليل الخطاب - يقتضي مصادرة مبدئية هي الحياد الفكري الضامن للتشخيص العلمي، ولكن الموضوعية في البحث اللغوي والدلالي، لا تلغي وقوف الباحث على درجات السلم القيمي، بل كثيراً ما يكون الإنتماء الأخلاقي والإنتماء بمواثيق الحقّ الإنساني والإنخراط في معايير العدل المطلق هي التي تحفّز الباحث على أن يرى في علاقة اللغة بالسياسة ما لا يراه غيره، ذلك أنّ الشائع بين الناس هو أنّ السياسي يهتمّ باللغة إهتماماً عارضاً واللغوي يتابع القضايا السياسية بوصفه كائناً إجتماعياً أكثر ممّا هو ذو خصوصية معرفية.

وعليه، عند بداية الوعي بوزن اللغة في صناعة الفعل السياسي، ينتابنا سؤال حول أيّهما أكثر إمتاعاً أن نبحت في السياسة من خلال اللغة أم أن نبحت في اللغة من خلال السياسة؟ أم أيّهما أوقع في النفس، وأيّهما أجدر بإجلاء الحقائق، أن نعيد إكتشاف الحثيات التي تصنع السلطة السياسية، أم نعيد إكتشاف اللغة كي نقرّ لها بالسلطة التي كانت محتجة عنّا؟ وهل يكون الإنسان عند إستخدامه للغة، واعياً بسلطتها وخطرها وقوتها؟

المبحث الأول : السياسة اللغوية ، مفهومها و آلياتها :

إنّ علم اللسانيات الإجتماعية نشأ في العصر الحديث، وكان من أهمّ إهتمامه ضبط القوانين التي تحكم حركة اللّغة عند تفاعلها مع البنى الإجتماعية، وهذا بهدف إستثمار ذلك عند رسم السياسات اللّغوية حتى تكون هذه السياسة اللّغوية علمية و عملية.

وهنا وجد علماء اللسانيات الإجتماعية أنفسهم أمام علم جديد له منهجه وموضوعه علم السياسة اللّغوية.

إهتمام الدارسين باللّغة كان مبكراً، إذ كثرت دراسات اللّغويين والفلاسفة ورجال الدّين وظهرت بحوث حول اللّغة عند علماء الطّبيعة والفيزياء وغيرهما، وظلّت إسهامات العلماء في البحوث اللّغوية متواصلة حتّى زمننا هذا، وخاصة ما كان منها يهتم بدراسة اللّغة في علاقتها بالمجتمع ومن جديد هذه الدراسات ما عرف بـ "السياسة اللغوية - politique linguistique"، فما علاقة السياسة باللّغة؟ و هل في اللّغة سياسة؟ وما مفهوم السياسة اللّغوية وما طبيعتها؟ وما هي الآليات التي تتحرك بها؟

قبل التعرّض لتعريف السياسة اللّغوية في اللسانيات الإجتماعية، لا بدّ من التعرّف على دلالات كل مصطلح عند أهل إختصاصه، فما تعريف "السياسة" و "اللّغة" عند أهل الإختصاص؟ وما تعريف "السياسة اللّغوية" في إصطلاح اللسانيات الإجتماعية؟¹

المطلب الأول : مصطلح السياسة :

السياسة عند ابن سينا (980-1037 م) هي حسن التدبير الذاتي و الجماعي و إصلاح الفساد الذي هو طريق السعادة. فهي إذا ليست حكرا على الملوك - و إن كانوا أحق الناس بإتقانها - بل لكل فرد من الرعيّة سياسة في جميع أموره، وحاجته إلى السياسة لا تقلّ عن حاجة الملوك السياسية.

والسياسة عند ابن باديس: " هي تدبير شؤون المجتمع على قانون العدل والإحسان ".

ويعرّفها المعجم الفلسفي بـ "فرع من العلم المدني يبحث في أصول الحكم وتنظيم شؤون الدولة"²

1 - السياسة اللغوية، المفهوم و الآلية-أ. بلال دربال، قسم اللغة العربية و آدابها، كلية الآداب و اللغات، جامعة باتنة الجزائر مجلة المخبر، العدد 10 ، 2014.

2 - مجمع اللغة العربية : المعجم الفلسفي ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية بالقاهرة ، مصر ، ط 1983 ، ص 99.

وجاء في الحديث النبوي الشريف "كان بنو إسرائيل يسوسهم أنبيأؤهم" أي يتولون أمورهم كما يفعل الولاة بالرعيّة.

وبشكل عام يمكن القول إن السياسة في اللغة العربية تشير إلى معنى الرياسة والقيادة والذكاء والفتنة والكياسة والدّهاء.

أمّا مصطلح السياسة في اللغات الغربية ومنها الإنجليزية (politics) والفرنسية (politique)، فهو مشتقّ من ثلاث كلمات لاتينية هي :

(1) Polis، وتعني المدينة، وقد كانت المدينة هي الوحدة الأساسية في اليونان القديمة، حيث عرفت اليونان آنذاك ما أطلق عليه اسم دولة المدينة (city-state).

(2) Politica، وتعني الأشياء السياسية و المدنية النظرية، و كل ما إذا ذكر تبادر إلى الذهن معنى السياسة، كالدستور والحكومة و السيادة و غيرها من الكلمات.

(3) Politique، وهي تعني السياسة كفنّ أو ممارسة يقوم بها السياسيون¹. كذلك يميّز العلماء بين مصطلح السياسة المعرّف بالألف واللام و الذي تقابله كلمة (politics) ومصطلح سياسة المجرّد من الألف واللام و الذي تقابله كلمة (policy) لأن الأخير يشير إلى ما تصنعه الدولة وتنفذه من خطط وبرامج عمل، كأن نقول سياسة خارجية (foreign policy) وسياسة مالية (Financial policy)، وسياسة إجتماعية (Social policy)، وسياسة إقتصادية (Economic policy)، وتشكّل مجتمعة سياسات (policies)، الدولة، و تمثل الجوانب العملية الهادفة إلى تحقيق غايات الدولة² وعليه، فهناك إختلافات واسعة بين العلماء والمفكرين الغربيين حول تعريف معنى السياسة من الناحية الإصطلاحية، ولا يمكن لأيّ باحث واحد أن يحصي التعريفات الواردة بشأن السياسة لكثرتها وتباين إتجاهات القائلين بها. وحين يتمّ إستعراض الآراء المختلفة حول السياسة، يلاحظ المرء أنّ هناك إختلافات واسعة حول المفهوم، لكنّها تعني - كقدر مشترك بين المفكرين - كلّ ما يتعلّق بالدولة و السّلطة الحاكمة و علاقتها بالمواطنين، ولكن من منطلقات مختلفة ومتعارضة في بعض الأحيان، وما ذلك إلاّ بسبب إختلاف الزوايا التي ينظر من خلالها كل مفكّر إلى الموضوع

1 - حسن سيد سليمان ، المدخل للعلوم السياسية ، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة ، الخرطوم 2010 ، ص 5.

2 - المرجع السابق ، ص 9.

ومنطلقه نحو دراسته. لكن، ورغم الإختلافات الواسعة حول هذا الموضوع، وتشعب الآراء حوله، يمكن التمييز بين الإتجاهات التالية في تعريف السياسة :

أ-الإتجاه الأول : السياسة هي فنّ الحكم :

طبقاً لهذا الإتجاه ، فإن السياسة هي فنّ حكم الناس، وهو إتجاه قديم برز في كتابات اليونانيين القدماء من أمثال سقراط وأفلاطون، حيث يرى سقراط (469-399 ق.م) أن " السياسة هي فنّ الحكم، والسياسي هو الذي يعرف هذا الفنّ " .

وبالتالي فإن السياسة عند سقراط هي (فنّ) يتفاوت الناس في كسبهم منه، فمنهم السياسي البارع الذي يجيد هذا الفن، ومنهم من لا يجيده.

بينما يرى أفلاطون (428-347 ق.م) أن " السياسة هي فن حكم الأفراد برضاهم، والسياسي هو الذي يعرف هذا الفن " .

ونلاحظ أن هذا الإتجاه يركّز - بشكل مباشر - على ما يعرف اليوم في الأدبيات السياسية بالرضى الشعبي (popular consent)، حيث أكد هذا الإتجاه على أن الحكم يكون برضاء المحكومين وليس عن طريق القوة، فلقد عاش هؤلاء المفكرين في كنف الديمقراطية الأثينية، وشاركوا في حياتهم العامة وأسهموا في تطويرها، وكانت لهم فيها صولات و جولات.

ب-الإتجاه الثاني : السياسة هي الصراع على الحكم :

يرى أصحاب هذا الإتجاه أن السياسة هي صراع مستمر بين الأفراد والجماعات من أجل الوصول إلى السلطة ، فلقد قال هانز مورجنثاؤ (1904-1980) أن " السياسة هي مجال السلطة، والعمل السياسي هو الكفاح من أجل القوة " ¹.

بينما يرى ميكافيللي (1469-1527) أن " السياسة ما هي إلا معركة، بل هي معركة مستمرة تتمثل في الصراع على القوة " ².

وكذلك يرى أغلب الإشتراكيين أن السياسة تعني الصراع، فعلى سبيل المثال يعرفها تروتسكي على أنها : " النشاط الإجتماعي المرتبط على نحو وثيق بالكفاح من أجل السلطة " . وهي عند

¹ - Hans Morgen thau, politics among nations, Alfred knuf, new york, 5th ed, 1975, p 82.

² - حورية توفيق مجاهد، الفكر السياسي من أفلاطون إلى محمد عبده، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة السادسة 2013، ص 310

جورج كلاوس : " صراع بالدرجة الأولى بين الطبقات حول السلطة الإقتصادية والدولية يهدف إلى إستخدام سلطة الدولة لتحقيق المصالح الطبقية وصيانتها و الدفاع عنها¹. ومع ذلك، فإن بعض الإشتراكيين من أمثال روبرت أوين وفورييه وبرودون، رغم إيمانهم بالصراع الطبقي، فإنهم يرفضون فكرة الصراع السياسي ويعولون على التدابير الإقتصادية.

ج-الإتجاه الثالث : السياسة هي النفوذ السلطوي :

طبقاً لهذا الإتجاه، فإن السياسة هي السعي للسلطة من أجل بسط النفوذ، وعلى الرغم من الاتفاق حول الهدف (بسط النفوذ)، إلا أن هناك إختلافاً حول الهدف من بسط النفوذ فبينما يرى البعض أنه لتحقيق مصالح ذاتية، يرى آخرون أن الهدف هو السعي لتلبية إحتياجات المجتمع وتحقيق الصالح العام.

د-الإتجاه الرابع : السياسات هي فنّ الخداع :

يرى البعض أن السياسة هي : " فن حكم البشر عن طريق خداعهم ". وأن السياسة هي المكر والخداع والمساومة، والسياسي هو الذي يجيد المكر والخداع، وكلما كان السياسي مخادعاً، كلما كان ناجحاً وقادراً على الإحتفاظ بالسلطة لفترة أطول². أما السياسة في المفهوم الإسلامي، فهي تختلف عن المفهوم الغربي، لأن السلطة في الإسلام ليست غاية بذاتها، وإنما هي وسيلة لحمل المجتمع المسلم على مقتضى الشرع. و يقول العلامة عبد الرحمان ابن خلدون أن السياسة ثلاثة أنواع :

1. السياسة الطبيعية : وتعني حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة بما يحقق الإستبداد والمصالح الفردية.
2. السياسة العقلية : وهي حمل الناس على مقتضى النظر العقلي بما يحقق مصالحهم ويدفع عنهم الضرر في الدنيا.
3. السياسة الشرعية : وتعني حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي بما يحقق مصالحهم الدنيوية والأخروية معاً، ويحصل نفع هذه السياسة في الدارين³.

1 - محمد علي محمد، أصول الإجتماع السياسي: السياسة والمجتمع في العالم الثالث، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، بدون تاريخ ص17
 2 - مجموعة من أساتذة الإقتصاد و العلوم السياسية بجامعة القاهرة ، مبادئ العلوم السياسية ، القاهرة 1992 ، ص 4.
 3 - عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق الأستاذ درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، 2009، ص129.

ويعرّف الإمام الغزالي رحمه الله السياسة بأنّها : " صلاح الخلق عن طريق إرشادهم إلى الطريق المستقيم المنجّي في الدنيا والمؤدّي إلى الآخرة¹.

ومما تجدر الإشارة إليه هو أنّ الإسلام - يقول الدكتور محمد عمارة - لم يتعرّض للتّفصّيلات في شكل الحكم الإسلامي، ولم يحدد شكلاً معيّناً للحكم بإعتباره نموذجاً للدولة الإسلامية، وإنّما ترك ذلك للمسلمين - في إطار الوصايا الكليّة المقرّرة في الدين - لإستنباط شكل الحكم الذي يناسب ظروف الزمان والمكان.

ولأنّ الإسلام لم يتعرّض للتّفصّيلات، فإنّ عملية تطبيق الحكم الإسلامي هي مسألة إجتهدية قابلة للخطأ والصواب، وآراء الحاكم - كبشر مجتهد - قابلة للأخذ و الرد والتعديل بالحذف والإضافة وهي ليست مقدسة لأنها إجتهد بشري.

والإسلام يؤكد على الشورى ويدعو لتقديم النصح للحكام، وقد جاء في القرآن الحكيم " و شاورهم في الأمر "

ويقول ابن تيمية : " إن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين ولا الدنيا إلى بها "

المطلب الثاني : مصطلح اللّغة :

تعريفاتها لا حصر لها عند العرب والغربيين، ولكن الذي أكدته الدراسات، أن كل التعريفات اللسانية الحديثة قد جمعها حدّ ابن جنّي (322 هـ - 392 هـ) وهي لا تختلف جوهرًا عنه، ففي خصائصه قال : " أما حدّها فأصوات يعبرّ بها كل قوم عن أغراضهم " ² فأكد ابن الجنّي صوتية اللغة و وظيفتها التواصلية في المجتمع، وهو ما تبعه فيه معظم علماء اللغة العربية " كالقاضي عبد الجبّار " (ت 415 هـ) و " الفيروزبادي " (ت 929 هـ) و " السيوطي " (ت 911 هـ).³ ويعرّفها ابن خلدون (ت 808 هـ) بأنها " عبارة المتكلم عن مقصوده، و تلك العبارة، فعل لساني ولا بد أن تصير ملكة متقرّرة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب

¹ - أبو حامد الغزالي ، فاتحة العلوم ، مكتبة الجندي ، 1322 هـ ، ص 6.

² - ابن جنّي : الخصائص، ج 1، ص 33.

³ - ينظر نعمان بوقرة : اللسانيات و إتجاهاتها و قضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2009، ص 3.

إصطلاحاتهم¹ و هو ما يكشف عن الوظيفة التواصلية؛ إذ يعتبر اللغة نظاما للتواصل المقصود، فهي سلوك إجتماعي، كما يقرر أنها ملكة راسخة وإستعداد فطري، ويشير أيضا إلى تعددية النظم اللغوية وطبيعتها العرفية².

هذه هي اللّغة، كما أجملت و فصلت في اللّسانيات العربية؛ فهي ذات طبيعة صوتية، ووظيفة تواصلية مقصودة أساساً، آلتها اللسان، أودعها الله في الفطرة و بالتدريب تستقرّ وتصبح ملكة، هي متعدّدة، خاضعة للأوضاع الإجتماعية مؤثّرة فيها متأثرة بها.

هذه المحاور وغيرها، هي التي لا يزال الغرب ينهكها بحثاً، فيصيب تارة ويخطئ أخرى. ولذا لا تكاد تعثر على تعريف جامع مانع للغة في علم اللسانيات الإجتماعية، إذ ما زال مفهوم اللغة بين أخذ وردّ، و بين توسيع و تضيق نظرا لبعدها الإجتماعي.

لقد أوردت كل هذه التفاصيل اللغوية والإصطلاحية لمصطلحي السياسة و اللغة لأن لها إنعكاسات واضحة على مفهوم ورسم السياسة اللغوية عند علماء اللسانيات الإجتماعية.

و خلاصة القول أن مصطلح السياسة، تطور معناه، كما حدث لنظيره اليوناني " بوليتيكا " إلا أن البحوث العربية في المصطلح كانت أكثر دقة وشمولية؛ إذ بحثت في العلاقة العمودية بين الحاكم والمحكوم بكل دقة لتصل إلى أن أصلها هو التعاون لا الصراع و المصلحة النخبوية، و بحثت في إمتداد السياسة أفقياً لتتطرق من سياسة الرجل نفسه و دخله، إلى أعلى مستويات السياسة المعروفة اليوم. كما بحثت السياسة الشرعية العربية في بعد آخر مهم؛ وهو مركز قوة الحكم، فجعلته في الشرع، بينما جعله الغرب في الشعب.

كما تطوّر مفهوم السياسة من مفهوم إدارة و رعاية شؤون الدولة الداخلية والخارجية إلى دراسة شؤون الدولة من دستور و نظام. فلا فرق أن تكون السياسة فناً في شقها التطبيقي و علماً في شقها النظري. ثم خرج إستعمال مصطلح السياسة إلى مجالات أخرى غير الحكم وشؤون الدولة ولكنها إستعمالات للسياسيين في أغلبها؛ كقولهم سياسة الدفاع، السياسة النفطية، السياسة الثقافية، السياسة اللغوية ..، ومن الطّريف أن تعريف أرسطو (384-322 م) للسياسة يعكس هيمنة السياسة

1 - عبد الرحمان بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الجيل، بيروت، د ط ن د ت، ص 603.

2 - ينظر نعمان بوقرة : اللسانيات، إتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص 4

على مجالات الحياة، حيث قال عنها : " هي علم السيادة و هي سيدة العلوم " ¹ فهي سيدة العلوم لأنها تطلق على أي عمل مبنّي على تخطيط التنمية الإقتصادية ² ومثلها أيضا السياسة اللغوية. ولا شك أنّ علم السياسة في دراساته و تنظيراته يجني منافع جمّة من الممارسات السياسية على مرّ العصور، وهو ما رصدّه ابن خلدون، بإعتباره منظراً وممارساً للسياسة، وأكد أنّ مباحث موضوع السياسة من مواضيع علم الاجتماع، وهو من مبادئ السياسة اللغوية في الإستفادة من التجارب اللغوية للجماعات والدول ³.

المطلب الثالث : مصطلح السياسة اللغوية في اللسانيات الإجتماعية :

إنّ مصطلح " السياسة اللغوية " مركب وصفي بسيط ترجم إلى العربية عن مركب أجنبي بسيط، فهو يقابل بالفرنسية *politique linguistique* وفي الإنجليزية *language policy*. يعرفها لويس جان كالفي *Louis-jean calvet* بقوله : " نحن نعتبر السياسة اللغوية هي مجمل الخيارات الواعية المتّخذة في مجال العلاقات بين اللّغة و الحياة الإجتماعية وبالتّحديد بين اللّغة والحياة في الوطن " ⁴.

و يمكن إجمال جملة من الملاحظات على هذا التعريف :

أولاً :

السياسة اللغوية من خلال هذا التعريف عبارة عن إتخاذ قرار بشأن جملة من الخيارات المطروحة التي قد تكون قابلة للتنفيذ و قد لا تكون. وتبقى الأسئلة التي لا يجيب عليها التعريف هي: من يتخذ قرار تنفيذ هذه الخيارات الواعية ؟ ومن يفصل في قابليتها للتنفيذ من عدمه ؟ إذا كانت مؤسسة فما طبيعتها ؟ وإذا كانوا أفراد ، فما هويتهم ؟

ثانياً : تتخذ القرارات بصورة واعية مقصودة لا عفوية ولا إرتجاليّة - إذ هذا ليس من السياسة والتخطي ط - وهو ما يوحي بطاب - ع الإعداد المسبق لمسوّدّة مشروع مدروس

¹ - عبد الوهاب الكيالي : موسوعة السياسة ، ج 3 ، ص 373.

² - ينظر خليف الجراد : " علم السياسة و مقدماته اليونانية " ، ص 16.

³ - السياسة اللغوية، المفهوم و الآلية-أ. بلال دربال، قسم اللغة العربية و آدابها، كلية الآداب و اللغات، جامعة باتنة- الجزائر- مجلة المخبر، العدد العاشر، 2014 ، ص 325.

⁴ - Louis-jean calvet 'la guerre des langues et les politiques linguistiques', hachette, 1999, p154-155. - ترجمة د.حسن حمزة، المنظمة العربية للترجمة بدعم من مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم.

بطريقة علمية، وتبقى - في الأسئلة المطروح -ة حول هويّة -ة معدّ هذا المشروع، هل من يعدّ هو من ينفذ؟ ثم ما هي الأسس العلمية التي نحكم بها على مسوّد المشروع أنها أعدت بطريقة علمية؟

ثالثاً :

يحصّر التعريف موضوع السياسة اللغوية الأساس في علاقة اللغة بالحياة الإجتماعية، و على وجه الخصوص علاقتها بالوطن. ويبقى التعريف هنا مجملاً دون تفصيل و لا تدقيق في طبيعة هذه العلاقة بين اللغة أو اللغات من جهة وبين الحياة الإجتماعية، هل هي علاقة تعايش أم صراع وتنافس؟ كما يبقى التعريف العلاقة غامضة بين اللغة والسياسة.

هذه الملاحظات وغيرها شكّلت فعلاً موضوع دراسات واسعة وعميقة، ودارت حولها إستبيانات وإستقصاءات وإحصاءات عديدة، بغية التأميل أكثر لهذا الوليد الجديد "السياسة اللغوية": "لأن هذا التصور لا يقدم أيّ إستبصار فيما يخص الأساس الإيديولوجي أو البنيوي لسياسة التخطيط اللغوي ولا لعلاقتها بالسلطة والهيمنة أو بدورها في الإستغلال أو الصّراع"¹ ولعلّ أهداف السياسة اللغوية المعلنة و الخفية تعبّر عن قفزة نوعية للدراسات اللغوية إذ تخطت معالجة قضايا الصيغة اللغوية (البنية) إلى معالجة قضايا المنزلة " statut"، وهذا التطور للدراسات اللغوية الإجتماعية هو تطور مواز لتطور الدراسات اللسانية عامّة التي بدأت تميل إلى إعادة الإعتبار للجانب الإجتماعي للغة.²

المبحث الثاني : الثقافة و السياسة تجليات العلاقة و أنماطها :

تظهر العلاقة بين الثقافة و السياسة في صور وتجليات عديدة و متنوّعة، تكشف عن تعدّد أبعاد هذه العلاقة وتشابكاتها وتفسر لنا جوانب التعقيد وطبيعة الجدل والسّجال الذي يلازم هذه العلاقة.

المطلب الأوّل : العلاقة بين المعرفة والواقع :

تتجلى الثقافة في هذه العلاقة في كونها تعبّر عن ذلك الجانب الذي يتصل بالمعرفة في حين تتجلى السياسة في ذلك الجانب الذي يتصل بالواقع. ومن هذه الناحية تعبّر الثقافة عن عالم النظرية

¹ - جيمس. و. طوليفسون: السياسة اللغوية خلفياتها و مقاصدها، ترجمة محمد لخطابي، مؤسسة العنى، الرباط، ط1، 2007، ص 25.

² - كالفى : السياسات اللغوية ، ص 22.

أو عالم المعرفة ، مع أن الثقافة ليست هي المعرفة، والمعرفة ليست هي الثقافة، كما أن السياسة من هذه الناحية تعبر عن عالم الواقع الخارجي أو الموضوعي. فما هي العلاقة بين المعرفة والواقع ؟

من الواضح أن المعرفة ليست هي الواقع، والواقع ليس هو المعرفة، وبالمعنى الفلسفي فإن المعرفة لها وجود كما أن الواقع له وجود آخر مختلف عن الوجود الأول، وهذا الاختلاف لا يعني الفصل و القطع النهائي التام بين الوجودين، بحيث لا يمكن الإتصال والتفاعل بينهما، أو التباين والتضارب أحيانا.

مع ذلك، فالمعرفة بحاجة إلى واقع لكي تخرج من عالم المثل وتقترب من عالم الواقع لكي تبرهن على حقائقها ومعارفها. والواقع بحاجة إلى المعرفة لكي يقترب من عالم المثل ويكتسب البصيرة ويتعرف على الطريق، وهذا يعني أن المعرفة تكون ناقصة دون الواقع والواقع يكون ناقصا دون المعرفة و الإحساس بالنقص هو الذي يولد الجاذبية أو يؤسس لعلاقة دائمة و مستمرة.

ولتقريب هذه الصورة في العلاقة بين الثقافة والسياسة، يمكننا القول بأن الثقافة هي شيء مختلف عن السياسة، مع ذلك فإن الثقافة بحاجة إلى السياسة للإتصال بالواقع والتفاعل معه. والسياسة بحاجة إلى الثقافة للإتصال بالمعرفة والإرتباط بها، وهذا يعني أن الثقافة تظل في حاجة إلى السياسة؛ الحاجة التي تشعرها بالنقص والسياسة تظل في حاجة إلى الثقافة، الحاجة التي تشعرها بالنقص أيضا.¹

المطلب الثاني : العلاقة بين النظر و العمل :

في هذه العلاقة تتجلى الثقافة في كونها تعبر عن ذلك الجانب الذي يتصل بالنظر في حين تتجلى السياسة في ذلك الجانب الذي يتصل بالعمل، وذلك بإعتبار أن الثقافة تنتمي إلى عالم النظر وتنتمي السياسة إلى عالم العمل.

فالثقافة ترجع في إشتقاقاتها اللغوية والمعجمية إلى معاني الفهم والحدق والفتنة والتهذيب والذكاء وجميع هذه المعاني تتصل بجانب النظر، وتجعل الأصل في الثقافة هو النظر أيضا.

¹ - الثقافة الفردية والثقافة الجماهيرية، لويس دوللو.

وترجع السياسة في إشتقاقاتها اللغوية والمعجمية إلى معاني الإدارة و الزعامة والقيادة وغيرها وجميع هذه المعاني تتصل بجانب العمل، وتجعل الأصل في السياسة هو العمل أيضا، والكشف عن العلاقة بين النظر والعمل يساعدنا في فهم أبعاد العلاقة بين الثقافة والسياسة، فما هي صورة العلاقة بين النظر والعمل؟

النظر هو الذي يحدد هوية العمل وغاياته ومقاصده ويرسم له الطريق ويلهمه الإرادة والفاعلية والعمل دون النظر يكون فاقدا البصيرة ومصيره إلى التيه. والنظر يمثل صورة العمل في الذهن، والعمل يمثل أو يفترض أن يمثل صورة الذهن في الفعل، ومنزلة النظر من العمل هي منزلة العقل أو القلب من الجسد، وكما أن القلب يكون حاكما على الجسد، فالنظر أيضا يكون حاكما على العمل. وهذه الحاكمية يفترض فيها البقاء والإستمرارية دون توقف أو إنقطاع، وتشمل كافة مراحل العمل ما قبله وأثناءه وما بعده. ما قبله إنشاء وتكويننا، وأثناءه مطابقة وتصديقا، وما بعده نقدا و تقويما¹.

المطلب الثالث : العلاقة بين المعرفة والقوة :

تظهر الثقافة في هذه العلاقة في صورة التعبير عن المعرفة، وتظهر السياسة في صورة التعبير عن القوة. والعلاقة بين المعرفة والقوة، هي علاقة جدلية و قديمة قدم الفكر الإنساني، حيث إنشغلت بها الفلاسفة الإنسانية في جميع عصورها وأزمنتها ، وما تزال تشكّل هاجسا في الفكر الإنساني المعاصر الذي تتنازعه إستقطابات المعرفة تارة، وإستقطابات القوة تارة أخرى، وهناك من يعظّم المعرفة إلى جانب من يعظّم القوة. و هناك من حاول العمل في سبيل هيمنة المعرفة على القوة.

والخطر دائما كان في إنفلات القوة من رباط المعرفة، الإنفلات الذي يحوّل القوة إلى مصدر بطش وتدمير وإلى سلوكيات همجية وبربرية. لهذا ظل السعي الدائم في المعرفة لكبح القوة ولجمها، لتكون القوة في خدمة المعرفة، لا أن تكون المعرفة في خدمة القوة. وأما من جهة العلاقة بين المعرفة والقوة، فإن المعرفة بحاجة إلى القوة لحمايتها وتطبيقها، والقوة بحاجة إلى المعرفة لتهديبها وضبطها وتوجيهها، ولتحويلها إلى طاقة تساعد في حماية النظام العام وتطبيق القانون وإحترام الحقوق ومن أجل بناء العمران و التقدم.

¹ - النظر و العمل .و المأزق الحضاري و الإسلامي الراهن، أبو يعرب المرزوقي و حسن الحنفي ، دمشق ، دار الفكر 2003 م.

المطلب الرابع : العلاقة بين القيم و المصلحة :

من الصور التي تتجلى فيها الثقافة صورة التعبير عن القيم، ومن الصور التي تتجلى فيها السياسة صورة التعبير عن المصلحة، و ذلك بإعتبار أن الثقافة وثيقة الصلة بالقيم و الأخلاق، وما من ثقافة إلا تحاول الظهور بمنظر الإرتباط بالقيم والأخلاق و الدفاع عنهما. في حين أن السياسة دائماً تصور على أنها في إدارة المصالح، وتتخذ من المصلحة منظوراً لها، فهناك تلازم لا يكاد ينفك بين السياسة و المصلحة، و المقصود بالمصلحة هنا، هو مطلق المصلحة التي تعني جلب المنفعة أو دفع المفسدة.

ومنطق القيم يختلف عن منطق المصلحة، و هذان المنطقتان قد يلتقيان و قد يفترقان. يلتقيان بإقتراب السياسة من القيم، و يفترقان بإبتعاد السياسة عن القيم لأن المشكلة دائماً ليست من جهة القيم وإنما هي من جهة السياسة التي تمتلك إرادة الفعل، و من يمتلك إرادة الفعل هو الذي يقرر صورة العلاقة و كيفيتها.

بمعنى أن الإختيار هو من جهة السياسة، فهي التي تختار الإقتراب من القيم أو الإبتعاد عنها. و القيم و المصلحة محرّكان في حياة الإنسان و الجماعات، فهناك من تحركه القيم و هناك من تحركه المصلحة، و من تحركه القيم هو أرفع درجة من الذي تحركه المصلحة، فلا شك أن الذي تحركه القيم يكون أكثر صفاء في بواعثه من الذي تحركه المصلحة، و قد يكون أكثر ثباتاً و إستقامة و أجزل عطاء أيضاً، لأن المصلحة لها أجل أقصر من أجل القيم، و لأن المصلحة محكومة بحدود الإمكان، في حين أن القيم محكومة بحدود الإستطاعة التي بذل قصارى الجهد.¹ و الفرق بين الإمكان و الإستطاعة هو أن الإمكان ناظر بشكل أساسي إلى الواقع الخارجي و شروطه في حين أن الإستطاعة ناظرة إلى الذات بما تحمل من طاقات و مقومات. و يظهر هذا الفرق في أن عامل الإمكان قد يقف أمام المشكلة و يتراجع بسببها بخلاف عامل الإستطاعة الذي يحاول التغلب على المشكلة و تجاوزها.

و الربط بين القيم و الإستطاعة نفهمه من قوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن/ 16]،

¹ - النظر و العمل . و المأزق الحضاري و الإسلامي الراهن، أبو يعرب المرزوقي و حسن الحنفي ، دمشق ، دار الفكر 2003 م.

والتقوى هي الإطار الناظم لجميع القيم، وكل التكاليف التي قررها الشرع على العباد متوقفة على الإستطاعة.

وهذا التقسيم بين القيم و المصلحة لا يعني أن القيم لا تحقق المصلحة، أو أنها تتعارض مع المصلحة ولا تتوافق معها. كما لا يعني أن المصلحة لا تحقق قيما، أو أنها تتعارض مع القيم و لا تتوافق معها هذا من حيث القاعدة الكلية. والمشكلة تظهر حين تفضل المصلحة على القيم أو تتعارض معها، فنتحوّل إلى البحث عن منافع و مكاسب لا يراعى فيها بالضرورة حقوق و مصالح الآخرين، وقد يترتب عليها ضرر الآخرين أيضا.¹

هذه لعلّها أبرز التجليات التي تظهر عليها صورة العلاقة بين الثقافة والسياسة والحقائق التي نستخلصها من تلك الصور والتجليات :

1. أن الثقافة تمثل قيمة وضرورة ، والسياسة كذلك تمثل قيمة وضرورة.
2. إن الثقافة لها مجالها الذي تستقل به أو تنفرد به، و السياسة كذلك لها مجالها الذي تستقل به أو تنفرد به.
3. إن الثقافة بحاجة إلى السياسة، كما أن السياسة بحاجة إلى الثقافة من بعض الوجوه وفي بعض الأبعاد.
4. يفترض من حيث المبدأ أن الثقافة لها حاكمية على السياسة.

لقد ظلت العلاقة بين الثقافة والسياسة في حالة تغير وتبدل في تاريخ الفكر الإنساني، وفي تاريخ الحضارات الإنسانية. لهذا فقد تبلورت حولها العديد من التصورات التي حاولت ضبط هذه العلاقة والسيطرة عليها، أو محاولة فهمها وتفسيرها أو تفكيكها وتركيبها. والذين تحدثوا عن هذا الموضوع لفتوا النظر دائما إلى جانب التغير والتقلب في تلك العلاقة، فالحقيقة التي لا ينبغي أن نذهلنا - كما يقول توماس إليوت- " أن الثقافة أصبحت بوجه عام قسما من السياسة، عن حقيقة أن السياسة كانت في عهود أخرى منشطا يمارس داخل ثقافة ما².

ويرى تيري إيجلتون أن العلاقة بين الثقافة و السياسة متغيرة تبعاً للسياق الذي تتصل به وتتفاعل معه، و ينبغي أن نتخلّى - حسب رأيه - عن ذلك الافتراض التئوري الذي يرى أن للسياسة ميزة

¹ - النظر و العمل و المأزق الحضاري و الإسلامي الراهن، أبو يعرب المرزوقي و حسن الحنفي ، دمشق ، دار الفكر 2003 م.

² - فكرة الثقافة، تيري إيجلتون، ص 25-26

على الثقافة، كما ينبغي أن نتخلى عن الإفتراض الذي يكتفي بقلب هذا الترتيب للأولوية، وأن من الصّعب في رأي إيجلتون المحافظة على التّوازن الذي يصفه بالدقيق بين الثقافة و السياسة¹ ومن الأفكار الأساسية التي حاول تيري إيجلتون التأكيد عليها في كتابه " فكرة الثقافة " فكرة إعلاء الثقافة على السياسة، وهذا يعني " أنّ على السياسة أن تتحرك ضمن بعد أخلاقي عميق، معتمدة على ما توفره من موارد في جعلها الأفراد مواطنين صالحين يشعرون بالمسؤولية والطباع الحسنة وما تفعله الثقافة هو أنها تفرط إنسانيتنا المشتركة من ذواتنا السياسية ، حيث تشرذم الروح من الحواس وتنتزع الثابت من الزائل " .

المبحث الثالث : بين لغة السياسة و سياسة اللغة :

عند بداية الوعي بوزن اللغة في صناعة الفعل السياسي، ينتابك سؤال ملحّ و مهمّ حول أيهما أشدّ إغراءً و أكثر إمتاعاً أن نبحث في السياسة من خلال اللغة، أم نبحث في اللغة من خلال السياسة ؟ أيهما أوقع في النفس وأيهما أجدر بإجلاء الحقائق : أن نعيد إكتشاف الحثثيات التي تصنع سلطة السياسة أم نعيد إكتشاف اللغة كي نقرّ لها بالسلطة التي أحتجبت ؟ إنّ بحث علاقة السياسة بسلطة اللغة من خلال الوعي الثقافي الجديد ¹ يدفعنا الى أن نفصل فصلاً جلياً بين أسرار فهم العلاقة القائمة بين الإنسان ومراداته من الكلام و فهم حثثيات الفعل السياسي قبل تزكيته أو إدانته.

ليس مألوفاً عندنا أن نبحث في الآليات المحرّكة للغة في مجال السياسة؛ لأننا لم نتشبع بإستراتيجيات الخطاب عامّة وقوانين وإستراتيجيات الخطاب السياسي خاصّة. فقد يدفعنا الحدث السياسي إلى الوقوف برهة على اللغة.

المطلب الأول : سلطة اللغة :

إنّ اللغة في الوجود أداة مطلقة، وهي في السياسة قيمة مقيدة ولكنها في الإعلام وظيفة متحكّمة. وتجري العادة بأنّ الناس يهتمّون بالحدث السياسي دون أن ينتبهوا ملياً للصياغة التي نحكي بها تفاصيل الحدث، وبذلك تراهم يطابقون بين الحدث السياسي والخبر السياسي، فهم ينزلون الأوّل منزلة المدلول، و الثاني منزلة الدال، فلا يخطر بالذهن لديهم أن يسعوا إلى تشقيقها عن هذا، كأنّ

¹ - فكرة الثقافة، تيري إيجلتون.

رسالة الإبلاغ واحدة لا تصدر إلا عن أداء واحد، أو كأنما الخبر هو الخبر مهما تنوّعت صيغته أو تلوّنت تجلياته.¹

اللغة سلطة في ذاتها، والسياسة هي السلطة بذاتها ولذاتها، فأما اللغة فالإنسان يفعل بها الفعل على الناس، و كثيراً ما لا يكون واعياً بسلطتها ولا بخطرها، وأما السياسة فأصحابها لا يتصوّرون أنفسهم إلاّ و هم يفعلون الأفعال بالناس على الناس، وبعضهم يستعمل اللغة و هو واع بقوتها، إذ تشدّ أزر سلطته، وفي مسافة ما بين هؤلاء وأولئك تزدهر الحياة.

السياسة هي السلطة الغائبة، والذين يصوغون الأحلام الإنسانية يرون أنّ العالم كان يمكن أن يكون أسعد لو أن السياسة قلّصت من حضورها في وعي أصحابها وأن اللغة قلّصت من غيابها عن جمهور الناس المحكومين بالسياسة.

منذ صباح التاريخ، يوم بدأ الإنسان يدوّن لمن بعده مآثره، كانت اللغة أداة أساسية من أدوات السياسة، و لم تكن أهميتها تقلّ عن أهمية المال وأهمية الإحتماء بالعصبية. غير أنّ وزن اللغة قد تطوّر بتطوّر آليات الإنسان في تواصله مع الإنسان، ثم تضخّم عندما أصبحت المعلومة ملكاً مشاعاً بين الحكّام والمحكومين. إنّ ذلك التطوّر الذي آل إلى إنتصاب اللغة سلطة داخل سلطة السياسة مرّ بمحطات كبرى هي تلك المنعرجات التي آلت بالمعلومة إلى الملك المطلق المشاع؛ المحطة الأولى، نشأة الصحافة، والثانية ظهور البث الإذاعي، والثالثة ظهور البث التلفزيوني والرابعة إستحداث الأنترنت؛ إنها كالمراحل الجنينية التي إستوى فيها سلطان اللغة، وتمّ فيها الإعتراف لها بسلطانها. ومنذئذ سيكون من الغباء أن نعزل سلطة السياسة عن سلطة اللغة وسيكون وجيها أن يسأل السائل أيهما أحقّ بالكشف : لغوي يحترف تسويق السياسة أم سياسي يتجنّى على اللغة؟

إن البحث في السياسة بتجرّد منهجي ومن منطلق وعي ثقافي جديد - لاسيما عن طريق فنون تحليل الأقوال - يقتضي مصادرة مبدئية هي الحياد الفكري الضامن للتشخيص العلمي، ولكن الموضوعية في البحث اللغوي والدلالي لا تلغي وقوف الباحث على درجات السلم القيمي، بل

¹ - أ.د. عبد السلام المسدي : " الفكر العربي بين لغة السياسة و سياسة اللغة "، 2011.

كثيراً ما يكون الإلتزام بمواثيق الحق الإنساني والإنخراط في معايير العدل المطلق هي التي تحفز الباحث على أن يرى في علاقة اللغة بالسياسة ما لا يراه غيره¹. ذلك أنّ الشائع بين الناس هو أنّ السياسي يهتم باللغة إهتماماً عارضاً واللغوي يتابع القضايا السياسية بوصفه كائناً اجتماعياً أكثر ممّا هو ذو خصوصية معرفية. نحن نرى إذن كيف تتعدّد دوائر النّظر كلّما حاولنا إلقاء النّور على الجسور الواصلة بين السياسة واللّغة، وتتشعب أدوات الرّصد والتحليل كلّما خفيت علينا السّلطة التي يكتسبها الخاطب، ومردّ هذا الخفاء أن مفهوم السّلطة يستحوذ عليه الحدث السياسي فلا يخطر على بال الجمهور في الشائع من الأحوال أن يقيم إقترانا بين اللّغة وهي البلاغ، واللّغة وهي صانعة للفعل السياسي ومحققة لحيثيات إنتاجه.

أما أن تتحول اللغة أحياناً فتسمي هي جوهر الحدث السياسي في ذاته ولذاته فهذا مما لا يستوعبه الوعي العام إلا إذا إنبرى الدارس اللغوي يبصره به.

المطلب الثاني : اللّغة السياسيّة :

إنّ اللّغة السياسيّة هي وسيلة لتحقيق الأهداف نبيلة كانت أم شريرة، ويمكن أن تقول الصّدق كما يمكن أن تقول الكذب، فهي قناة ضرورية تحقق من خلالها الحكومات والأحزاب السياسيّة ووسائل الإعلام غاياتهم الإستراتيجية، فبفضل " سيطرتهم على الخطاب السياسي يتحكّمون في الناس ولا يحتاجون إلى (العنف الجسدي) لتحقيق هذا التحكم، بل اللّغة السياسيّة "². إنّ اللّغة أداة حاسمة في الخطاب السياسي، من خلال ألفاظها القويّة المستعملة يتمّ إستمالة الجماهير بطريقة مقنعة، حيث تدفعهم اللّغة السياسيّة بالشعور بالإنتماء إلى فكر معيّن وتبني إيديولوجية معيّنّة و التصويت على حزب دون آخر. فمثلاً بعض المرشّحين وأمناء الأحزاب يظهر في كلامهم وخطاباتهم كلمات تدغدغ مشاعر المواطنين، حيث يوظّفون كلمات رومانسية الهدف منها كسب ثقة الناس، غير أنّ ما يمكن تسجيله في لغة هؤلاء أنّها لغة مخادعة أحياناً، تخفي الكثير من

1 - أ.د. عبد السلام المسدي : " الفكر العربي بين لغة السياسة و سياسة اللغة "، 2011.
2 - عيسى عودة برهومة : تمثلات اللغة في الخطاب السياسي، ضمن سلسلة عالم الفكر، عدد 1 ، المجلد 36 ، 2007 ، ص 132.

الحقائق وتزييفها " إنها لغة ملتبسة غامضة، مبهمة، ليست بالّلغة الصريحة، وهي حافلة بالمعاني المتعدّدة والتّفسيّرات الهادفة إلى إستثارة النّفوس وخدمة السياسة"¹.
 هكذا يتبين حجم الإرتباط بين اللّغة والسياسة أو بين إستعمال اللّغة والسياسة.
 فسلطة اللّغة في الخطاب السياسي تؤسّس وتشكّل سلطة السياسة دون إعتمادها على السمات والمبادئ التي تؤسّس السياسة.
 ومن سمات اللغة في الخطاب السياسي :

- * أنها لغة أمرّة في طبيعتها و تميل أساسا إلى التذكير بالإيجابيات.
- * أنها تعتمد أساسا على البلاغة بشكل كبير، لأن تأثيرها العاطفي يعود إلى أهميتها الثقافية على مرّ التاريخ الإنساني الطويل.
- * إنها لغة تتميز بالطول هموما وبتكرار الكلمات والجمل لحمل المتلقي على التركيز على فكرة بعينها ومن ثمّ سيطرة أسلوب الإطناب و غلبة الخبر على الإنشاء والوثوقية و التقرير على الحكم بنسبية الأمور.
- * هذه اللغة أيضا تتميز بقلّة الأفعال الدالة على الحكم على الكلام وقلّة الصيغ التركيبية التي تنطوي على العلاقة الجدلية بين المتكلم و المخاطب (الإستفهام مثلا)، كما تتميز بقلّة العلامات الدالة على المكان و الزمان.
- وفي الأخير لا يمكننا إلا أن نقول أن الخطاب السياسي ليس كالخطابات الأخرى الدينية الثقافية، الأدبية ...، فلغته لغة تواصلية، وهو يخلو من اللغة الإبداعية، ولكن هذا لا يعني أن اللغة سلسلة ولا تحتاج إلى تأمل أو فكّ الشفرة، بل الخطاب السياسي يكتنفه الغموض والإبهام، ولعلّ طبيعة النص السياسي تشبه إلى حد كبير طبيعة بعض الخطابات، فهي تحتاج إلى فهم وتأويل، كما تحتاج إلى متلقّ بارع من خلال الإستدلال المنطقي كما أننا لا ندرك ما يرمي إليه المخاطب تماما².

المطلب الثالث : الخطاب السياسي واللّغة العادية : يوصف كلّ إستعمال للّغة language لغرض التّخاطب، بأنّه أداء كلامي performance وبأنّه خطاب discourse، وبأنّه نوع من السلوك اللفظي

¹ - عيسى عودة برهومة : نفس المصدر ، ص 135

² - اللغة و السياسة أي علاقة؟، يحي عمران، بوابة أبي الجعد، جريدة إلكترونية متجدّدة www.boujaad.net

verbal_behaviour، وهو في كل الأحوال يهدف إلى تحقيق التواصل communication بين منتج الكلام ومستقبله سواء عبر الكلام أو الكتابة.

ولسوف نمحص أوجه التشابه والاختلاف بين نوع من الخطاب السياسي الذي يتناول مشكلات الواقع المحلي تحديداً كما يتمظهر في كلام الساسة ومعاونيهم و الناطقين بإسمهم، واللغة العادية التي يستعملها رجل الشارع البسيط حين يتحدث عن المشكلات نفسها.

وليس القصد من التمييز بين الخطاب السياسي، ونعني به هنا خطاب الساسة من ذوي السلطة في كل زمان ومكان¹. واللغة العادية القول باختلافهما من حيث كونهما مظهرين يمثلان تجسيدات متباينة للقدرات اللسانية لمستعملي اللغة، وإنما المراد أن نؤكد على اختلاف الغايات والمواقف الذي أدى إلى اختلاف في طبيعة الخطاب ووسائله. فما يتغيه السياسي من خطابه يختلف بهذه الدرجة أو تلك عما يريده مستعمل اللغة العادية من كلامه في الموضوعات السياسية المحلية.

ولذلك كان لا بد من الإصطلاح على كلام الشخص العادي باللغة العادية تمييزاً له عن الخطاب السياسي النسقي لرجل الدولة. واللغة العادية بهذا الوصف، هي ذلك النوع من الخطاب المسخر لأغراض لا تتجاوز التعبير عن الحقائق المعاثية وعن الضيق والتبرم وحتى الإحتجاج الضمني أو الصريح على فشل جهود من يتصدون لقيادة الدولة ويملكون القرار في معالجة مختلف أشكال الإختلال البنوية الجسيمة في حقول الأمن، السياسة، الإقتصاد والخدمات، وهي أمور يدفع ثمنها المواطن مستعمل اللغة العادية الذي لا يملك القرار.

ومن المهم أن نذكر بأن التواصل يكاد ينقطع بين مستعمل اللغة العادية وصاحب الخطاب السياسي، لوجود إختلافات جوهرية بين الخطاب السياسي واللغة العادية، على الرغم من كونهما يتناولان القضية نفسها. ويمكن حصر أهم وجوه الإختلاف في النقاط الآتية :

1- يصدر الخطاب السياسي من جهة أعلى هي السلطة السياسية أو الحزبية أو الحكومية إلى جهة أدنى هي الشعب عامّة، بينما تصدر اللغة العادية من الشعب وقد لا يقصد منها مخاطبة السلطة السياسية مباشرة، وذلك حين يتحدث رجل الشارع إلى صحيفة أو الإذاعة أو قناة فضائية.

¹ - اللغة و السياسة أي علاقة؟، يحي عمران، بوابة أبي الجعد، جريدة إلكترونية متجددة www.boujaad.net

- 2- يتّسم الخطاب السياسي بكونه ذا بنية نظرية على درجة من التماسك وهي بنية مستمدّة من إيديولوجيا معيّنة، هي الإيديولوجيا التي يتبنّاها النّظام السياسي القائم بينما تتّسم اللّغة العادية بالبساطة وهي تفتقر إلى البنية النّظرية أو الإيديولوجية سوى كونها تعبّر عن مطالب فئات الشعب بوساطة أشخاص عاديين بمعنى أنّهم لا يمتنون السياسة من أبناء الشعب.
- 3- يكون الخطاب السياسي في الغالب منمّقا وعلى شيء من التّعقيد في الصياغة ومفكّرا به مسبقاً بينما تتّسم اللّغة العادية بالبساطة والتلقائية والمباشرة¹.
- 4- يهدف الخطاب السياسي بالأساس إلى إخفاء المشروعية على إجراءات السّلطة السياسية في الماضي والحاضر والمستقبل ولذلك فهو يتضمّن وعوداً من جهة ونقداً للآخر الإيديولوجي من جهة أخرى، بينما تركّز اللّغة العادية على المشكلات الراهنة ولا تهتم كثيراً بالوعد، ولا تنزع إلى مهاجمة أيّة إيديولوجيا بعيداً عن قدراتها على الإنجاز.
- 5- القصد من الخطاب السياسي هو التّوجيه لمن تمارس عليهم السّلطة فضلاً عن تسويغ الأخطاء والإخفاقات إن وقعت، وتوضيح الخطط والإجراءات المستقبلية. فهي إذن لغة أمر في طبيعتها وتميل أساساً إلى التذكير بالواجبات. ورجل السياسة الذي ينهض بمهمّة إنتاج الخطاب السياسي يزع عادة بأنه إنما يعالج بخطابه مشكلات الواقع وذلك لإخفاء الجوهر السّلطوي لذلك الخطاب. أمّا مستعمل اللّغة العادية فإنّه يقصد إلى التّعبير المباشر عن المظالم والإخفاقات والكشف عن المعاناة المؤدّية إلى الإحتقانات الإجتماعية والإقتصادية والسياسية؛ فهي إذن لغة واصفة توظّف لغرض التّشخيص والتّحديد والمطالبة بالحقوق. وهي تنزع إلى الطلب والرّجاء من القابضين على السّلطة بالإسراع في معالجة الإختلالات البنيوية المذكورة آنفاً.
- إنّ العودة إلى الخطابات السياسية في المرحلة الراهنة، سواء أكانت شفاهية أم كتابية، يظهر للقارئ الكريم مقدار ما تتطوي عليه هذه الخطابات من خصائص ذكرناها سابقاً. كما أنّ العودة إلى اللّقاءات التي تجريها المحطّات الفضائية، على إختلاف إتجاهاتها السياسية، مع رجل الشارع البسيط من مختلف المناطق تبيّن وحدة في الرأي و تطابقاً مع ما قلناه عن لغة رجل الشارع العادية.

¹ - اللغة و السياسة أي علاقة؟، يحي عمران، بوابة أبي الجعد، جريدة إلكترونية متجددة www.boujaad.net

ولعلّ من المهم أن نذكر بأنّ إتّساع الفجوة بين لغة رجل الشارع والخطاب السياسي هي من مظاهر الخلل في الأداء السياسي لأية حكومة. وإنّ من أولى واجبات رجل الدولة أن يبذل كل الجهود لتقليص هذه الفجوة. ومن هنا فإنّ المهم أن نذكّر رجل السياسة بأن يحسن الإستماع إلى لغة رجل الشارع العادية وأن يتخذ منها بوصلة هادية له في عمله لأنّها تعكس الواقع بصدق وتجرد وشفافية. وهو إن فعل ذلك فسيجعل إنجازاته على أرض الواقع تتحدث بلغة أعلى من الخطاب السياسي المثقل بالوعود. عندها فقط يجمع السياسي شرعية الإنجاز الباقية إلى شرعية الإنتخاب الزائلة¹.

المطلب الرابع : لغة السياسة :

تحتفظ ذاكرة البشرية بأقوال رائعة لسياسيين أمثال تشرشل، ولينكولن وغاندي وتنتشر وغيرهم ممّن سحروا الجماهير بخطبهم البليغة التي أصبحت بعض جملها أقوالاً ماثورة نسمعها ونقرأها في كل وقت وحين.

فاللغة أداة السياسة الأولى وطريقهم إلى قلوب وعقول الجماهير، فما طبيعة العلاقة بين اللغة والسياسة ؟ وكيف يستخدم السياسيون اللغة ويؤثرون عليها ؟

يشارك سياسة العالم بصفة مذهلة، هي دأبهم الحثيث على الظهور بصورة رائعة أمام الآخرين، لذا تراهم يحاولون كسب الصداقات والتأثير على الآخرين من خلال سحر التلاعب اللفظي. فعلى مرّ العصور فتن الباحثون بخطب وشعارات سياسة عملوا على إقناع العامّة بمشاريع ضخمة أو خطابات إعلان الحرب أو السلم أو خطب تحفيز الشعوب بالإنتماء القومي.

لكن يبقى السؤال : هل يمكن إستخدام اللغة سلاحاً لإقناع الجماهير ؟ وهل هذا بالأمر اليسير ؟ يقول المؤرخ الأمريكي دانيي لتي رودجرز: " اللغة عامل مهمّ في لعبة السياسة ". ويصف رودجرز لغة الخطاب السياسي الأمريكي عبر التاريخ بأنها " حق صراع حيث الكلمات أسلحة ينبغي إستعمالها أو هي ساحات للقتال على السياسيين إحتلالها و حمايتها "². والملاحظ مؤخراً أنه كلما أتقن السياسة لعبة الكلمات وإستخدام اللغة بشكل غير ملحوظ ، كانت آثار غدر هذه اللغة أشدّ وطأة على الجماهير.

¹ - اللغة و السياسة أي علاقة؟، يحي عمران، بوابة أبي الجعد، جريدة إلكترونية متجددة www.boujaad.net

² - « contested truths, key words in American politics since independence » Daniel.T.Rogers, 1998

إستحداث المفردات و الألفاظ الجديدة :

على الرغم من عدم وجود أيّ قاعدة أو حيلة ما لإستحداث لفظة جديدة، إلا أن ذلك يبدو ممكنا بشروط معيَّنة، وعندها فقط يمكن للفظه جديدة أو لمصطلح جديد أن يصبحا متداولين. يقول عالم اللغويات آلان ماتكالف في كتابه " التنبؤ بألفاظ جديدة " :

- هناك عوامل أساسية لا بد منها لظهور أيّ مصطلح وإستمراره في لغة ما وهي :

- التكرار : ينبغي إستعمال المصطلح بشكل متكرر.

- القبول : فيجب أن يكون المصطلح متداول ولا يسهل حفظه.

- التنوّع : قابلية إستخدامه من طرف فئات من الناس.

- إمكانية إستنباط أشكال و معان جديدة : فعلى المصطلح أن يكون مرنا مع إمكانية إستخدامه.

- الثبات : إذ ينبغي أن تكون دلالة المصطلح ثابتة تدوم طويلا.

فعندما يتعلق الأمر بتحقيق الأهداف السياسية، تستثمر الشخصيات العامّة كالسياسيين نتائج إستخدام كلمات جديدة لسبب واحد، هو أن شخصيات قوية معروفة مثلها تخطف إنتباه الجماهير تلقائيا و إن إختلفت مع أفكارهم ورؤاهم السياسية.

تلاحق مؤسسات الإعلام من صحافة و مواقع التواصل الإجتماعي هؤلاء السياسيين على الدوام وتعيد نشر وتحليل كل كلمة يتفوّهون بها بشكل متكرر، فالإعلام يلعب دورا لا يمكن إنكاره في نشر وترسيخ المصطلحات الجديدة والتشجيع على إستخدامها.

يقول أحد علماء اللغويات في دراسة عن شاعرية الخطاب السياسي : " إعتدنا نحن جمهور الناخبين المحتملين الإصغاء والنظر إلى الحوار السياسي بمساعدة المحللين السياسيين ومؤلفي الخطاب"¹.

في عام 2006، لاحظ معلقوا بعض وسائل الإعلام، ظهور مصطلح لا قواعدي جديد "Democrat Party" بدلا من التسمية الأصل " Democratic Party". فقد إستخدم الإسم "Democrat" بدلا من الصفة " Democratic"؛ وهذا التغيير أدّى إلى فصل مفهوم المركزية الديمقراطية عن إسم الحزب و تحويله بذلك إلى حزب للديمقراطيين.

¹ - باقر جاسم محمد الخطاب السياسي واللغة العادية، الحوار المتمدن، www.alhewar.org/debat/show.art.asp

استمرت وسائل الإعلام باستخدام الكلمة كصفة وليس كإسم بأساليب مشابهة وفي سياقات جديدة لتسهم بذلك بانتشار أوسع لها.

ففي السياسة، ليس الهدف من إستحداث لفظة جديدة، التغيير في اللغة، إنما جعل الناس يريدون إستخدام هذه المصطلحات الجديدة. فأكثر المصطلحات نجاحا في المجال السياسي، هي الجمل الإسمية المكوّنة من كلمات عادية بدلا من الكلمات المصاغة حديثا. وهي معدّة لتشكل وتتحكّم بسرد الخطاب لتتوّه بذلك الطرف المعارض ولتشوّش المعلومات، أي لتدعم الأجندة السياسية بشكل أساسي.

وعندما يتعلق الأمر بصناعة شعار سياسي، يتمّ الضرب على وتر العواطف. فلغة المصطلحات المنمّقة والدقيقة تفرض تقريبا على الشخص موقفا من هويّته ومن القيم التي يتمسك بها، وهذا يعود لسببين إنفعاليين أساسيين :

الأول/ معرفة للانتماء، والثاني/ معرفة الآخر الذي نخشاه.

وعلى ما يبدو، فإن السياسة قد تعلّمت الكثير من صناعات الإعلانات، فكما هو حال تسويق العلامات التجارية، تقوم اللغة السياسية بتكليف هوية الجمهور العاطفية عبر إعطاءهم شيئا يمكنهم أن يكونوا جزءا منه (للعمل من أجل أهداف إيديولوجية)، ومنحهم شيئا يحترسون منه (كمنافسين يتحدّوهم أو قيما يحترقونها).¹

هذا التلاعب اللغوي الساحر بالعاطفة وبالهوية له أثر فعّال خاصة في عصر يتمّ فيه تبادل المعلومات بسرعة كبيرة و بطرق متطورة ودقيقة، فإختيار المصطلحات والمعاني الجديدة يتمّ بعناية تامة لإستغلال آمال و مخاوف الناس.

المبحث الرابع : الخطاب السياسي :

الخطاب السياسي منتج ثقافي، فهو كغيره من المنتوجات العقلية والثقافية، تخضع بشكل مباشر لجملة من الشّروط التاريخية والسّوسيلوجية والمادّية التي توطّر إنتاجه وتحدّد أشكاله ونمط القيم المتضمّن فيه، لكن ما يميّز الخطاب السياسي عن غيره من الخطابات كونه جزءا من الإيديولوجية. لهذا يصدق على الخطاب السياسي، ما يصدق على الإيديولوجية. فهو بإمكانه التّعبير عن نفسه

¹ - باقر جاسم محمد الخطاب السياسي واللغة العادية، الحوار المتمدن، www.alhewar.org/debat/show.art.asp

بشكل مختصر جداً، كما هو الأمر في الشعارات. وبإعتباره جزءاً من الإيديولوجية، فإنه يخضع لما تخضع له.¹

ويعتبر الخطاب السياسي خطاباً إقناعياً بامتياز، يهدف إلى حمل المتلقي على التسليم والقبول بصدقية الخطاب عبر وسائل متنوّعة تتضافر فيها الوسائل اللغوية ومكوّنات تعبيرية أخرى موازية للتواصل كالصورة، ونبرة الصوت ولغة الجسد وذلك وفق ما يقتضيه السياق التخاطبي. وهناك مجموعة من الخصائص الرئيسية التي تميّز الخطاب السياسي عن غيره من الخطابات الإقناعية الأخرى، نذكر منها :

أ- مضمون الخطاب :

يتعلّق بقضايا المواطنين والفئة المستهدفة من الخطاب : (جماعة سياسية، أو حزب، أو أفراد).
- مصدر الخطاب : وهم صانعو الأحداث اللذين يرسمون السياسات ويخطّون لها، ويصدرون الخطابات.

ب- وسائل إنتشاره :

وهي وسائل الإعلام السّمعية والبصرية والمكتوبة، فالخطاب " يؤثر إذا إنتشر عبر وسائل الإعلام، ليصل بذلك إلى أكبر عدد من المشاهدين والمتلقين لتوجه الرسالة السياسية. وهذه الرسائل/الخطابات، قد تصبح شعارات يعتنقونها، وقد تمثّل لهم مخطّط حياة وتصبح متداولة بين الناس "

ج- المتلقى :

وهو إما أن يكون نخبويًا يقابل بالدراسة و التحليل والتأويل من طرف هذه النّخب، وإما أن يكون من عامّة الشعب، حيث يستمع إلى الخطاب و يتداول، وقد يفتنّع به بسبب الدّعاية دون نقد أو دراسة، وعموماً فإنّ الخطاب السياسي يتّصف بالخصائص التالية :

1- خطاب جماهيري :

" أيّ أنّه خطاب قائم على إنتاج و فصل الدوائر الخاصّة والعامّة " فهو خطاب يتوجّه إلى مجموعة من الأفراد المجتمعين في جماعة معيّنة ولهم أهليّة مناقشة السّلطة، ويرتبط هذا النوع

¹ - " نسق التواصل السياسي بالمغرب المعاصر " (2005). أ. عبد الرحيم العماري.

من الخطابات بجملة من الخصائص المتنوعة التي لها طابع جماعي بإمتياز سواءاً تعلق الأمر بالتنظيم أو التنظير : كالإجتماع السياسي المغلق، واللقاءات السياسية الجماهيرية المفتوحة والحوارات، والمؤتمرات الحزبية، والبلاغات أو البيانات أو التوصيات. وتضاف إلى ذلك مسالة وسيلة التّواصل الجماهيري كالمنشورات والمؤلفات والوسائط السّمعية البصرية.

2- خطاب قاعدة :

لأنّه خطاب " يتوجّه دون تمييز إلى مجموعة من الأفراد والمواطنين ضمن التّشكيلة المجتمعة " " بمعنى أنه خطاب يؤلّف في أسسه الخالصة بين مجموع التمثيلات والإيديولوجيات المتباعدة غالباً ما تكون معارضة " .

3- خطاب سجالي :

كلّ الخصائص المذكورة تحتمّ عليه أن يكون خطاباً سجالياً، خلافاً للخطاب الديدانكتيكي، يزيّف الخطاب السّجالي أطروحة الخطاب المعارض. فالسّجال هو عماد الخطاب السياسي، فالمتلقي يكون إمّا عارضاً، أو وسيلة لنبذ المعارض. وأثناء السّجال يتم الإستعانة بمجموعة من الآليات الخطابية وغير الخطابية التي قد تتعدّى الإقناع إلى الإفحام.¹

4- خطاب مقطّع :

يتعدّر في الغالب الإمساك به في كليته، بما أنّه يتغير حسب الخطابات المناصرة والخطابات المعارضة، وفق ذلك يحاول الخطاب السياسي دوماً إعادة تشكيل مجموعة من التّمثيلات المتناقضة وأنّ هذا العناد يقوده إلى إنتاج لغة متعدّدة الأبعاد، مما يدخل الخطاب السياسي في علاقة جدلية مع الواقع، فإذا ما أحال عليه بطريقة غير مباشرة عمل على إخفاءه بتأسيس مرجعية جديدة ملتبسة.

5- خطاب مجزأ :

يتغير تبعاً للمصدر، بحيث تختلف درجة عموميته من جهاز إلى آخر.

¹ - " نسق التّواصل السياسي بالمغرب المعاصر " (2005). أ. عبد الرحيم العماري، ص 90،91.

6- خطاب تحويلي :

وهو خطاب يخلق النقاش حول : " التدابير الواجب إتخاذها والإستراتيجيات الواجب تبنيها قصد إتمام التنظيم المجتمع في تحوّل مستمر " .

7- خطاب معرفة :

ككل التشكيلات الخطابية، ينتج الخطاب السياسي في النهاية معرفة أنها متعددة التلوينات، لكن هدفها هو تدبير العلاقات بين أفراد المجتمع إنطلاقاً من مجموعة من الإجراءات البيروقراطية وغيرها¹.

المطلب الأول : الهوية البلاغية للخطاب السياسي :

يتسع الخطاب السياسي لأنواع عديدة من التناول الفلسفي والسوسيولوجي واللساني والأنثروبولوجي حسب الزاوية التي ينظر منها الدارس؛ أي الثقافة التي توّطره والأسئلة التي تقوده والمتن الذي يختاره.

غير أن الوظيفة الإقناعية لهذا الخطاب وطبيعته، تجعل المدخل الرئيسي إليه هو المدخل البلاغي في حين تظل المداخل الأخرى المذكورة، ثانوية. ومن المهم في هذا الصدد أن المدخل البلاغي لا يستبعد المداخل الأخرى بل يوظفها ويستفيد منها في حدود ما يتطلبه إبراز الخصوصية الجوهرية للخطاب السياسي. فالخطاب السياسي ينتمي إذن إلى المجال البلاغي بإعتباره خطاباً ينشد التأثير والإستمالة قصد الإنخراط أو الفعل.

ولابد أن نفتح قوساً هنا لتتواصل حول ما نقصده بالبلاغة، إذ أن للبلاغة معنيان : فهي في معناها الأول، ممارسة نصية إنشائية، وتقوم هذه الممارسة على الإحتمال وتتشد التأثير، وذلك حسب ظهور القصد أو خفاءه. وفي معناها الثاني، اللغة الواصفة لهذه الممارسة الخطابية، أي علم النص. فنحن إذن نتحدث عن بلاغة عامة تمتد بين قطبين : قطب التخيل الشعري وقطب التداول الخطابي.

¹ - " نسق التواصل السياسي بالمغرب المعاصر " (2005). أ. عبد الرحيم العماري.

المطلب الثاني : الغرض من الخطاب السياسي :

يقول أحد الدارسين المحدثين : " إن الرّهان الأسمى للخطاب السياسي ليس كما يمكن أن يعتقد حمل رسالة أو نشر إيديولوجية، أو التّحريك من أجل فعل، بل هو تأكيد هويّة خطيب من أجل تسهيل إنخراط مستمع"¹

وهذا رأي قابل للتّصديق إذا فهمناه على أساس المفاضلة بين عدّة وظائف ينجزها الخطاب السياسي في سياقات مختلفة، لا على أساس إلغاء هذه الوظيفة أو تلك. ومعنى ذلك أنّ الخطاب السياسي يحمل رسالة فعلا، وينشر إيديولوجيا مهما كانت صراحتها، ويحرّك نحو الفعل مباشرة أو تمهيداً، ولكنّه يهتمّ أكثر من ذلك أو بالأحرى من خلال ذلك ببناء هويّة خطيب أو مجموعة سياسية. ذلك أنّ الرّسالة والإيديولوجيا حين تتّرجمان واقعياً تعنيان المضامين والبرامج، وجزء من الهويّة، كما أنّ الفعل هو المصبّ النهائي لكلّ ذلك. فالتمييز بين الرّسالة و الهويّة إجتهد ينطوي على تسامح من أجل بيان أهميّة الهويّة في الخطاب السياسي الحديث.

ولمزيد من توضيح مفهوم الهويّة في هذا الخطاب، نقول بأنّ الغرض من الخطاب السياسي هو خلق فضاء لساني يستقطب مجموعة ذات تصوّر مشترك (أو يخلق ذلك التّصوّر) من أجل الفعل في الحياة الجماعية، فضاء يتعارف فيه الأعضاء و يتماسكون من خلاله (أي أنّ كلّ من يتكلّم ذلك الخطاب يكشف عن ذلك الإنتماء و يضيء إنتماء الآخرين). فالكيان السياسي لغة و كلام، أيّ خطاب ، قبل أن يكون أشخاصاً ومقرّات ومنابر.

ولاشك أن الإهتمام بالهوية راجع إلى أن الخطاب السياسي الحديث لا يمكن أن يكون إلا " متحيّزا إلى فئة "، أي خطاب حزبي. و إعتبارا لهذا الطابع التّحيّزي (من الإنتماء لحيّز معين) للعصر الحديث فإنّ أيّ خطاب يخوض في تدبير الشّأن العام متحدثاً من خارج المواقع الحزبية عن وجهات النّظر الخاصّة في سياق تاريخي محدّد لا يعدو أن يكون خطابا توجيهياً أو وعظياً متعالياً، ولذلك يلزمه الإمتناع عن الخوض في القضايا التطبيقية، أي في السياسة، بحيث لا يتجاوز تحليل القيم المطلقة إيجاباً أو سلباً : يمدح الخير و يذمّ الشر، ويترك السياسيين تحت المقادير و الكيفيات.

¹ - Daman Mayaffere.dire son identité.Etude des discours politiques du XX siècle. Cahier de la méditerrané. Vol 66.l'autre et l'image de soi. aid=119.

المطلب الثالث : وظيفة الخطاب السياسي و فن التواصل مع الجماهير :

إذا كان للعمل السياسي من وظيفة فهو محاولة ضبط العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وهذا الضبط يحتاج إلى سلوكيات متعدّدة منها ما هو سلوك غير لفظي مثل القرارات والقوانين والمواقف السياسية، و منها ما هو لفظي يعتمد على القول قبل الفعل للتأثير على سلوكيات الجماهير وتوجيهها الوجهة التي تناسب أو التي يفضلها السياسي، وتعتبر الخطابة السياسية أحد أهم هذه الوسائل اللفظية لضبط هذه العلاقة بين الحاكم والمحكوم والعكس.

ورقي الخطاب السياسي هو مؤشّر على مدى الرقي والتقدم الذي وصلته الشعوب المستهدفة بمثل هذا النوع من الخطابات، فهي تعتبر الأكثر إقناعاً وتأثيراً وإنتشاراً في المجتمعات إذ تمّ إستخدامها كوسيلة للنصح والإرشاد في أمور الحياة والدين والمبادئ.¹

ونحن العرب عرفنا من قديم الزمان بقدرتنا على الإبداع في الخطابة وظهر لنا الشعراء والوعاظ والحكماء الذين يستهدفون التأثير في مجتمعاتهم مرّة بالشعور وأخرى بالنشر وثالثة بالكلمات والألفاظ المختصرة ذات الدلالة، وهو ما يقترب أكثر من الخطابة الإجتماعية، وإن كان لها من أبعاد سياسية، لذا الخطابة تتنوع بتنوع موضوعاتها. فهناك الخطابة الدينية و التي تعدّ من شعائر العبادات في صلاة الجمعة وصلاة العيدين وصلاة الإستسقاء، وإستنهاض الناس وإستنفارهم في الملّمات عند المسلمين. وأيضا الخطابة الإحتفالية و التي غالبا ما يكون هدفها النصح والإرشاد. وأيضا الخطابة القضائية الإستدلالية و التي من مهامها التبليغ و تنفيذ حجج الخصوم. والخطب الحربية التي يتمّ إلقاؤها بين الجنود لتحسيسهم وحثّهم على الجهاد والدّفاع عن الوطن. وأخيراً هناك الخطابة السياسية الإستشارية التي تهتمّ بالقضايا التي تسيّر حياة الناس والدول.

وقد عرّف المفكّر اليوناني القديم أرسطو الخطابة السياسية بأنّها الخطابة الإستشارية، و قد قسمها إلى تشاورية تنظر في الوقائع والأحداث الماضية وهي أقرب إلى المنطق والجدل، وخطابة سياسية تثبّيتية وثنائية تلقى في المحافل العامة للتّحسين والتّقبيح و الكيد، وهي أقرب إلى

1 - " الخطابة السياسية و فن التواصل مع الجماهير "، عهدود ناصر الحبيب، رئيس وحدة شؤون المجالس التشريعية و البلدية - معهد البحرين للتنمية السياسية 2013/06/28 www.Bno.bh/portail/news/566752

الأدب. وأخرى تشاورية تجري في الجمعيات والأحزاب السياسية ومؤسسات الحكم المختلفة حيث تنظر في القضايا الراهنة والمستقبلية المتصلة في أمور تنظيم شؤون الشعوب وعلاقتها بالنظام السياسي.¹

ويتكوّن الخطاب السياسي من عدّة جمل موجهة عن قصد إلى المتلقّي بقصد التأثير فيه وإقناعه بمضمون الخطاب عن طريق الشرح والتحليل والإشارة، وهو يتضمّن أفكاراً سياسية، ويهدف إلى تغيير النفوس والعقول والأفكار والواقع. وتتبع قوّة أيّ خطاب سياسي من ثقافة المتحدث ومدى القوّة اللغوية وإنسجامها مع الحديث ووعي المتحدث السياسي وإحترامه لمن يسمعه ويوجّه له الخطاب.

وهناك عدّة طرق للخطابة السياسية، فهناك الطريفة الأخلاقية التي تعتمد على التأثير في شخصية المخاطب. وهناك الطريفة العاطفية التي تعتمد على تأثير استخدام الخطيب للمناشدة العاطفية. والطريفة المنطقية التي توظف لتأثير استخدام المبادئ الأصولية المتبعة بالبرهان. ويعتبر الخطيب هو الفاعل السياسي الذي يقوم بإلقاء الخطبة السياسية أو إجراء الحوار السياسي أو الإدلاء بالنصريحات السياسية، حيث يقوم بتوصيل رسالة واضحة لها هدف أو مجموعة أهداف محدّدة بعينها، وقد يكون الخطاب السياسي معدّ له من قبل، أو يكون تعقيباً على حادث قد تمّ لتوّه. ويشترط في الخطيب أن تكون مخارج حروفه سالمة من العيوب وأن يكون صوته جاهراً وأن يكون على علم ودراية بنفسيات المستمعين وأن يكون حسن المظهر، وأن يلوّن صوته بحسب الموضوع ونوع الخطبة وأن تتوافر فيه الجرأة واستخدام تعابير الوجه. كما يجب أن تكون لغته سهلة ومختصرة وأن لا يتعالى بالمعرفة والمعلومات، ويتأكد من دقّتها وصحّتها حفاظاً على مصداقيته وأن يحافظ على هدوء الأعصاب والتوازن الإنفعالي، وأن يختم الحديث بالتركيز في أهمّ النقاط التي وردت فيه للتأكيد والتذكير.

إنّ الخطيب السياسي الناجح، هو الذي يستطيع أن يجعل من خطابه وسيلة ناجحة للتأثير في الجماهير وإقناعهم بأهدافه وأفكاره. ورغم صعوبة هذه المهمة فإنّ إستدامتها ووضوحها ومنطقيتها تكون من الوسائل الفعّالة في تحقيق الهدف المرجو منها، وهو ما يعيدنا إلى النقطة

1 - " الخطابة السياسية و فن التواصل مع الجماهير "، عهدود ناصر الحبيب، رئيس وحدة شؤون المجالس التشريعية و البلدية - معهد البحرين للتنمية السياسية 2013/06/28 www.Bno.bh/portail/news/566752

المفصلية وهي أنّ إستمرارية التّواصل السياسي الفعّال هو الذي يستطيع أن يحقّق الهدف من أيّ خطاب و يستطيع أن يضبط السلوك السياسي لدى المواطن بما يحقّق مصلحة الوطن العليا¹

المطلب الرابع : الخطاب السياسي و أثره في تحريك الشعوب :

هناك صفات يتصف بها الخطاب السياسي من أجل التأثير و تحريك الشعوب ويقوم المتحدث بتحديد طبيعتها و التدرب عليها سلفا وهي :

أ / المستوى الصوتي للخطاب :

حيث هناك صلة واضحة بين المستوى الصوتي وما يرمز إليه، فهناك مستوى للتعبير عن حالة الغضب والفرح والإنزعاج و القوة و الضعف و كذلك مدود الكلمات و قصرها و إرتفاع الصوت وخفضه.

ب / المستوى الصرفي للخطاب :

وهي تعني تناول أبنية داخل الخطاب، كأن يطلق سياسي مصطلح ما قام بصياغته ونحته على حزب أو جماعة أو فرد، كأن تطلق كلمة الصقور على بعض السياسيين و قد يقوم البعض بتحويل المعنى الدلالي لبعض المصطلحات و يستخدمها لصالحه. ففي عقد الثمانينات من القرن العشرين تمت الإشارة إلى السيدة مارجريت تاتشر بإسم " المرأة الحديدية " و كان هذا الوصف يعني عدم المرونة في تعاملها مع الآخرين، و تحولت دلالة المصطلح بعد ذلك إلى معنى إيجابي عندما تمّ فهمه على أنها تجسّد معنى الصلابة والتحمّل كما ذكره جورج كلاوس.

ج / المستوى الدلالي للخطاب :

وهو الإهتمام بالأفكار والموضوعات والمفردات والمضامين التي تحقق المعنى والتميّز الخطابي للمتحدث. فقد يعتمد أحدهم على الإستعارات أو الألفاظ الفنية أو الحربية كمن يتحدث عن أحد السياسيين بأنه رأس الحربة و آخر بأنه الدفاع الجوي ... وهكذا. وقد يتحدث آخر بأسلوب حسابي أو رياضي أو ديني أو علمي ومن المهم أن يكون للسياسي القائد أسلوب يميّزه.

1 - " الخطابة السياسية و فن التواصل مع الجماهير "، عهدود ناصر الحبيب، رئيس وحدة شؤون المجالس التشريعية و البلدية - معهد البحرين للتنمية السياسية 2013/06/28 www.Bno.bh/portail/news/566752

د / الإهتمام باللغة المستخدمة :

فقد يتحدث أحد السياسيين بلغة الحقوق وآخر بالقوة، وآخر بلغة الأمن، وآخر بلغة كبير العائلة أو الأخ الأكبر أو الأصغر أو المظلوم. ومن هنا، فإن المتحدث يحدد الصيغة التي يخاطب بها الجماهير و الشعوب و لا يترك نفسه للظروف تحركه كيفما تشاء.

هـ / الكلمات المفاتيح :

وهي الكلمات التي يتم صياغتها و إنتقاءها بدقة و تكرارها أثناء الخطاب السياسي. فهي تختمر في ذهن الجماهير و تأخذ بألبابهم و عقولهم و قد تصبح دليلا على صاحبها بعد ذلك ، مثل لكلمة مارتن لوثر كينغ Martin Lutherking، في إحدى خطبه الشهيرة في يوم 28 أغسطس عام 1963 في واشنطن عندما قال أنا لديّ حلم " I have a dream "، فقد ذاعت الكلمة و إنتشرت حتى سمّيت الخطبة بإسم هذه الجملة، و أصبح السّود جميعا في الولايات المتحدة يرددون " أنا لديّ حلم " ¹. وكذلك قول الدكتور عبد العزيز الرنتيسي رحمه الله في إحدى خطبه في غزة عندما رفع السلاح قائلا : " هذا هو الطريق "، فقد إنتشرت على لسان المقاومة و أصبح شعارهم " هذا هو الطريق ". و كلمات أخرى مثل الحرب على الإرهاب التي ظل يرددتها بوش والغرب من ورائه وكذلك مقولات أردوغان الكثيرة و القوية مثل قوله : " إن تركيا قوية في عداوتها كما هي قوية في صداقتها "، والقائد المتميز حقا هو الذي ينجح في صياغة كلمات تتردد على لسان الشعوب وفي وسائل الإعلام.

1- عناصر الخطاب السياسي :

ينقسم الخطاب السياسي إلى عنصرين أساسيين هما : المتحدث أو المرسل، و الخطاب السياسي.

أ / أولا : المتحدث :

وهو الفاعل السياسي الذي يقوم بإلقاء خطبة سياسية أو إجراء حوار سياسي أو إجراء تصريحات سياسية، يقوم فيها بتوصيل رسالة واضحة إلى هدف أو مجموعة أهداف محددة بعينها، وقد يكون

¹ - " الخطابة السياسية و فن التواصل مع الجماهير "، عهد ناصر الحبيب، رئيس وحدة شؤون المجالس التشريعية و البلدية - معهد البحرين للتنمية السياسية 2013/06/28 www.Bno.bh/portail/news/566752

الخطاب السياسي معدّ له من قبل أو يكون تعقيباً على حادث قد تمّ لتوّه و يحتاجون له تعقيباً. وقد يكون حوار صحفي بين سياسي ومحاور أو عدة محاورين كما هو الحال في المؤتمرات الصحفية. وهناك بعض النقاط التي يجب على المتحدث مراعاتها قبل الشروع في الخطاب و هي كالآتي :

* يقوم المتحدث بتحديد محاور الحديث و الرسالة التي يجب أن تصل إلى الآخرين وقد يتم التشاور حول ذلك للوصول إلى رسالة واضحة و مركزة.

* يقوم المتحدث بتصنيف حالته تصنيفاً جيداً وبناء الخطاب على أساس تلك الحالة، حيث يختلف الخطاب من فرد داخل السلطة إلى خارج السلطة، ومن فرد يحسب حساب الربح الذاتي إلى حسابات الصالح العام، ومن شخص آمن على حياته إلى مهدد وغير آمن.

* يقوم المتحدث بتحديد الأمور التي يريد الحديث عنها، و الأمور التي يريد تجنب الحديث عنها والأمور التي يمكن الحديث عنها وإغفالها، حيث أنها موضوعات ثانوية.

* إذا كان الخطاب السياسي عبر حوار، فإن معرفة المحاور وشخصيته وطبيعته وثقافته تشكل عاملاً مهماً في سلامة الحوار أو الخطاب السياسي.

* تحديد من يريد المتحدث أن تصل الرسالة إليه شيء مهم جداً حتى يتمكن من توزيع وقته وعدم الإنسياب خلف موضوعات فرعية، أو إعطاء الموضوع أكثر من حجمه.

* تحديد الهيئة التي ينبغي أن يظهر بها المتحدث أثناء الخطاب السياسي ومدى ملاءمتها لطبيعة الخطاب.¹

ب / ثانياً : الخطاب السياسي :

الخطاب السياسي، هو تركيب من الجمل موجه عن قصد إلى المتلقي وذلك من أجل التأثير فيه وإقناعه بمضمون الخطاب عن طريق الشرح والتحليل والإثارة، ويتضمن هذا المضمون أفكاراً سياسية أو يكون موضوع هذا الخطاب سياسياً.

1 - " الخطابة السياسية و فن التواصل مع الجماهير "، عهدود ناصر الحبيب، رئيس وحدة شؤون المجالس التشريعية و البلدية - معهد البحرين للتنمية السياسية 2013/06/28 www.Bno.bh/portail/news/566752

ويهدف السياسي من خلال خطابه إلى تغيير النفوس والعقول والأفكار و الواقع مما يجعله في حالة لها صفات و سمات و هيئة معينة.

فالذي يتحدث بالحديث السياسي لا بد له من صفات و إنطباعات معينة قد لا تجب في أي حديث آخر. فالسياسي له أهداف يرجو تحقيقها من خطابه، فهو قد يحرك ساكنا ويسكن متحركا، وقد يقيم الدنيا وقد يقعدا أيضا.

فهناك ثورات قامت بخطبة، و أخدمت ثورات أخرى بخطبة. فالخطابة هي أحد السمات المميزة للقادة والزعماء، فلا يوجد قائد حقق نصرا ملحوظا وهو غير موفق في التعبير عما يريد وتوصيل أهدافه إلى من يريد.

المطلب الخامس: ثمانية من أعظم الخطابات السياسية في التاريخ:

يقفون أحيانا أمام جماهير غفيرة تنتظر ما ستسفر عنه كلماتهم الحماسية، وأحيانا خلف شاشات التلفاز ليخاطبوا شعبا قلقا على ما يحمله المستقبل إليهم، و سواء إنتهت كلماتهم بتصفيق و هتافات مؤيدة، أو غضب عارم من الجمهور، فقد شكلت خطابات رجال السياسة الكثير من الأحداث المهمة في تاريخ العالم الحديث، وترجمت أحداثا إجتماعية وسياسية وعسكرية كبرى، ورسمت معالم حروب و ثورات¹

* مارتن لوثر كينغ " عندي حلم "

" إنني لسعيد بانضمامي إليكم اليوم، فيما سيدخل التاريخ كأعظم مسيرة للحرية في تاريخ أمتنا ". هكذا بدأ المناضل الأمريكي مارتن لوثر كينغ خطابه الأشهر في عام 1963 في العاصمة الأمريكية واشنطن، وقد كان ما توقعه حقا.

بكلمات رنانة وجمل مفعمة بالأمل والتحدي، خاطب لوثر كينغ 250 ألف أمريكي ليصل إلى ذروة حركة الحقوق المدنية في الولايات المتحدة الأمريكية التي أعلنت أن السود لم يحصلوا بعد على كامل حقوقهم كمواطنين حتى بعد 100 عام من إلغاء الرق في أمريكا.

بعد المسيرة التي شارك فيها مئات الآلاف من المواطنين، إتقى وفد من قادة الحركة بالرئيس الأمريكي آنذاك، جون كيندي، الذي دعم موقف الحركة بإعلان قانون الحقوق المدنية.

¹ - 8 من- أعظم الخطابات- السياسية- في- التاريخ <https://acakuw.com>

*** جورج واشنطن : خطاب الإستقالة**

قائد منتصر في حرب أهلية طاحنة، إنتهت برسم معالم بلد جديد ما يزال يلتمس حدود هويته وما يؤمن به، ورئيس للجنة كتابة أحد أعظم دساتير العالم وأطولها بقاء، لكن أعظم ما صنع في حياته على الإطلاق، ربما كان أمرا آخر.

خرج جورج واشنطن بعد الحرب الأهلية التي كان فيها قائدا للجيش المنتصرة والجميع يراه زعيما عظيما، والبعض يرغبون في تنصيبه ملكا يستحوذ على السلطة الجديدة التي تشكلت تحت قيادته، لكنه أثار الإستقالة من قيادة الجيش ليرسي قواعد الجمهورية الوليدة في عام 1784، قبل أن يرأس لجنة كتابة دستورها في عام 1787 ويصبح رئيسا لها في عام 1789 لدورتين متتاليتين، رسمت نهايتها طريقة الإنتقال السلمي للسلطة في الولايات المتحدة الأمريكية عبر الإنتخابات، في عالم كان يحكمه الملوك وذوي القوة والنفوذ.

*** وينستون تشرشل : " سنحارب على الشواطئ "**

بعد عشرة (10) أشهر من إندلاع الحرب العالمية الثانية، ووسط تقدم قوات ألمانيا النازية في أوروبا، أصبح وينستون تشرشل رئيسا لوزراء بريطانيا في وقت صعب يجب عليه فيه إنتشال بلاده من الحرب.

وفي أول شهر من توليه المنصب، ألقى تشرشل سلسلة تاريخية من ثلاثة خطابات أمام المجلس العمومي البريطاني، أوضح فيها رؤيته للحرب، ويقينه من تفوق بلاده فيها، وبت الحماس في جنوده وأفراد الشعب الذين كانوا يرون القوات النازية تقترب من حدود بريطانيا بعد سقوط فرنسا¹ كان هذا الخطاب هو الثاني من السلسلة، وإستخدم تشرشل فيه نبرة مفرطة الحماسة واليقين قائلا: " سندافع عن جزيرتنا مهما كان الثمن، سنحارب على الشواطئ ... لن نستسلم أبدا "

*** جمال عبد الناصر : تأميم قناة السويس**

وسط أزمة سياسية و دبلوماسية بين مصر، بقيادة الرئيس الأسبق جمال عبد الناصر، والولايات المتحدة الأمريكية بقيادة أيزنهاور، وخلاف كبير حول مشروع بناء السد العالي، الذي رفضت

¹ - 8 من- أعظم- الخطابات- السياسية- في- التاريخ <https://acakuw.com> /

أمريكا وإنجلترا تمويله، ولم يستطع عبد الناصر الحصول على تمويل من البنك الدولي ، قرر جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس.¹

وفي العيد الرابع لثورة 1952، أعلن عبد الناصر تأميم قناة السويس من الإسكندرية، وسيطرت القوات المصرية على القناة بعد كلمة السر المتفق عليها " فرديناند ديلسييس ". وأعقب قرار التأميم الهجوم الذي عرف بالعدوان الثلاثي على مصر، من إسرائيل، بريطانيا وفرنسا.

* غاندي : " أتركوا الهند "

في عام 1942، كانت الهند قد أمضت حوالي قرن كامل تحت الإستعمار البريطاني وكان المهاتما غاندي، الأب الروحي للمقاومة السلبية بإستقلالهم عن التاج البريطاني قد إقترب من نهاية حياته. جاء خطاب " أتركوا الهند " عشية إطلاق حركة أتركوا الهند للمطالبة بإنسحاب تدريجي منظم لبريطانيا من الهند، ورسم فيه غاندي رؤيته لطريقة رحيل القوات البريطانية وخاطبها قائلا : " أتركوا الهند وأنتم أسياد "، لكن بريطانيا واجهت الحركة بموجة قمع وإعتقالات طالت غاندي نفسه.

* كيندي : " لا تسأل ماذا يمكن أن يقدم لك بلدك "

جاء خطاب تنصيب أصغر رئيس للولايات المتحدة الأمريكية في تاريخها، جون كيندي في عام 1961 ليرسم ملامح فترة جديدة شابة في تاريخ أمريكا، ويكفي التذكير بجملة واحدة إنتقلت من هذا الخطاب إلى تراث عدة دول تعبيرا عن الوطنية :

" لا تسأل ماذا يمكن أن يقدم لك بلدك ؛ إسأل ماذا يمكن أن تقدمه لبلدك ".

* نيكيتا خروتشوف : عن ستالين

بعد ثلاث سنوات من وفاة الزعيم السوفيتي ستالين، ألقى السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفيتي، نيكيتا خروتشوف خطابا سريا أمام مؤتمر الحزب في عام 1959 عن مساوئ عبادة الفرد، ورؤيته للأدوار الإجتماعية ومفهوم القيادة، وأعلن فيه تنديده بممارسات ستالين وجرائمه وممارسات البوليس السري، كان الخطاب مباشرا وقويا ويعدّ العامل الأكبر في تدمير سمعة ستالين.

¹ - 8 من-أعظم-الخطابات-السياسية-في-التاريخ <https://acakuw.com> /

* نيلسون مانديلا : ولادة مجتمع إنساني، " وقت مداواة الجروح قد حان "

عكس ما قد يتوقعه البعض من رجل وصل إلى السلطة بعد سجن لأكثر من عشرين (20) عاما، في بلد شاهد أسوأ نظم التمييز العنصري، وقمع البيض للمواطنين السود. جاء خطاب تنصيب الزعيم الجنوب إفريقي الراحل، نيلسون مانديلا هادئا وحاسما ومركزا. وجّه خطابه إلى جميع المواطنين في بلاده ليشكل عهدا جديدا، قال عنه: "لن يحدث أبدا، أبدا، أبدا مرة أخرى، أن تشهد هذه البلاد الجميلة قمع أحد لآخر مرة ثانية"¹.

المطلب السادس : علاقة الخطاب السياسي بالسلطة :

يعدّ البحث في علاقة الخطاب السياسي بالسلطة من المواضيع الجادة التي حازت حيزا وافرا من النقاشات منذ أفلاطون إلى يومنا هذا، فالخطاب السياسي هو أداة للسلطة، إلا أن السلطة فيه لا تعني القوة بدلالاتها المادية بمعنى ممارسة أساليب الإكراه المادي بكل أشكاله من أجل فرض أمر الواقع وإنما تعني حسب الدكتور ميلود بلقاضي : * " ممارسته للقوة بطريقة شرعية بالمفهوم القانوني " فعلاقة الخطاب السياسي بالسلطة لا يمكن أن تتحقق إلا بوجود الدولة، هاته الأخيرة تحكمها مؤسسات وتمارس في ظلها السياسة دون سلطة ودون خطاب. ومعنى هذا، أن الخطاب شيء من الأشياء موضوع صراع من أجل الحصول على السلطة، فهو ليس فقط إنعكاسا للصراعات السياسية، بل هو المسرح الذي تستثمر فيه الرغبة، فهو ذاته مدار الرغبة والسلطة، وتكمن حقيقته في موقعه وفي إستراتيجية المتحدث به بحيث يذهب الإهتمام إلى الذي قاله ولماذا قاله ؟ من الذي يمتلك الخطاب، و لأيّ هدف أو غاية يستعمله ؟

فالخطاب السياسي يرتبط عادة بخطاب السلطة، وله صلة وثيقة بها، فهو أحد أكثر الأدوات أهمية بين تلك التي توظفها القوى السياسية. و هو خطاب السلطة هو " ما تصدره السلطة من إنتاج كلامي مكتوب أو منطوق أو رمز تعبيرى موجه إلى جمهور مستهدف أو مقصود، لإقناعه وتوجيهه إلى مقاصدها " ².

ويعدّ خطاب السلطة نوعا من الخطاب السياسي، فالخطاب السياسي خطاب ينتجه المفكرون السياسيون أو المشتغلون بالسياسة أو المهتمون بها، ويتناول موضوعا يتعلق بالسلطة أو الدولة.

¹ - 8من-أعظم-الخطابات-السياسية-في-التاريخ-<https://acakuw.com> /
² - الخطاب السياسي بين السلطة و سلطة الخطاب، ميلود بلقاضي 2011.

فالخطاب السياسي حسب الدكتور محمود عكاشة : " يصنعه سياسيون من داخل السلطة ومن خارجها، و خطاب السلطة يصنعه أصحاب القرار في الدولة أو القياديين فيها أو معدّون من داخل السلطة أو من حاشيتها"¹.

إنطلاقاً من هذا التعريف يمكن القول بأن الخطاب السياسي أعمّ من خطاب السلطة لأنه يشمل مجمل الإنتاجات السياسية للخطاب العام أو كل خطاب يتناول موضوعاً سياسياً أو قضية تتعلق بالدولة وسلطتها أو السياسة الخارجية، ويشمل أيضاً الإنتاجات السياسية والدولية لدى من إتخذ السياسة موضوعاً، وهم الأحزاب والمشتغلون بالسياسة من المفكرين والكتّاب والباحثين السياسيين ومعدّي البرامج السياسية.

أما خطاب السلطة، فهو خطاب ينتجه أصحاب القرار ومؤسسات الدولة الرسمية وغير الرسمية. فهو لا يعبر عن شخص قائله بل يعبر عن النظام الحاكم، أي النظام الشمولي الجماعي الذي تدعمه السلطة السياسية.

وفي هذا الصدد يقول محمود عكاشة : " يرى أصحاب هذا الخطاب خطابهم شرعياً أو دستورياً وما عداه هزلاً وكذباً. فخطاب أحزاب المعارضة حسب رأيهم غير شرعي لأنه ينقض خطابهم وكل خطاب معارض لا يعترف بالسلطة يعدّ مارقاً وتردّ عليه السلطة بخطاب يهدمه ويغيّبه وتصنع بديلاً له يعبر عن أفكارها وإرادتها السياسية "².

من هذا الكلام تظهر العلاقة، علاقة مزدوجة، مرتبطة ما بين الخطاب السياسي وخطاب السلطة، علاقة وطيدة تاريخية في توجيه الخطاب للمعنى السياسي وللممارسة السياسية، فمنذ الأزل يعمل الخطاب على توجيه المعنى وإبراز سلطة الخطاب، فهو الذي يفرض سلطته على الآخرين. وتأسيساً على ما سبق، يمكن القول بأن هناك علاقة بين السلطة والخطاب السياسي، فمن خلال تحليل السلطة يمكن الوصول إلى فهم الخطاب السياسي وأيضاً إلى فهم تحولاته المستمرة، بمعنى أن السلطة في حد ذاتها علاقة، و هذا هو تعريفها الشائع في العلوم السياسية حيث تعني : " قدرة

1 - الدكتور محمود عكاشة: "لغة الخطاب السياسي، دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الإتصال ط 2004/1، دار النشر للجامعات، القاهرة.

2 - الدكتور محمود عكاشة : " خطاب السلطة الإعلامي "، 2005، ص 29.

طرف (أ) على دفع طرف (ب) إلى فعل أشياء لا يفعلها في العادة ". وبهذه الصفة تتمحور علاقة السلطة حول ثلاثة محاور هي :

- ممتلك السلطة :

هو الشخص الذي يكون قادرا على ممارسة فعل سلطوي على الطرف الآخر.

- الخاضع للسلطة :

هو الطرف الذي تمارس عليه السلطة، أي الشخص الذي يقع عليه فعل السلطة.

- مجال الحياة اليومية :

الإطار العام الذي تتحدد فيه تفاصيل ويمكن أن نوضح ذلك بالمثال التالي : يمثل زعيم حزب سياسي الطرف الممتلك للسلطة. هنا يمثل كل أعضاء هذا الحزب الأطراف الخاضعين لسلطته وأوامره. وبطبيعة الحال يمثل النشاط السياسي مجالا لعلاقة السلطة.

ويمكننا القول أن العلاقة بين الخطاب السياسي والسلطة، علاقة جدلية تقتضي الطرفين معا.

فالسياسة هدف للسلطة، والسلطة وسيلة وهدف في الآن نفسه للسياسة.

فإذا كان الخطاب هو بعينه سلطة تمارس على المجتمع ومؤسساته ، فإنه أيضا إنعكاسا للسلطة وبمعنى آخر أحد عناصر السلطة، لأن هذه السلطة ليست خارج الخطاب؛ أي أن السلطة تعمل من خلال الخطاب ما دام الخطاب ذاته يشكل أحد عناصر الجاهزية الإستراتيجية لعلاقات السلطة¹ فالخطاب طريقة نظر إلى العالم، تنظيميا أو تمثيلا للتجربة الإيديولوجية في المعنى الطبيعي، فمن يملك الخطاب و يوجهه، يخلق المعنى و يبتدع الحقيقة ولو كانت متلبسة غير شفافة ، فالخطاب ليس ناتجا بالضرورة من ذات فردية يعبر عنها أو يحمل معناها أو يميل إليها ، بل قد يكون خطاب مؤسسته أو فترة زمنية أو فرع معرفي ما. والخطاب أيضا عملية عقلية منظمة متسقة منطقيا أو عملية مركبة من سلسلة العمليات العقلية الجزئية أو تعبير عن الفكر بواسطة سلسلة من الألفاظ والقضايا التي يرتبط بعضها ببعض. ولم يعد الخطاب طريقة للتعبير أو حديثا متساوقا، أو مجموعة عمليات فكرية مترابطة أو تحليلا لذات واعية تتأمل وتعرف وتعبر فحسب، وإنما أصبح

¹ - د. نصر حامد أبو زيد : "الخطاب و التأويل"، الناشر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2008، ص3، 14

إمكانا و شرط وجود ونظام، وأصبح حقلا تتمفصل فيه الذوات، ومجموعة علاقات تجد فيها مرتكز له.¹

ومن خلال ما سبق توصلنا إلى أنه يمكن تصوّر شكلين من العلاقة بين الخطاب والسلطة : خطاب السلطة وسلطة الخطاب، وفي بعض الأحيان يكون الخطاب في حد ذاته سلطة. ومن أهم العوائق التي يمكن أن تقف في وجه الخطاب هو عدم إمتلاك الحق في قول كل شيء، كما لا يستطيع الخطاب قول أي شيء، في أي ظرف من الظروف لأن هنالك موضوعات حساسة. إن مصطلح الخطاب متعدد المعاني، فهو وحدة تواصلية إبلاغية عن مخاطب معيّن وموجهة إلى مخاطب معيّن في مقام و سياق معيّنين، السلطة تعني القدرة على الأمر أو السيطرة عليه.

المبحث الخامس : الخطاب السياسي في علم اللسانيات :

من المفاهيم التي أثبتت جدارتها وفرضت نفسها على الحقلين الأدبي والنقدي، مفهوم الخطاب الذي إزدهر بقوة بظهور مباحث علم اللسانيات وما تلا ذلك من تطورات منهجية ونقدية، إمتدت لتشمل حقولا أخرى كعلم النفس والإجتماع وغيرها من العلوم والمعارف المعاصرة التي جعلت من تحليل الخطاب عمود أساسي لفهم و تحليل و مناقشة النصوص و القضايا والأفكار المطروحة وفق ما تمليه حدود وميكانيزمات التلقي والتأويل والتفكيك والتركيب، وكذا آفاق الحوار والتواصل.

والتراث العربي تحسس أهمية الخطاب و الدور التداولي الذي يعتبر أهم شروطه، مثلما نجد أسس النظريات اللسانية كامنة فيه. فإذا كان هذا الحقل الحديث اليوم قد إعتبر الجملة أصغر وحدات الخطاب، فإن الجرجاني منذ قرون يلمح إلى هذا المعنى بقوله بأن الكلام هو " المعنى المركّب الذي فيه الإسناد التام أو ما تضمن كلمتين بالإسناد"² وهذا المعنى المركّب له دلالات، هي التي يتم تبادلها بين أطراف العملية التخاطبية التواصلية، كما يؤكد ذلك النقد العربي الحديث الذي خرج من عصور الإنحطاط وإحتك بالنقد الغربي في مدارسه المختلفة، وبالإتجاهات الفكرية والفلسفية المواكبة لظهورها.

¹ - الزواوي بوغورة : " مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو " ، المجلس الأعلى للثقافة، ط2000، ص 247.

² - " التعريفات " ، الجرجاني ، تح إبراهيم الأبياري ، مادة (الكلام) ، ط2 ، ص 419 ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1992.

لقد لعبت اللسانيات البنيوية دورا كبيرا في تحديد مفهوم الخطاب، والذي إهتم به بشكل علمي جماعة الشكلايين الروس، الذين دعوا إلى تأسيس علم الأدب بالتركيز على الأدبية، أي ما يجعل من عمل ما أدبا. كما إنتقلت اللسانيات من الإهتمام بالجملة إلى الإهتمام بالخطاب بإعتباره متتالية من الجمل، " هاريس "، هو أول لساني حاول توسيع مجال البحث اللساني بجعله يتعدى دراسة الجملة على دراسة الخطاب، يعتبر الخطاب عبارة عن ملفوظ طويل، أو هو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجية التوزيعية، و بشكل يجعلنا في مجال لساني محض.¹

ويقدّم أصحاب "معجم اللسانيات" ثلاثة تحديدات للخطاب ((فهو، أولا يعني اللغة في طور العمل، أو اللسان الذي تتكلف بإنجازه ذات معيّنة، وهو يعني ثانيا وحدة توازي أو تفوق الجملة ويتكون من متتالية لها بداية و نهاية، وهو هنا مرادف للملفوظ. أما التحديد الثالث، فيتجلى في إستعمال الخطاب لكل ملفوظ يتعدى الجملة منظورا إليه من وجهة قواعد تسلسل متتاليات الجمل فتتداخل شروط لغوية وأخرى معرفية لصياغة الخطاب كمنظومة من الكلمات والجمل من جهته، وكرسالة موجهة إلى المتلقي من جهة أخرى؛ إذ أن الخطاب ((هو المجال الذي تكتسب فيه الوحدات اللغوية قيمتها الدلالية الملموسة، بعد أن كانت كيانا نظريا دالا بالقوة. فالمتكلم الباحث يلجأ إلى الجهاز اللغوي لبناء المعرفة التي يريد إرسالها إلى المتلقي عبر شبكة من التراكيب البنيوية المضبوطة في ظروف مادية معيّنة)).² فالخطاب عملة واحدة ذات وجهين متلازمين ومتكاملين، الأول أنه نظام من المعلومات والرموز، أي أنه يهتم جانب اللغة الموظفة وطبيعتها وتراكيبها والثاني أنه يتضمن محتوى أي مجموعة من المضامين والأفكار والأحاسيس. فهو رسالة من الباحث إلى المتلقي، يهدف إلى تحقيق التأثير و التواصل و إذا كانت اللسانيات قد إقتصرت على العلاقات اللغوية و اللسانية و البنيوية التي تنسجها الكلمات مع بعضها البعض، فإن حقولا أخرى تداركت الأمر كالسيميائيات التي جعلت من المكوّنات اللغوية و اللفظية مؤشرات تحيل على ما هو خارج النص و بالتالي، سيتجه الخطاب نحو قراءة ما وراء الكلمات بناء على نوع الألفاظ والمصطلحات الموظفة وصيغ التعبير، مع المراعاة على التلقي والتأويل.

1 - تحليل الخطاب الروائي ، سعيد يقطين ، ص 17 ، ط ، المركز الثقافي العربي ، 1988.

2 - محمد خلاف : " الخطاب الإقناعي " ، مجلة دراسات أدبية و لسانية ، عدد 5 ، 1986.

لقد سعت اللسانيات بالتدرّج إلى كشف الروابط القائمة بين المكونات محاولة تحليل الجملة باعتبارها أصغر وحدة تمثل الخطاب ، لكننا نعتقد أن كل الجهودات ظلت تدور في مجال لساني محض، إلى أن ظهرت السيميولوجيا التي فتحت النص على عدة عوالم نستطيع معها أن نتكلم عن تحليل الخطاب.

وقد ظهرت محاولات التمييز بين اللغة والخطاب عند دوسوسير نفسه الذي جعل الخطاب مرادفا للكلام، وبذلك جعل اللغة مجرد جزء من الخطاب. وهذا ما دفع أحد أبرز رواد تحليل الخطاب " يلمسليف "، إلى الإشادة بدور دوسوسير، لكنه اختلف معه كثيرا بتعمّقه في الموضوع. وقد درست اللسانيات التواصل بواسطة اللغة لكنها لم تعمق بداية النظر في الخطاب، ولم توسع مجاله، إذ ظلت أكثر إنشادا نحو المكونات الداخلية، رغم ما حاولته المدرسة التوزيعية بزعامة بلومفيلد، ثم هاريس، وما حاولته المدرسة التوليدية التحويلية مع تشموسكي. بالمقابل استطاع التحليل السوسيوولوجي للأدب مع الباقيين التوجه للإهتمام أكثر بالخطاب، حيث تلمس مفهومي الأدبية والحوارية، وبدأ الخروج من الجملة و وحداتها إلى التفسير السوسيولساني للخطاب، لتجد السيميائيات المعاصرة في جهودات المدرسة الشكلانية ما يضيء لها السبيل، وهي تبحث عن كل ما توحى إليه إشارات النص وعلاماته اللغوية. لذلك استطاع التحليل السيميائي التمييز بين المكونات اللسانية ومضمون الخطاب ودلالاته... وغيرها.

فسيميائيات التّواصل مع جاكسون ولوثمان، أصابت في تحليل الخطاب بتحديد أطراف عملية التّواصل وأبرز عناصرها؛ (البات- المتلقي- الرسالة- السنن- المرجع ... إلخ).¹ لا ينبغي أن يتوقف الخطاب عند الحدود اللسانية للجملة أو الفقرة أو النص، بل أن يتجاوز ذلك، بدون شك، إلى المضمون والمحتوى ثم إلى الخطاب إنطلاقا من خصائصه الفنية المتمثلة في الدرجة الأدبية فيه لذا، فإنّ تحليلنا للخطاب يجب أن يراعي إجتماع الخصائص اللسانية و القضايا الفكرية و الإعتبارات النفسية و الفنية.

وهذا الإجماع، هو الخطوة الأساس لفهم أيّ نص/خطاب، لكننا نعتقد أن تحليل الخطاب يجب أن يتجاوز كلّ هذا إلى ما هو أعمق بإعتماد الإستقراء والإستنباط والتأويل مع الإستعانة بالأدوات

¹ - محمد خلاف : " الخطاب الإقناعي " ، مجلة دراسات أدبية و لسانية ، عدد 5 ، 1986.

السيمائية المسهلة لفتح سبل الإشارات والدلالات والتأويلات التي تربط النص بكافة الأجواء والتي يتعلق معظمها بنفسية صاحبه و بخلفياته الفكرية والمعرفية والإيديولوجية وهذا يدفعنا إلى الإنفتاح بقوة على حقول علم النفس والسوسولوجيا والسياسة وغير ذلك.

هذه هي معظم مَحطات تحليل الخطاب والتي بدونها لا يمكن سير أغوار خطاب ما و فهم ما وراء السطور و التقاط شذرات المعاني والأفكار المشتتة بين ثناياه. وهذا ينطبق على الملفوظ الشفوي والخطاب المكتوب، بل وعلى كل وسائل التعبير والتواصل باللّغة والصورة وغيرهما، بالرغم من أنّ العملية صعبة وتستلزم شروطاً لعلّ أقلّها هو سعة الإطلاع إضافة إلى المواهب الذاتية التي يمكن أن تصل إلى حدّ الفراسة وأن يتمّ صقلها بالتمرّن.

فإذا أخذنا جملة، يمكن أن نجد أن الحدود اللسانية لا تكفي لسير أغوارها و تأويل دلالاتها ومعانيها، مما يستلزم الإستعانة ببعض الآليات :

أ- ألقى الرئيس خطاباً أعلن فيه تنحيه عن منصبه.

ب- ألقى الرئيس خطاباً لأنه تنحى عن السلطة.

فالجملة (أ)، تبدو سليمة لأنّ القضيتين فيها متلائمتان، فبسبب إلقاء الرئيس لخطابه هو رغبته في الإخبار بتنحيه عن منصبه.

أمّا الجملة (ب)، فتبدو فيها بعض القيود، لأن تنحي الرئيس عن منصبه ليس هو السبب الوحيد والأوحد كي يلقي خطاباً، لذلك فإنّها تحتمل وجهين، إذن من حيث التراكيب والنحو، فالجملتين صحيحتين ولكنّها مختلفة من حيث الدلالات. ومن هنا فإنّ الجوانب اللسانية والنحوية والبنوية لا تكفي لتأكيد سلامة الخطاب وفهم دلالاته.¹

أمّا إذا عدنا إلى الجملة المذكورة سابقاً وحاولنا إستحضار العديد من المعارف للقيام بتأويلها، فإننا سنصل إلى العديد من التأويلات أبرزها :

- يريد الرئيس أن يمارس خطاب الأقوياء، أي أنه هو الذي أعلن عن التخلي عن المنصب، وهنا أبعاد نفسية تتمثل في محاولة الظهور بمظهر التوازن والثقة في النفس وربما ذلك غير موجود.

¹ - عبد الرحيم الخلافي، أستاذ وباحث، "الخطاب و تحليل الخطاب"، أغادير، المغرب www.mahewas.org/s.asp?aid:212025

هذه القراءة تستمد من علم النفس ويمكن أن تصل إلى درجة التأثير النفسي الكبير في عامة الناس الذين قد تصفو عواطفهم نحو رئيسهم ويخرجون في مظاهرات تطالب ببقائه مثلاً. وقد يبقى فعلاً، أو يخرج مرفوع الرأس، فيبث رسائل مهمة إلى الداخل والخارج.

- علينا أن نبحث في ما وراء الخطاب من خلفيات وأحداث ومسببات، بحيث يمكن الغوص في الأحداث السياسية للبلد للوصول إلى تفسير العديد من الأشياء، و هنا يمكن وضع اليد على العلل مباشرة والتي قد تتمثل في ضغوط سياسية للمعارضة، أو في إحتقان سياسي و إجتماعي، أو فشل في السياسة الإقتصادية أو هزيمة عسكرية ... إلخ.

- وإذا كان من الممكن أن يكون التحي عن طيب خاطر رغبة في الوصول إلى مرحلة ديمقراطية أفضل، فإنه يمكن كذلك أن تكون التحية وسيلة للتحايل بحيث يهيئ هذا الرئيس لنفسه منصبا رئاسيا أكثر أمان وإستقرار من خلال إضفاء الشرعية المفترقة بواسطة إستفتاء حول الرئيس أو إنتخابات أو غير ذلك.

وهنا نكون قد إستعنا ببعض الأنثروبولوجيا والسوسيولوجيا في تحليل الخطاب والتي قد توصل تأويلنا إلى مسالك أخرى، منها أن هذا الرئيس يريد إحتواء معارضيه بعدما إشتدت شوكتهم، بتتحية نفسه بنفسه إستعدادا للعودة بصيغ أخرى، بدلا من أن ينحى أو يخرج مطأطأ الرأس. هكذا يمكن للمتلقى أن يؤول هذا الخبر / الخطاب بصيغ متعددة إنطلاقا من درجة وعيه وثقافته وقدراته على الفهم والتحليل، وطبيعة صلته النفسية بالباث التي تخضع لثنائية المد والجزر من شخص إلى آخر، وطبيعة وضعه الإجتماعي ودرجة إستفادته من الوضع القائم سياسيا وإقتصاديا وغير ذلك من مبررات.

نخلص من خلال هذه المحاولة أن تحليل الخطاب عملية هامة ومعقدة، لا تتوقف عند حدود القراءة اللسانية والنحوية والتركيبية، بل لا بد من الإستجابة إلى هذا التقاطع القوي مع علوم ومعارف متعددة والتي تمدنا بما يكفي من أدوات وآليات لقراءة الخطاب وتحليله وتأويله على الوجه المطلوب.¹

¹ - عبدالرحيم الخلاوي، أستاذ و باحث، "الخطاب و تحليل الخطاب"، أغادير، المغرب www.mahewas.org/s.asp?aid:212025

المطلب الأول : تحليل الخطاب السياسي :

تحليل الخطاب السياسي حقل معرفي يهتم بدراسة التّواصل السياسي في المجتمع سواء بواسطة النّصوص أو الكلام أو الصّور أو الإشارات أو الرّموز أو غيرها من العلامات. هدف تحليل الخطاب السياسي هو فهم كيف يعمل الخطاب السياسي، وكيف ينجز وظائفه التي تربط غالباً بالحصول على السّلطة و إضفاء الشّرعية عليها والإحتفاظ بها. ويتضمّن تحليل الخطاب السياسي تحليل بناءه اللّغوي و السيميوطيقي وأدائه و توزيعه وتلقّيه وتأثيره والإستجابة له.

تحليل الخطاب السياسي حقل معرفي بيني واسع تشترك فيه العلوم السّياسة ودراسات التّواصل و علم الإجتّماع و علم النّفس و اللّسانيات و البلاغة و العلوم المعرفية و الأنثروبولوجيا و غيرها. ويبدو هذا طبيعياً في ضوء كون الخطاب السياسي بوصفه ظاهرة إنسانية متعدّدة الأبعاد، لا يمكن الإحاطة به دون الإفادة من عدد المعارف التي تنتمي إلى المجال العام للدراسات الإجتّماعية والإنسانية.

إنّ أهمّ ما يميّز تحليل الخطاب السياسي، أنّه يظهر إهتماماً بعناصر الصّيغة والشّكل و فنّيّات القول وجماليّاته؛ يوازي إهتمامه بالأفكار والطروحات. ويرجع ذلك بشكل أساسي إلى تصوّر أنّ فحوى القول يتجلّى في شكل القول وأداءه؛ وهو التّصوّر الذي يمكن صياغته في عبارة أن الشّكل والأداء هو ذاته جوهر المحتوى، كما أنّ الإهتمام بكيفيات القول يسانده يقين بأنّ مهارات القول والأداء تلعب دوراً حاسماً في إنجاز القول لأغراضه.

شهد النّصف الثاني من القرن العشرين تطوّراً لافتاً في مناهج تحليل الخطاب السياسي وموضوعاته وأهدافه. فقد أصبح الخطاب السياسي موضوعاً للبحث عبر التخصصات وظهرت مناهج ومقاربات متنوّعة لدراسته. وتزامن هذا الإهتمام الأكاديمي المتزايد مع إنتشار وسائل الإتّصال الجماهيري، وما أدّت إليه من إتّساع مدى تأثير الخطاب السياسي، ومن تحوّلات عميقة في أبنيته ووسائطه و تداوله.¹

¹ - "تحليل الخطاب السياسي في العالم العربي ، التاريخ و المناهج و الآفاق"، عماد عبد اللطيف، أستاذ مشارك، البلاغة و تحليل الخطاب بجامعة قطر و جامعة القاهرة

وفي الوقت الراهن تتعدّد مناهج و مقاربات دراسة الخطاب السياسي ذات المنطلق اللغوي. وعلى سبيل المثال، قدّم كريست دولاندشير (Christh de landtsheer) (1998) * قائمة كبيرة من العلوم والمناهج والمقاربات المعنية بدراسة الخطاب السياسي، تتضمن البلاغة والإتصال السياسي وعلم النفس السياسي ودراسات الدعاية والمفردات السياسية، وعلم الدلالة التاريخي، والمعجميات السياسية، والدراسات الألمانية للغة السياسة، ودراسة اللغات الرسمية واللسانيات الإجتماعية وتحليل الخطاب، وفلسفة اللغة وما بعد الحداثة¹.

تعكس هذه القائمة ثراء دراسة الخطاب السياسي في الغرب وتعقدّها، كما توضّح مدى إتساع المقاربات اللسانية لتحليل الخطاب السياسي.

كما تنامي الإهتمام بالخطاب السياسي العربي في العصر الحديث، خاصّة مع إنتشار الوسائط الإعلامية و بزوغ عصر الجماهير.

وكان للخطاب السياسي أهميّة إستثنائية في ظروف تاريخية معيّنة، مثل المقاومة الشعبية الساعية للإستقلال، والحرب و الصراع على السلّطة السياسية.

فقد أدّت حركات الإحتجاج ضدّ الإحتلال إلى نشوء خطابات سياسية قومية ووطنية إستطاعت جذب إهتمام شرائح واسعة من الشعوب العربية. وعلى سبيل المثال كان الخطاب السياسي

المنطوق وسيلة لحشد الجمهور عند عبد الله نديم، ومصطفى كامل، وسعد زغلول ومكرم عبيد في مصر، و فرحات حشاد في تونس و علاّل الفاسي، مهدي بن بركة و عمر جلون في المغرب ومصالي الحاج وفرحات عباس في الجزائر وغيرهم في بلدان العالم العربي العديدة. تصاعدت شعبية هذه الخطابات و إتسع تأثيرها في الخمسينيات والستينيات مع تصاعد موجة القومية العربية وازدهار خطاب الدولة الوطنية.

وعزّز سياسيون مثل جمال عبد الناصر وهوّاري بومدين والحبيب بورقيبة شعبيتهم المحليّة والدولية بواسطة الصّورة الجماهيرية التي تشكّلت لهم بوصفهم خطباء أقوياء ومفهومين.

¹ - "تحليل الخطاب السياسي في العالم العربي ، التاريخ و المناهج و الآفاق"، عماد عبد اللطيف، أستاذ مشارك، البلاغة و تحليل الخطاب بجامعة قطر و جامعة القاهرة

*christ'1 de landtshee. Univesity of antwerg, antwerg political organization and parties, elections, public opinion and voting behaviour corporative politics.

وعلى الرغم من تزايد تأثير الخطاب السياسي، وإتساع مداه في عقود ما بعد الإستقلال، فإنّ الدّراسات العربية للخطاب السياسي لم تساير هذا الإزدهار، وكانت أقلّ بكثير من المتوقع. ويمكن القول عن الدّراسات العربية المعنّية بالخطاب السياسي الحديث قليلة بشكل ملفت بالمقارنة أولاً، بالدّراسات العربية التي عنيت بدراسة الأدب المتخيّل شعراً أو نثراً، و بالمقارنة ثانياً بالدّراسات التي أنجزت و تنجز عن الخطاب السياسي في لغات أخرى، وبالمقارنة ثالثاً بالدّراسات الأجنبية التي عنيت بدراسة الخطاب السياسي العربي.¹

المطلب الثاني : أهمية تحليل الخطاب في معالجة القضايا السياسية و الإجتماعية :

المقصود بتحليل الخطاب في معالجة قضايا المجتمع والسياسة، هو تناول هذه القضايا بمقاربة حديثة تتصل بالتحليل النقدي للخطاب الذي يربط بين بنية الخطاب وقضايا الإجتماعية والسياسية والثقافية، ويرصد مظاهر التفاعل بين الخطاب والمجتمع، وتحليله تحليلاً نقدياً. فاللغة ذات تأثير عميق في مسالك الحياة الإجتماعية والسياسية والثقافية، وهي ذات علاقة بالسلطة السياسية. وللخطاب اللغوي تأثير في إحداث التغيير الإجتماعي، وفي الإنتقال السياسي، بل اللغة جزء من الحياة الإجتماعية فبينها وبين عناصر الحياة الإجتماعية الأخرى علاقة منطقية جدلية، وفي كلّ تحليل خطابي ترجح كفة اللغة، ويتقدّم الخطاب اللغوي بوصفه الناطق الرّسمي بإسم المجتمع وقضاياها وظواهره، سواءً كان خطاباً تداولياً حجّاجياً يتوسّل بالإستدلال البرهاني أم كان خطاباً تخييلياً أدبياً يتوسّل بالقيم البلاغية والتعبيرية.

والمخاطب بمنهج تحليل الخطاب نوعان من القراء و الباحثين؛ الأوّل منهما الباحثون في العلوم الإجتماعية والإنسانية عامّة، والثاني الباحثون اللسانيون المشتغلون بلسانيات النصّ وتحليل الخطاب. ومع ذلك إلا أنّ البحث في مواضيع إجتماعية بأداة لسانية كتحليل الخطاب، يتعامل مع مواد لغوية هي الخطاب الواصف للظواهر والخطاب الناقد. وهي مواد لغوية ذات دلالات يسهم في دفع الأداة اللسانية إلى أن تنخرط في معاينة الظواهر الإجتماعية ومعالجة قضايا معيّنة كقضايا الثقافة والهويّة والمرأة والعدالة الإجتماعية والحرية وهجرة الكفاءات العلمية، وغيرها من الظواهر

¹ - " تحليل الخطاب السياسي في العالم العربي ، التاريخ و المناهج و الأفاق " . أ. عماد عبد اللطيف.

الإجتماعية والسياسية المتوالدة والمتجددة التي تولد ومعها حشد وركام من النصوص والخطابات الملازمة والواقفة والناقدة.¹

فعناية الباحثين الإجتماعيين بقضايا اللغة منذ أن بدأ مع رواد علماء الإجتماع الفرنسيين وهم يهتمون بإشكالية الرمز الجمعي، حيث وضعت اللغة لدراسة التصورات الجمعية. ولكن عالم اللغة النمساوي، فرديناند دوسوسير، هو الذي أتاح الفرصة لإعادة التفكير في أثر اللغة والرموز الجمعية في الحياة الإجتماعية، عندما نظر إلى اللغة بوصفها ظاهرة إجتماعية، وأن على عالم اللسانيات أن ينصت إلى المجتمع.

لكنه ظهر في النصف الثاني من القرن العشرين إهتمام بعلاقة جديدة لم يتطرق إليها دوسوسير : علاقة ممارسة اللغة بالتغير الإجتماعي، وقد بين تلك العلاقة فلاسفة لغة من أمثال أوستين و وينش الذين أكدوا أن " ليست اللغة إنعكاساً مباشراً للواقع، ولكنها تمارس وظيفة أكبر من ذلك في تشكيل الحياة الإجتماعية " .²

ثم أسهم باحثون إجتماعيون بعد ظهور الإتجاه البنيوي في درس الظاهرة اللغوية فبدأت تظهر أفكار متطورة في هذا السياق تنسب إلى عالم الأنثروبولوجيا، كلود ليفي ستروس - Claude Levi- Strauss وعالم الإجتماع، إيفرينغ غوفمان Evering Goffman. وما يمكننا قوله هو أن الخطاب فضاء واسع يستهدف فيه الخطيب، حمل المخاطب على الإقناع وذلك بالتوجه إلى العاطفة بوسائل الإستمالة وإلى العقل بالإستدلال. وتكشف وظائف اللغة عن الدور الكبير الذي تلعبه اللغة في تشكيل ثقافة المجتمع السياسية أو خطابه السياسي: فوضوح اللغة لدى الخطيب، وفهمه لطبيعة المستمع، تؤثران على مدى فاعلية عملية الإستماع.

¹ - حاتم عبيد في تحليل الخطاب، دار ورد الأردنية للنشر و التوزيع ، ط1، 2013

² - Austin , « How to think with words » , oxford , 1962 , university press

خلاصة

ممّا لا شكّ فيه، أنّ عمليّات التّأثير والتّأثر والتّفاعل الإجتماعي تقوم على عمليّة الإتّصال. و عملية الإتّصال هذه تقوم على أساس اللّغة، حيث تعتبر اللّغة من أهمّ وسائل الإتّصال التي يستخدمها الإنسان في التّفاعل مع غيره من بني جنسه ومشاركتهم خبراتهم. وقد أدت مشاركة الغير في خبراتهم والتّفاهم معهم باستخدام اللّغة إلى قيام مجتمعات ، ولكلّ مجتمع ثقافته التي تميّزه عن غيره.

ولمّا كانت اللّغة هي الأداة التي يستخدمها الإنسان في تفكيره والتّعبير عن وجدانيته وفهم رغبات الآخرين والتّعبير عن رغباته، أضحت محلّ إهتمام العلماء كلّ يدرسها من زاوية تخصّصه. إذ تناولها علماء الأنثروبولوجيا من ناحية الاختلافات اللّغوية من موطن إلى موطن، وتناولها المؤرّخون وعلماء علم الإجتماع من ناحية التّغييرات التي طرأت عليها، وتناولها النحويون والمؤرّخون وعلماء علم الإجتماع من ناحية التّغييرات التي طرأت عليها، وتناولها النحويون واللّغويون من ناحية قواعد اللّغة وتكوين الجمل وتركيباتها، و إهتم بدراستها علماء علم النّفس الإجتماعي لما يمكن أن تكشفه عن الوظائف النّفسية للإنسان بإعتباره الكائن الحيّ الوحيد الذي يستخدمها، حيث يدرسها العلماء في هذا المجال على أنّها الأداة الأساسية لإتّصال الإنسان بالغير. وممّا تجدر الإشارة إليه، أنّ معرفة الإطار المرجعي للآخرين أثناء تبادل الحديث معهم أمر في غاية الأهميّة، ولذا، نحن نجد أنفسنا أقدر على فهم أصدقائنا والتجاوب معهم أكثر من فهمنا للغرباء لأنّ الخبرة المشتركة بيننا تؤدّي إلى سهولة حلّ الشفرات المستخدمة.

إن اللّغة بطبيعتها نتاج إجتماعي ومرآة تعكس تاريخ الشعوب وإهتماماتها، بل هي الوسيلة التي تساعد على نقل التقاليد و تكوين الأهداف و مناقشة الإستراتيجيات والإجراءات. فهي تساعد على قيام التّنظيمات الإجتماعية البشرية وتعطيها إستمراراً في الزّمان والمكان، بل ويمكننا القول بأنّ أعظم ما إبتدعه الإنسان هو اللّغة كأداة للتّفاعل الإجتماعي و لنموّ الفرد و نموّ المجتمع.

وما الكلمات إلّا أدوات من خلالها نستطيع تجسيد المعاني والمفاهيم حتى يمكن إدراكها إدراكاً معقولاً فالكلمات هي وسيلتنا لتقديم ما يجول بخاطرنا من أفكار ورؤى مختلفة، وكلّما كانت القدرة على توظيفها، كلّما كانت الكتابة وحتى القراءة والإلقاء أجدراً بالإعتبار والإهتمام والتقدير بما تحمله من معاني ومضامين لها قيمتها وأهمّيّتها، وذلك ينطبق أكثر ما ينطبق على الكتابة الأدبية

بأشكالها المختلفة، مثلها مثل الكتابة الإجتماعية والكتابة السياسية التي تنال جانباً من هذه الصناعة لكنّها لا تقف عند حدود تقديم المعاني و إبرازها بقدر ما تهدف إلى المراوغة حسب الهدف أو حسب الموقف أو الفعل السياسي ذاته، إنّها مرتبطة إرتباطاً وثيقاً بالفعل السياسي ومتطلباته وضروراته، ولا يمكن فصلها عنه لأنّها تهدف إلى تقديم معلومات وتغليفها من ثمّ بما يمكن أن يكون دافعاً أو محرّكاً للحدث السياسي ليؤول به إلى ما ترغبه الكتابة.

وفيما تعتمد الكتابة على اللغة كوسيلة للتعبير عمّا نفكر به ونرغبه بل ونعارضه أيضاً أخذت تفرض سيطرتها وسلطتها. وسلطة اللغة أكثر ما تكون وتظهر في حلقات الصراع والتنافس والإختلاف وأصبح من ثمّ لها كياناتها الخاصة وتنوّعاتها حسب المواقف والتوجّهات، فكلّ يلعب بالألفاظ حسب مقدرته وقدرته على الجدل والحوار.

ولا أجد أكثر من الحوار السياسي إستخداماً لسلطة اللغة وتداعياتها المباشرة وغير المباشرة فقد أصبح لها مداخلها المرئية وغير المرئية، ولها نقاط ضعفها ومكامن قوتها وأوجه سيطرتها وهيمنتها وحالات تجددتها حيث نجد أنّ اللغة السياسية ممكنة التطور وذلك بإختلاف وإشتقاق مصطلحات جديدة تفرضها ضرورة الحالة التطورية التي تشمل كل شيء حتى السياسة ومواقفها. واللغة السياسية في الخطاب السياسي الحالي تعمل على تفنيح مضامينها بغضّ النظر عمّا يكون فهمه من ظاهرها فلا بدّ أن تكون لغة تفيد التوجّه والتّحديد أكثر ممّا تثير الشكوك والأوهام المختلفة لتستطيع تحديد معالم مواقفنا ومواقعنا، لتكون وسيلة لجمع الشمل وتوحيد الكلمة والأهداف، وحتىّ يكون الخطاب السياسي على المستوى الخارجي والداخلي معلوم المعنى والمضمون والغاية.

وبما أن اللغة هي مرآة المجتمع وتعكس صيغ الأخذ والعطاء وهي سلاح الفرد للدفاع عن نفسه وإيصال فكرته، فهل أدّت حقاً الدور المنتظر منها في المجال السياسي في وقتنا الحاضر ؟ و هل إستطاع الخطاب السياسي في الجزائر أن يرقى إلى مستوى الخطابات السياسية القوية أثناء الحملات الإنتخابية ؟ هل تشكّل المرأة موضوعاً للخطاب السياسي الجزائري ؟ هل هي مرسل إليه، وبالتالي ستكتفي بتلقّي رسالة هذا الخطاب فقط أم هي مرسلة وصانعة لهذا الخطاب أيضاً ؟ هذا ما سوف نتطرّق إليه في الفصل الرابع من الرسالة.

الفصل الرابع

الخطاب السياسي في الجزائر

فهرس الفصل الرابع الخطاب السياسي في الجزائر

144.....	تمهيد
147.....	المبحث الأول : الإنفتاح السياسي :
147.....	المطلب الأول : الأحزاب السياسية :
150.....	المطلب الثاني : الأحزاب السياسية داخل الحقل السياسي :
153.....	المطلب الثالث : وظائف الأحزاب السياسيّة :
157.....	المبحث الثاني : آليات الإنتقال إلى التعددية السياسيّة في الجزائر :
158.....	المطلب الأول : السلوك الإنتخابي في الجزائر :
160.....	المطلب الثاني : الوضع الحزبي و مستقبله في الجزائر :
161.....	المطلب الثالث : القيادة السياسية كأحد مداخل تحليل النّظم السياسية :
169.....	المبحث الثالث : الأحزاب السياسيّة في الجزائر و مدى مساهمتها في خلق ثقافة سياسيّة، جماهيرية مشاركتيّة :
170.....	المطلب الأول : المشاركة السياسية :
172.....	المطلب الثاني : التحوّل الديمقراطي في الجزائر بين التحدّي و الطّموح :

.....173.....	المطلب الثالث : دور الأحزاب السياسية في التغيير :
.....174.....	المبحث الرابع : المرأة و المسار الديمقراطي في الجزائر :
.....179.....	المطلب الأول : أهمية المشاركة السياسية للمرأة :
.....185.	المطلب الثاني : التمثيل السياسي للمرأة الجزائرية في المجالس المنتخبة :
.....195.....	خلاصة

تمهيد

لا يختلف إثنان في أن جوهر الإيديولوجيات التي تسمى بالسياسة، هي أفكار وقناعات يؤسس لها أناس بحسب ملكتهم الذهنية و العقلية، كما لا يختلف إثنان في أن التركيبة البشرية وخاصة الغرائزية هي التي تدفع بالإنسان دائما إلى رغبة البروز والظهور وإثبات الذات. وهو ما حسبه الإنسان دوما سببا من أسباب وجوده، وعليه ألقاه مدافعا عن أفكاره بكل السبل وهو ما يولد عادة الحروب والنزاعات بين الأقوام والبشرية للتلذذ فيما بعد بنشوة الغلبة والانتصار.

ولم يكن فنّ الخطابة منذ نشأته وسط النسيج الحضاري بمنأى عن هذا، فسعى إلى التأسيس له وإدراك تقنياته وآلياته من أجل نفس الغرض وهو إثبات النفس والوجود.

وإذا ما جمعنا بين مفهومي الخطاب كونه عملية أداء تواصلية تفيد الإقناع والتأثير على متلقي آخر، وعلى أن السياسة هي كل موضوع له صلة بشأن أو أمر من أمور السلطة والدولة، فإننا نقف على حقيقة أن الخطاب السياسي إذن هو الجمع بين المؤديين ليضحى أحد السلوكات اللصيقة بفنّ ممارسة السياسة. وعليه فلنا أن نقول بأن الخطابات السياسية إذن " هي التي تخص أمور الرعيّة لسنّ القوانين وتنظيم الدوائر الرسمية، وهي من أصعب أنواع الخطب، لأن حركات الأمة نتيجة المدّ و الجزر هي بسبب سيطرة الأفراد على الجمهور، أو الجمهور على الأفراد، فيتبع الخطيب هذه الأمواج أمرا من القوم أو خاضعا لرغباتهم " ¹.

ولقد أدرك المعاصرون أن علم السياسة هو إناء إيديولوجي وفكري تصب وتنهل منه العلوم الأخرى، هذا من جهة، وهو أيضا مجموع أفعال وسمات يمتاز بها أصحابها. وحين نتكلم عن الفعل هنا، فإننا نريد به السيكولوجية والتركيبة الإجتماعية وحتى الأنثروبولوجية لأهل السياسة، ولن يتأتى سبيل الإدراك هنا إلا من خلال الإحاطة بمجموع هذه الأفكار و السلوكات. والخطاب السياسي هو إحدى هذه الأفعال و السلوكات التي تستدعي البحث في جوهره وظاهره بغاية الإلمام به.

فنحن لا نتوقع بأن يلقي أيّ خطيب رسالة نحو متلقي، وأن يكون جاهلا بخصائص ذلك المتلقي لأن الخطاب السياسي ينفرد بخاصية الإقناع أكثر من أيّ نوع من الخطب الأخرى. والإقناع هنا، ليس

¹ - الشيخ علي محفوظ، فن الخطابة و إعداد الخطيب.

بالضرورة أن يكون هو الحقيقة، بل هو المسألة التي يقبلها المتلقي قبل أن يصل به المخاطب إلى النتيجة والتي هي الحقيقة المبرهن عليها في ذهن المتلقي. لأن، كلما كانت لغة الخطاب مشوشة، فإن مضمون الخطاب الذي تحمله أو تطمح إلى أدائه، يصل إلى المرسل إليه مشوشا أو منقوصا أو عكس مرتجاه وضد معناه.

فعندما نسمع السياسي بصفة عامة، والسياسي الجزائري بصفة خاصة يتحدث، مهما كانت طبيعة موقعه في السلطة أو في الهامش أو في المعارضة، فإننا ندرك أحيانا عجز لغة الخطاب على توصيل ما تريد أو ما لا تريد.

إن صناعة لغة الخطاب السياسي، هي أساس صناعة الثقافة السياسية، فلا سياسة بدون لغة واعية لدورها وواعية لخارطتها البشرية، وجزء كبير من إخفاق الأحزاب السياسية، هو ناتج أصلا عن عطب في لغة الخطاب المستعملة لدى وكلاء هذه الأحزاب والمستقبل لهذا الخطاب بهذه اللغة التي قد تكون مشوشة، هو أيضا من جرّاءها يعيش حالة من القلق ويظل في حالة من الغموض. ومن جرّاء هذه اللغة المستعملة في الخطاب السياسي، فإننا نشعر وكأن الطبقة السياسية الجزائرية، توجه خطابها إلى شعوب مختلفة ومتعددة، أي أنها لا تخاطب شعبا واحدا، وهنا يكمن الإخفاق السياسي ويكمن العطب البنيوي.

إن اللغة المعطوبة هي سبب في خلق الكثير من المشاكل والخلل ما بين الحاكم والمحكوم، فهي بالتقدير الذي يمكنها أن توصل الرسالة وتبلغ القصد، فإنها أيضا قد تخطيء هدفها من حيث ضعف بنيتها أو عدم تمكّن صاحبها من زمام الأمور، فتخلق حالة من الردة.

بشكل عام، لغة الخطاب السياسي المستعملة من قبل طبقة سياسية ما، هي لغة غير بريئة، فهي إذ تكشف لنا عن خلفيات و مرجعيات الطبقة التي تنتج هذا الخطاب، فهي تبين لنا في الآن نفسه عن إلتناء الجهة الموجهة إليها.

وحيث تكون هناك أزمة في لغة الخطاب السياسي أو حتى الإداري، فإن التبليغ يكون ضعيفا أو يكون عكس ما يبتغيه صاحب الخطاب، وهذا هو الحاصل في مشهد لغة الخطاب السياسي عندنا.

فهل هناك أزمة في الخطاب السياسي الجزائري ؟

وهل أزمة الخطاب السياسي في الجزائر هي أزمة لغة ؟

وهل لغة الخطاب لدى الطبقة السياسية الجزائرية هو سبب توسيع الهوة بين المرسل والمرسل إليه؟

وهل القلق الذي تعيشه الطبقات الشعبية هو ناتج عن خلل في لغة الخطاب السياسي في بلادنا؟
وهل كان للخطاب السياسي الأنثوي صدى لدى الجماهير أكثر منه إلى الخطاب الذكوري؟
وهل هناك فرق في صياغة و قراءة الخطاب السياسي بين الرجل و المرأة؟

المبحث الأول : الإنفتاح السياسي :

تعدّ الإصلاحات الدستورية التي عرفتها الجزائر منذ إقرارها لدستور التعدّدية السياسيّة والحزبية سنة 1989، والقوانين و التّعديلات الدستورية ذات الصّلة بذلك، نقلة نوعية هامّة ضمن حلقات تطوّر الممارسة السياسيّة في الجزائر. فقد نصّت تلك الإصلاحات على العديد من القيم ذات الفكر الديمقراطي والإنفتاح السياسي، كإتاحة الفرصة لجميع القوى والجماعات والأفراد للتنافس دون قيد، والإحتكام إلى صناديق الإقتراع كوسيلة محايدة لتحديد الأوزان النسبية للمتنافسين في إطار ديمقراطي.

فالإصلاحات التي أعقبت الإقرار للتحوّل نحو التعدّدية السياسيّة في الجزائر، أثّرت وبشكل واضح في القانون الفاعل في الحياة السياسيّة والإجتماعية منذ الإستقلال، والمتمثّل في ضيق مجال الممارسة السياسيّة.

فلقد برزت نخب سياسيّة وإجتماعية جديدة طموحة و متنوّعة بتنوّع مكونات المجتمع الجزائري، مما أثّر في طبيعة الثّقافة السياسيّة، وذلك يدفعها لتكون ثقافة تعدّدية تقرّ بمبدأ الحوار والتفتّح على الغير وبالحقّ في الإختلاف.¹

والممارسة السياسيّة تثير في جانبها وبعدها الإيجابي إلى إشراك فئات المجتمع المختلفة في النّشاط السياسيّ والعمليّات السياسيّة المختلفة عن طريق المؤسّسات والآليات الرّسمية وغير الرّسمية للدولة وللمجتمع؛ وتبدأ من المشاركة المباشرة عن طريق الإنتخابات لإختيار الحكّام وممثلي الشّعب في البرلمانات وفي المجالس المحليّة لتصل إلى المشاركة عن طريق الأحزاب السياسيّة ومؤسّسات المجتمع المدني وقنوات الرّأي المختلفة، كوسائل الإعلام في إدارة الشّأن العام داخل الدولة.

المطلب الأول : الأحزاب السياسيّة :

إنّ التطوّر السياسيّ الذي قاد إلى ميلاد الأحزاب السياسيّة، أعاد في الواقع توزيع الأوراق بين مجتمع سياسي متمرّس، ومجتمع مدني ناشئ.

¹ - د. صالح زياتي، قسم العلوم السياسيّة، كلية الحقوق، جامعة باتنة (الجزائر). "الإنفتاح السياسي في الجزائر و معضلة بناء قدرات آليات الممارسة الديمقراطيّة".

وبمقتضى ذلك، أصبحت معادلة السّلطة السّياسية والتّمثيل الشّعبي رهان جديد تسعى من خلاله الأحزاب للمحافظة على المكتسبات التي جاءت بها مختلف الثّورات الفكرية والسّياسية التي تجسّدها الدّيمقراطية¹.

وتعتبر الأحزاب السّياسية ظاهرة عرفت ميلادها مع مطلع القرن التاسع عشر، وعرفت تنامياً سريعاً قادها في النّهاية لتصبح صاحبة الدّور الأساسي في الأنظمة السّياسية على إختلاف أشكالها، لكنّ الملفت للإنتباه في هذه الظّاهرة، أنّها لم تعرف نفس المسار التّطوّري في جميع البلدان، وهذا ما يخلق بالطّبع تذبذباً في نموّ الأحزاب وتطوّرها من منطقة إلى أخرى. فهناك من الأحزاب ما يمكن القول عنها، إنها ذات نشأة أصيلة، ونقصد بذلك أنّها عرفت مساراً تطوّرياً خاصاً، قاد في النّهاية إلى تبلورها. وهناك من الأحزاب التي ظهرت في البلدان المتخلّفة تحت دفع التجربة الإستعمارية وأفكارها، وهذا إما كطريقة لإحتواء هذه الشّعوب المستعمرة، بخلق أحزاب سايسيّة تخدم مصالحها، وإمّا بظهور نخب محلّية مالكة لثقافة سايسيّة جعلتها تدرك أن الحلّ الوحيد للدّفاع عن مصالحها، هو إنشاء أحزاب سايسيّة تمارس النّشاط السّياسي داخل النّظام الإستعماري سعياً منها لبلورة الإستقلال الوطني من جهة، وتوحيد الأُمّة حول القضيّة الوطنيّة من جهة ثانية.

والجزائر على غرار الدول المتخلّفة، لم تعرف الظّاهرة الحزبية عبر ما يسمّى بالمجموعات البرلمانية ونشاطها السّياسي، كما حدث في الغرب عموماً. فخضوعها للإستعمار، جعلها تعرف هذه الظّاهرة بشكل من الأشكال، كنتيجة لتطور الوعي الوطني داخل الدّولة الإستعمارية والتي بوعي أو بغير وعي إستطاعت أن تخلق مفهوماً للدّولة الجزائرية كجوهر مغاير للدّولة الفرنسية، ووطّدت هذه الفكرة تجربة الثّورات الشعبيّة الفاشلة عسكرياً في رفضها لدمج الأُمّة الجزائرية داخل الأُمّة الفرنسيّة.

وتعتبر تجربة الثّورات الشعبيّة الفاشلة عسكرياً أهمّ العوامل التي قادت الجزائريين لإعادة النّظر في إستراتيجية التخلّص من الإستعمار، حيث بدأ التّفكير الجدّي عند النخبة الجزائرية في حلول جديدة يتّم من خلالها كسب حقوق سايسيّة ومدنية مساوية لفرنسيي الجزائر، ويبدو أن فكرة الحزب

¹ - الظّاهرة الحزبية في الجزائر، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في العلوم السّياسية و العلاقات الدولية، فرع التنظيم السّياسي و الإداري ، إعداد الطالب توازي خالد.

السياسي الذي أصبح يحتلّ مكانة عالية في الأنظمة السياسية، أخذت مكانها لتحدث إجماعاً عند مختلف الإتجاهات السياسية، لجعل الحزب الوسيلة التي يتمّ من خلالها هيكله مختلف المطالب في قالب شرعي ومشروع¹. ونتج عن ذلك بروز عدّة تشكيلات سياسية كان أبرزها، التيار الوطني الإستقلالي.

فالتطور السياسي الذي عرفته الجزائر أثناء العهد الإستعماري تمخضت عنه تعددية سياسية حزبية، عاكسة ومعبرة للتباين الإجتماعي الذي كان يطبع الجزائر؛ وشكّل ثورة نوفمبر 1954، نقطة تحول في المسار التطوري الجزائري. فمن جهة وضعت تلك الثورة أسس الدولة الجزائرية الحديثة، كما أنها أنهت العهد الحزبي التعددي من جهة ثانية على إعتبار أن الثورة جمعت مختلف الأحزاب والتيارات في جبهة واحدة ضد الإستعمار قصد الوصول إلى هدف مشترك، وهو الإستقلال الوطني.

وفي الوقت الذي حقق فيه الإستقلال، كان الجميع ينتظر العودة إلى التعددية السياسية التي طبعت الجزائر قبل 1954، فلقد عبّرت الخيارات السياسية التي أفرزها مشروع طرابلس آنذاك عن تبني فكرة الحزب الواحد "الطلائعي" القائد للتنمية. وفي وقت إختارت شخصيات الإنضواء تحت لواء جبهة التحرير الوطني، أبدت شخصيات أخرى رفضها لهذا الخيار، وسعت بكلّ الطرق لتغيير ذلك بطرح نفسها كبديل عن الوضع القائم آنذاك.

وبهذا، يمكن القول أنّ التجربة التعددية في الجزائر، عرفت إنتكاسة وإنتظرت مختلف المراحل التي مرّ بها الحزب الواحد، ومختلف التحوّلات الداخليّة والخارجية التي ميّزت الحياة السياسية والمجتمعية في الجزائر، لتعود إلى الواجهة عبر أحداث أكتوبر 1988 والإصلاحات التي رافقتها، والتي مهّدت الطريق لدخول الجزائر عهد التعددية السياسية والمنافسة السياسية الحرّة عبر الإنتخابات، تجسيدا لمبدأ السيادة الشعبية ومبدأ التّداول على السلطة.

ولقد شكّلت الإنتخابات في الواقع، حقلاً للتعبير الحرّ عن الرّأي السياسي، من مختلف الشرائح الإجتماعية، و عبر تشكيلات سياسية متباينة التوجّهات.

¹ - jean noudouin « Introduction à la science politique », 3^{ème} édition, Paris : Dalloz, 1992.p 75.76.

المطلب الثاني : الأحزاب السياسية داخل الحقل السياسي :

إنّ ظهور الأحزاب السياسية يرتبط بشكل دقيق مع الديمقراطية التمثيلية، ومع ظهورها تمخّضت ممارسة سياسية مضمونها أنّ الحزب يؤكد إستقلالية الفرد، وقدرته على بناء النّظام العام؛ وتتخذ هذه العمليّة أشكالاً مختلفة عبر الأحزاب السياسية التي تعرف تنوّع يتماشى وطبيعة الرّأي العام من جهة و التوجّه أو الخطّ السياسي أو من حيث التركيبة أو التنظيم من جهة ثانية. ويتخذ هذا التنوّع في الحقل السياسي تميّز في طبيعة الأحزاب السياسية، فتصنّف على أساس إيديولوجي أو على أساس تنظيمي بنيوي أو على معايير أخرى؛ و لهذا الغرض، جاءت دراسة الأحزاب داخل الحقل السياسي لتوضيح النّماذج أو الأنماط التي يمكن أن تفرزها الحياة السياسية والأوضاع التاريخية وفي هذا المجال تشكّل الدّراسة التي جاء بها * ديفرجي، حول الأحزاب السياسية، الأساس الذي تعتمد عليه مختلف الأبحاث في مجال الأحزاب السياسية، وهذا لأنّه يقدم دراسة تركز على البنى الداخليّة للأحزاب السياسية كأساس للتّفريق بينهما، وينتهي إلى وضع تصنيف يميّز بين أحزاب الأطر و أحزاب الجماهير.

أحزاب الأطر :

عند الحديث عن هذا الشّكل من الأحزاب، تجدر الإشارة أنّها أحزاب أعيان، وهي الأقدم تكويناً حسب ديفرجي بالنّظر إلى التّنظيمات التي اخترعت الأحزاب السياسية. ولهذا النمط من الأحزاب خصائص تنفرد بها وهي :

- إنّها أحزاب لا تبحث عن زيادة عدد المنتسبين، وهذا الأمر لا يمثّل بشكل من الأشكال عنصر ضعف فيها، لأنّ نمط الحياة السياسية القائم على الانتخابات يعطي أهميّة أكبر للنّخبين، وعليه تسعى أحزاب الأطر إلى إنتساب الأشخاص ذوي النّفوذ والتّأثير، وهذا ما يؤمّن لها التّأثير القويّ على النّخبين من خلال إنتساب الأفراد القادرين على التّأثير في إختيارات الآخرين، ومن ثمّ تصل إلى درجة عالية من الفعالية كما لو كانت قد توجّهت مباشرة إلى المواطنين.

* : Duverger (Maurice) les partis politiques, France : édition Armand Colin 1952.

- السمة الثانية لهذا النمط من الأحزاب هي أنها ذات بنى مرنة وبتعبير آخر، فإنها تتميز بتنظيم ضعيف، وهذه الميزة نابعة من طبيعة أو أصل من يكونها، إذ يتميز الأعيان بالفردية وعدم الانضباط، فهم يعتقدون أن النشاط السياسي طريقة أو شكل آخر لزيادة نفوذهم و تأثيرهم. وعليه، وبمجرد أن يصبح الإنتماء إلى الحزب ثقيلاً عليهم يتركونه، وهذا ما يخلق تنظيماً ضعيفاً وينتج عن هذا الضعف لا مركزية.

- السمة الثالثة لأحزاب الأطر هي هيمنة القمة على القاعدة، وتجسده السلطة في قدرة عضو البرلمان على العمل في دائرته الانتخابية بصفته السيد الحقيقي للمستويات الأدنى للحزب، وليس كمندوب لأعضاء، يتولى سلطة القيادة من خلال عملية إنتخابية وسلطة رئيس الحزب غير خاضعة للنقاش، ويخول له إتخاذ القرارات بشرط أن لا تكون هذه القرارات منافية أو مخلة بالنظام العام.

وجملة القول حول أحزاب الأطر، هو أنها ذات بنى ضعيفة، وذات طابع إرستقراطي محافظ إن صحّ التعبير.

أحزاب الجماهير :

وهي أحزاب ظهرت في نهاية القرن التاسع عشر حسب ديفرجي¹، مع بروز الأحزاب الإشتراكية، وتتميز هذه الأحزاب بسمتين أساسيتين تجعلها مناقضة لأحزاب الأطر، فهي تقوم على إنخراط أكبر عدد من المناضلين، إضافة إلى قوة تنظيمها.

- تتميز أحزاب الجماهير بسعيها إلى تنويع الإنتساب بهدف إعطاء تأثير سياسي لعامة الناس أو البروليتارية، سعياً منها لإيقاظ الحس المدني، أو وصولاً بالعامة إلى درجة الوعي السياسي، فهي تقوم بدور تربوي يسمح للمناضل داخل الحزب من التعلّم ورفع مستوى وعيه السياسي، وبهذا تراجع دور الأعيان في التأثير عليه كما يستجيب إنتساب عدد كبير من المناضلين لضرورة عملية. فأحزاب الأطر تستطيع أن تموّل نفسها، بفضل ثروة أعضائها، أمّا الأحزاب الثورية، فإنها لا تستطيع الإعتماد على نفس الإسهامات، ومن هنا تأتي ضرورة الإشتراكات الضئيلة القيمة، ولكن الكثيرة والمنتظمة.

¹ - Ibid-p.77-78

- السمة الثانية في أحزاب الجماهير أنها تتميز ببنية تنظيمية قويّة، وهذه السمة نابعة من السمة الأولى، إذ من الضروري تأطير المنتسبين الجدد ومراقبة الإدخالات والإخراجات والوقوف على الإنضباط الداخلي وجمع الإشتراكات. كما أنّ الغاية التربوية للحزب تقتضي أن يسند التكوين السياسي للمنتسبين الجدد، إلى مسؤولين ذوي تأهيل عالي، يقومون بدور رقابي في الوقت ذاته. وبهذا، يكون الحزب الجماهيري مناط بأدوار عديدة تشابه، إدارة الدولة كالتربية الرقابة، القضاء؛ ... وللقيام بهذه الأنشطة، يستعين الحزب الجماهيري بالمتفرّغين وعلى فئة من الموظفين السياسيين التي تتميز بتأطيرها للمنخرطين، وتنظيم الحياة الداخلية للحزب، وبهذا تتكوّن بيروقراطية حزبية تسمّى في غالب الأحيان جهاز الحزب لأنّ تلك الفئة تكرّس نفسها للقيام بالمهام الموكّلة إليها، و بمقتضى ذلك تتقاضى أجراً كاملاً من الحزب، وبهذا يحاول الحزب إستنساخ البنية الحكومية في الدولة الديمقراطية، فهو يتمنّع بسلطة تنفيذية، وسلطة تشريعية.

ومن خلال التحليل الذي قدّمه ديفرجي حول تصنيف الأحزاب السياسية، يمكن القول أنه يعبر عن مرحلة تاريخية، سياسية وإقتصادية خاصّة. غير أنّ ما يعاب عنه، أنّه تجاهل معطيات كثيرة حسب الكثير من الباحثين بداية من كونه ينظر إلى العالم بمنظار واحد، إذ تؤكّد الدراسات في مجال تصنيف الأحزاب السياسية أنّ التحوّلات السياسية والإجتماعية التي رافقت الحرب العالمية الثانية، مهّدت الطريق لظهور أنماط جديدة من الأحزاب.

فإلى جانب أحزاب الأطر وأحزاب الجماهير يقدم " أوتو كيرشهايمر "، نوعاً آخر للأحزاب السياسية، و يسمّيها الأحزاب التي تلتقط كلّ شيء " catch all parties " ¹. و يتميز هذا النوع من الأحزاب بأنّه يحاول أن يغطّي النقص الذي تركه نموذج ديفرجي وهي نوع من الأحزاب التي ليست بأحزاب التمثيل الفردي مثل أحزاب الأطر ولا هي أحزاب الدمج الإجتماعي بنفس درجة أحزاب الجماهير، فهي أحزاب عدّة طبقات، ضعيفة البعد الإيديولوجي و ذات طابع تقديمي، كما توجد هذه الأحزاب في اليمين و اليسار و حتّى الوسط.

ويأتي التحليل الذي جاء به "جون شارلو"، في دراسته لتصنيف الأحزاب السياسية في نفس السياق، حيث خرج بتصنيف ميّز فيه بين ثلاث أشكال للأحزاب السياسية؛ هي أحزاب الأعيان

¹ - Michel offerlé, les partis politiques, paris : presse universitaire de France, 1987, p 12

وهي بشكل من الأشكال أحزاب الأطر حسب التحليل الديفرجي، وأحزاب المناضلين، وهي صورة مطابقة لأحزاب الجماهير. في حين يعتبر الشكل الثالث الذي أطلق عليه أحزاب الناخبين صورة لما سمّاه "أوتو كيرشهايمر" بالأحزاب التي تلتقط كلّ شيء، وحسب طرحه، فأحزاب الناخبين ليست لها إيديولوجية واضحة مثل أحزاب الأعيان، لكن هدفها الانتخابي يجعلها تخلق شبه آلة إنتخابية، وبنية قويّة على نفس شكل أحزاب الجماهير. ويؤكّد جون شارلو أنّ مثل هذه الأشكال من الأحزاب، قائمة في المجتمعات المتقدّمة، في حين يرى "أوتو كيرشهايمر" أنّ الأحزاب التي تلتقط كلّ شيء هي أحزاب المناسبات الإنتخابية.¹

إلى جانب هذه الإنتقادات التي حاولت تغطية تحليل ديفرجي حول تصنيف الأحزاب هناك طرح كلاسيكي يركز على تصنيف الأحزاب السياسيّة على أساس إيديولوجي أيّ أحزاب اليمين وأحزاب اليسار، وظهرت هذه التّقسيمات أثناء الثّورة الفرنسية. ورغم الإختلاف القائم في مجال تصنيف الأحزاب السياسيّة، إلا أنّ الجميع يتفق أنّ الأحزاب أنواع، وهذا رغم تباين صنف عن آخر، وتباين طرح عن آخر، ومن ثمّ فإذا كانت الأحزاب أنواعاً، فهذا يعني بالضرورة تعدّد نظمها في الدّيمقراطيات المعاصرة، ومن ثمّ يكون النّظام الحزبي محدّد إلى حدّ بعيد لمعالم الحقل السّياسي و النّشاط الحزبي. وعليه يمكن تعريف النّظام الحزبي على أنّه "النّسق النّاجم عن العلاقات المستقرّة بين الأحزاب البرلمانية الممثلة داخل الغرفة البرلمانية في حالة التعدّدية. أمّا في حالة الأحادية فهو النّسق الشّامل النّاجم عن الحزب الحاكم وحده أو على رأس جبهة شعبية".²

وبهذا يكون النّظام الحزبي محدّد بعدد الأحزاب السياسيّة في البلد الواحد، ومدى قدرتها على التّأثير في عمل المؤسسات الدّستورية وطريقة قيامها بوظائفها.

المطلب الثالث : وظائف الأحزاب السياسيّة :

تؤكّد الدّراسات أنّ الأحزاب أدوات وآليات لا غنى عنها في الدّيمقراطيات الحديثة، لأنّها تقوم بوظائف تهّم الحياة السياسيّة والمجتمعية، ويمكن حصر هذه الوظائف فيما يلي :

¹ - André Akoun et autres, opcit, p 384.

² - Guy Hermet et autres, « dictionnaire de la science politique et des institutions politiques », Paris Armand Colin, 1994, p 196 .

أولاً : الوسيط المعبر عن الإرادة الشعبية :

يقوم الحزب في الحقل السياسي بتوجيه الرأي العام و تكوينه، وعند قيامه بهذه العملية يسعى إلى توطيد نفوذه، إمّا بكسب ثقة المواطنين في حالة ممارسته للسلطة، وإمّا بالضغظ على الحكومة في حالة المعارضة. وعند وصوله إلى ذلك، يصبح هو المعبر عن الرأي، وعلى هذا النحو يصبح وسيطاً بين السلطة والرأي العام. وقيامه بهذا الدور، فهو يقوم بوظيفة منبرية " Fonction tribunitienne"، حسب جورج لافو¹ لأنه يسعى إلى رفع مطالب المواطنين إلى أعلى هيئة حاكمة، وهذا ما يؤكده التحليل النسقي الإيستوني عبر المطالب التي تعالج داخل العلبة السوداء - فالفرد لوحده لا يمكن أن يؤثر في النظام السياسي بصفة فعّالة -، وبهذه الطريقة يصبح الحزب قوة تعبّر عن المصلحة العامة من خلال المصلحة الخاصة للفرد، ومن ثم يكون الحزب قد هيكل الأفراد والجماعات المختلفة و مكنها من التعبير عن مطالبها بصفة منظمة و فعّالة. وسعيًا إلى أكبر درجة من الفعّالية، يقوم الحزب بتجميع مختلف المطالب التي يهيكلها في قالب سياسي معبر عن الأفكار المشتركة لهؤلاء الأفراد، وبهذا يكون أحد عوامل إستقرار النظام السياسي، وواقع الحال أن أهداف الحزب تتماشى مع أهداف المواطن، ولهذا الغرض تقوم الأحزاب بإستطلاع الرأي العام للإقتراب من المواطن و مطالبه.

ثانياً : وظيفة تكوين الرأي العام و هيكله الإقتراع :

وهي من بين الوظائف المحورية في حياة الحزب السياسي، ومن خلالها يقوم بتوجيه المواطن وإيقاظ روح المسؤولية لديه، وإشعاره بعدم تنافي المصلحة العامة مع المصلحة الفردية، هذه العملية التحسيسية التي يقوم بها الحزب، تسعى إلى تجاوز غياب روح المسؤولية عند عامة الناس. فالأحزاب السياسية تقوم بدور مهم في إعداد المواطن سياسياً و تساهم في توعيته، كما تضعه في التوجّه العام الذي يتبناه الحزب من القضايا المطروحة من خلال برنامج محدد، ومن خلال عمل سياسي يتماشى و الواقع، وتسعى الأحزاب لإيصال ذلك عبر قنوات معينة تجعل من الحزب شبه منظمة إعلامية تقدّم للجماهير مختلف المعلومات، وأثناء هذه العملية تقوم بتدليس وتزيين المعلومات بما يتوافق مع مصالحه بشرط أن لا تتجاوز هذه العملية حدّاً أدنى تصبح فيه المعلومات

¹ - Jean Boudoin , opcit , p 74.

خاطئة أو كاذبة، الأمر الذي قد يفقد الحزب مصداقيته أمام المواطن، ومن ثمّ فقدان دوره كوسيط، وتتجلى أهميّة تكوين الرّأي العام في كونها تلزم الفرد على الأقلّ عند ممارسة حقّه الانتخابي بتحديد مكانه في الجماعة.¹

ثالثاً : وظيفة تكوين و إختيار النخبة السياسيّة :

يتفق الجميع أنّ الأحزاب السياسيّة تهدف من خلال نشاطها السياسيّ إلى الوصول إلى السّلطة أو البقاء فيها ، لكنّها في ذات الوقت مدرسة تلقّن فيها مبادئ ممارسة السّلطة و تدفع هذه المدرسة بأنجب طلابها إلى السّاحة السياسيّة ليتعرّف عليهم النّائب، ويرافق هذه الوظيفة التكوينية عمليّة إنتقاء المرشّحين أو الإطارات السياسيّة.²

وتبدأ هذه العملية الإنتقائية داخل الحزب على إعتبار أنّه المكان المناسب لتلقين الأفراد الذين ستوكّل لهم مسؤوليّات سياسيّة، ويحدث ذلك بوضعهم محلّ التجربة للتأكد من كفاءاتهم، وفي نهاية كلّ تجربة يدفع بمن هو أنسب أو أكفأ لتولّي مهام سياسيّة أمام الهيئة النّائبة. ويخضع هذا الإنتقاء إلى تدرّج المسؤوليّات داخل الحزب، فالحزب عبارة عن جهاز يساعد المواطن على إختيار ممثّليه، وفي أغلب الأحيان يقوم الحزب بدفع المتمرّسين في صفوف الحزب، ومن له مكانة تجعله يفرض نفسه في الحياة السياسيّة، فعملية التّأهيل السياسيّ التي يقوم بها الحزب ضروريّة لنجاحه وإستمراره.

رابعاً : وظيفة تنظيم المعارضة :

من بين الأهداف التي ينادي بها الحزب للوصول إلى السّلطة، هو التّأثير على السّلطة القائمة بواسطة تنظيم المعارضة. والمعارضة في النّظم الديمقراطيّة لها من الأهميّة، ما يمكّن الجميع من إبداء الرّأي المساند أو الرّأي المخالف، ويتمّ ذلك في إطار قانوني منظمّ يجعل من المعارضة جزءاً لا يتجزأ من الديمقراطيّة التعدّدية، ويلعب الرّأي العام دوراً كبيراً في تنمية المعارضة فهو المبادر برغبة التّغيير، ولهذا ينبغي تنظيم المعارضة بالإعتراف بها، على كونها برامج بديلة عن برنامج الأغليبيّة الحاكمة، وعلى هذه الأغليبيّة أن تقبل النّقد الموجّه لها إذا كان برنامج المعارضة يستجيب

¹ - Pierre Brechan, les partis politiques, France édition Montchrestien, 1999, p 75

² - Jean Boudoin , opcit , p 74.

لمطالب الرأي العام في التغيير على أن يتم هذا وفق الشرعية المعمول بها؛ وهذا ما يسمّى بإستمرارية المؤسسات الدستورية¹.

فوظيفة تنظيم المعارضة، ووظيفة محدّدة الأبعاد، تقتضي من الحزب أن يقدم النّقد إلى الحكومة على أن لا يكون هذا النّقد مجرداً، وإنّما يرفق بحلول بديلة في برنامج متكامل يمكن ترجمته إلى قرارات نافذة في حالة وصوله إلى السّلطة، ولا يمكن لهذه الوظيفة أن تكون ما لم يوجد حدّاً أدنى من إحترام الحريّات العامّة و حريّات التجمّعات، و حقّ البرلمان في مساءلة الحكومة، وهذه أمور تغيب بغياب حكم ديمقراطي، كما أنّ المعارضة مقرونة بطبيعة النّظام السياسيّ والحزبي، فالنّظام الحزبي له تأثير على أبعاد المعارضة وصورها².

إنّ دراسة الأحزاب داخل الحقل السياسيّ يوضّح لنا بشكل من الأشكال البيئة التي ينشط فيها الحزب السياسي من خلال وظائفه وتنظيمه الذي يعطيه شكلاً مميزاً، ويخول له الإستمرار، لكنّ هذه الإستمرارية مقرونة إلى حدّ كبير بمدى قدرة الحزب على كسب موارد مالية. وفي هذا السّياق كثيراً ما تطرح تساؤلات عن أصل الموارد المالية التي تحصل عليها الأحزاب لتسيير نفسها ونشاطها، ومن ثمّ الحفاظ على وجودها السياسيّ.

هذه المسألة المتعلّقة بتمويل الأحزاب السياسيّة، تعبّر عن تناقضات في الأنظمة الديمقراطيّة بينما لا تطرح أيّ إشكال بالنّسبة لنظم الحزب الواحد أين التّداخل بين الحزب و الدولة يعطي للحزب إمكانيّات كبيرة تمكّنه من أداء وظائفه.

ففي الدّول الديمقراطيّة هناك قوانين تحدّد سقف الإنفاق في المناسبات الانتخابية، حتّى لا يهيمن حزب على آخر بفضل إمكانيّاته المالية، وتحدّد هذه الموارد المالية في أشكال مختلفة هي الهبات، مساعدات من النّظام أو السّلطة، إشتراكات المنخرطين، جرائد ... الى آخره³.
وتساهم هذه الموارد في تطوير الحزب وتمكينه من الوصول إلى المواطن عبر قنوات إتصالية متطوّرة، وبهذا تكون الحياة السياسيّة اليوم معبّرة بشكل من الأشكال على مدى قدرة الأحزاب على

¹ - د. نبيلة عبد الحليم كامل ، " الأحزاب السياسية في العالم المعاصر " ، مصر ، دار الفكر العربي 1988 ، ص 85.

² - نفس المرجع ، ص 86.

³ - Philip Braud, Manuel de sociologie politique, 2^{ème} édition, France L.G.J.D, 1995.

تسيير ميزانية محدّدة تماشياً مع القوانين السّارية خاصّة عندما يتعلّق الأمر بتمويلات مشبوه فيها تخدم أطرافاً خارجية أو داخلية.

المبحث الثاني : آليات الانتقال إلى التعدّية السياسيّة في الجزائر :

عاشت الجزائر مع بداية الثّمانينات تحولات في البنى الأساسية التي تقوم عليها السّلطة ولقد سمحت الظروف التّاريخية والسياسية المرافقة لوفاة الرّئيس بومدين، على بعث الحزب من جديد بإعطائه مهام و دور أساسي في النّظام السياسيّ الجزائري؛ وعلى صعيد آخر شهدت الجزائر بداية للإنتعاش السياسيّ والإقتصادي تماشياً مع الأوضاع السياسيّة والإقتصاديّة والدّولية، وعبرت عن التحوّلات الإقتصاديّة، عن رغبة الدّولة الفعليّة في التخلّي عن دورها الإجمالي، ونتج عن هذا غليان شعبي وسياسيّ إنتهى بأحداث أكتوبر 1988 ، ويبدو أنّ هذه الأحداث كانت بمثابة الإنطلاقة الجديدة للنّظام والمجتمع، وهذا بالنّظر إلى الإصلاحات السياسيّة التي رافقت هذه الأحداث.¹

ولقد شكّلت مرحلة توقيف المسار الإنتخابي سنة 1990، بداية لتحوّلات عميقة في الحياة السياسيّة والمجتمعيّة عموماً وفي الحياة الحزبية بشكل خاصّ حيث ساهم الإنزلاق نحو العنف السياسيّ بداية لتأزّم الحياة السياسيّة، ومن ثمّ تضيق العمل السياسيّ عموماً، وبهذا كانت تلك المرحلة بداية لصراعات سياسيّة بين سلطة فاقدة للشرعية وباحثة عن الإستقرار وبين قوى سياسيّة تنادي بضرورة العودة إلى الشرعية الدستورية ومن ثمّ إلى الحياة العادية، وكلّ هذا في ظلّ أحداث سياسيّة وأمنية حرجة. ويبدو أنّ مساعي كلّ طرف قد تحقّقت، لأنّ السّلطة القائمة أخذت وقتها في العودة إلى الشرعية تدريجياً.

وأبدت الأحزاب إرتياحاً لذلك خاصّة بعد المحاولات التي سعت إلى إشراك كلّ الأطراف السياسيّة في الوضع السياسيّ الجديد، كما ساهمت الإصلاحات القانونية الجديدة في وضع حدود لديمقراطية التعدّية في الجزائر من خلال تأطير العمل الحزبي والإنتخابي، ومن ثمّ الممارسة السياسيّة عموماً والتي يمكن القول عنها أنّها ذات خصوصيّات في المجتمع الجزائري بالنّظر إلى بيعة المجتمع من

¹ - "الظاهرة الحزبية في الجزائر"، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في العلوم السياسية و العلاقات الدولية، فرع التنظيم السياسي والإداري، إعداد الطالب توازي .

جهة وتركيبته المتعدّدة، وبالنظر إلى طبيعة الأحزاب نفسها وتكوينها السياسيّ، وطريقة تسييرها في المناسبات الانتخابية وفي الحياة السياسيّة.

ولقد أكّدت التجارب الانتخابية الجديدة أنّ مستقبل الأحزاب السياسيّة لا يزال في الواقع مرتبطاً بالوضع السياسيّ الحالي من جهة، وببنية الأحزاب السياسيّة من جهة ثانية بالإضافة إلى عدم قدرة هذه الأحزاب على خلق وعي سياسيّ عموماً، وبهذا تكون الظاهرة الحزبية في الجزائر متماشية مع التطوّر السياسيّ الذي رافق هذه المرحلة.

المطلب الأول : السلوك الانتخابي في الجزائر :

يكون السلوك الانتخابي إمّا مشاركة في تحديد سياسة معيّنة وتوطيد نظام حكم قائم، وإمّا فهو مقاطعة للتعبير عن رفض الأوضاع السائدة وإفقاد نتائج الانتخابات لمصادقيّتها أمام الرّأي العام العالمي والمحليّ. وعليه، فالسلوك الانتخابي يتحدّد بعوامل تقنية وإجتماعية وحتى عقلية ترتبط بالوعي السياسيّ، وبمدى قدرة الفرد على كسب ثقافة سياسيّة تجعله قادراً على فرض سلوك إنتخابي رشيد يحقق أكبر قدر من المنفعة للفرد والمجتمع¹ وتلعب وسائل الإعلام و الإستطلاع دوراً كبيراً في توجيه السلوك الانتخابي حيث يميل الفرد إلى التّمائل مع أقرانه ومع رأي الجماعة، فإذا كانت الأغلبية التي يعبر عنها سبر الآراء تتّجه نحو موقف سياسيّ معيّن، فإن الناخب يميل تدريجياً إذا لم يكن له ولاء سياسي أو ثقافة سياسيّة قويّة إلى تبنّي رأي الأغلبية؛ وبهذا تشكّل مثل هذه الوسائل إحدى الميكانيزمات التي يتم من خلالها توجيه الإقتراع بطريقة لاشعورية لدى فئات إجتماعية معيّنة. ومن هنا، نستطيع القول أنّ السلوك الانتخابي يتحدّد بعوامل متعدّدة تساهم كلّ واحدة منها بقدر معيّن ويتم من خلاله تكوين سلوك سياسيّ سائد خلال المناسبات الانتخابية.

ولكنّ الملاحظ عن السلوك الانتخابي أنّه يختلف باختلاف المجتمعات والانظمة حيث تنصهر فيه خصوصيات ومميّزات كلّ مجتمع؛ وفيما يتعلّق بالمجتمع الجزائري، يمكن القول أنّ له من الخصائص والتجارب السياسيّة ما يخلق سلوكاً سياسياً وإنتخابياً خاصاً به.

¹ - "الظاهرة الحزبية في الجزائر"، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، فرع التنظيم السياسي والإداري، إعداد الطالب توازي خالد، ص152.

فالمكونات التي تصنع الكيان الإجتماعي السياسي الجزائري لها من الأثر على السلوك السياسي والسلوك الإنتخابي الجزائري ما يؤثر طردياً على الأحزاب وتطورها، فقد يكون هذا السلوك مقروناً بشعوره بالإنتماء إلى إحدى مكونات الهوية الجزائرية، فإذا طغى على الفرد شعور بأنه أمازيغي مختلف عن باقي الجزائريين العرب، فإنه في الغالب ينتسب أو يتعاطف مع الحركة السياسية التي تتولّى الدفاع عن هذه الخصوصية وبالمثل إذا غلب عليه أنه مسلم، يرغب في تطبيق الشريعة، فإنه يميل إلى التصويت مع الحزب صاحب الإتجاه الإسلامي.

إنّ الواقع السياسي والإجتماعي الذي تبنى عليه الحياة السياسية في الجزائر، يؤكد أنّ هذه المكونات ليست وحدها المؤثرة في بناء السلوك السياسي والإنتخابي في الجزائر فالجهوية مثلاً تشكل إحدى المؤثرات التي تحرك السلوك السياسي في الجزائر، والجهوية هي في الواقع ذلك الشعور بالإنتماء إلى منطقة جغرافية معينة كالإنتماء إلى الشرق أو الغرب أو منطقة القبائل أو حتى الوسط.¹

وهذه العوامل وغيرها كفيلة بالكشف عن حقيقة السلوك الإنتخابي وعن إتجاهاته ومدى تأثيره على الحياة السياسية عموماً وعلى الحياة الحزبية بشكل خاصّ.

إذن، فدراسة السلوك الإنتخابي يقدّم لنا نظرة عامّة عن الحياة السياسية وعن الحياة الحزبية عموماً ثمّ من الإنتخابات نفسها حيث يمكن للمقاطعة أن تفقد مصداقية النظام وشرعيته أو مشروعيتها، كما أنّها تؤثر على مشروعية الأحزاب وتواجدها في الحياة السياسية، كما تقدّم لها مشروعية كبيرة عنها يستجيب لها عدد كبير من الناخبين. وبالتالي، يبدو أنّ اللعبة السياسية التي يعبر عنها الإتصال السياسي والإنتخابات لها من الأثر ما يجعل الأحزاب ملزمة بخلق وعي سياسي في المجتمع من أجل المحافظة على وجودها في الحياة السياسية، لكنّ هذا العمل مرتبط بمدى قدرة الأحزاب على تغيير العقليّات والقضاء على ظاهرة الجهوية والعروشية في الأحزاب السياسية نفسها بإدخال نخب جديدة على أسس جديدة غير مبنية على رهانات سياسة داخلية في الحزب أو

¹ - رياض الصيداوي، " تفكك النخب الحاكمة في الجزائر "، مجلة الشؤون الأوسط، عدد 98، بيروت : مركز الدراسات الإستراتيجية و التوثيق، أوت 2000، ص 41-65.

متعلقة بالانتخابات التعددية المقبلة، بانتهاج سياسة رشيدة تقوم على تسويق برامج سياسية قائمة على أسس علمية أو واقعية على الأقل، تسمح للناخب أن يختار بين عدة خيارات¹. ويمكن للأحزاب السياسية لعب دور مهيكّل للسلوك الانتخابي عن طريق العمل على إحداث تقارب بينها وبين المواطن بإشراك هذا الأخير في الحياة السياسية وتأهيله لتأدية وظائف سياسية وإجتماعية والعمل على إيقاظ الحس المدني لديه، وهذا الأمر يكاد ينعدم عند الجزائري عموماً. أمّا عن السلوك الانتخابي في الجزائر، فالملاحظ عنه أنه يبقى رهين عادات وتقاليد من جهة وخصوصيات تاريخية وسياسية تحدّد إلى حدّ بعيد معالم النسق الحزبي الذي ينحصر في قوّة التيار الإسلامي بمختلف أشكاله على مختلف المناطق الجغرافية كنتيجة للعامل الديني والمعبر عن الهوية الأساسية للجزائري؛ تيار جهوي يستند على العروشية؛ وتيار واقعي علمي، لا يستند في الغالب إلى هذه الخصوصيات المجتمعية الجزائرية ولا ينكرها، وإنما ينطلق من واقع سياسي وإقتصادي معيّن يحاول من خلاله بناء برامج يحسّس من خلالها فئة النخبة التي في الغالب ما تحبذ الخيار العقلاني.

المطلب الثاني : الوضع الحزبي و مستقبله في الجزائر :

إنّ الملفت للانتباه في التجربة الحزبية في الجزائر، أنّها شهدت تطوّراً سريعاً في ظرف قصير من الزمن، ثمّ شهدت إنتكاسة لم تعد النّظر فيها كمبدأ، لأنّ الخيار الديمقراطي الذي أفرزه إصلاح أكتوبر، ظلّ المكسب الوحيد، الذي حافظت عليه الأحزاب في لحظات تاريخية أقلّ ما يمكن القول عنها أنّها كانت غنيّة من حيث التقلّبات، ويبدو أنّ الأحزاب كفاعل في الحياة السياسية باتت رهاناً جديداً بالنسبة للكثيرين للوصول إلى السّلطة إمّا بالانتخاب عليها حتّى تصبح ممثّلة لهم في المؤسّسات المنتخبة، وإمّا بالإنخراط فيها قصد إستعمالها كوسيلة للوصول إلى مناصب سياسية معيّنة. وفي هذا السياق تشكل الأحزاب نفسها مراكزاً للصراع على السّلطة بين شخصيات قياديّة تحتل مكانة سياسية في السّاحة السياسية، ويعبّر هذا الصراع عن ظاهرة موجودة تاريخياً في كلّ المجتمعات، وهي ظاهرة الزّعامة والتي تعبّر في الحقيقة عن قدرة البعض على خلق إجماع حول شخصهم، بغرض الوصول إلى هدف مترجّي. ولكن هذا الصراع في الكثير من الأحيان ما

¹ - Jean Marie Cotteret « gouverner c'est paraitre », Paris : puf , 1991 , p 73

يؤثر في السير العادي للحزب، ومن ثمّ على مستقبله في الحياة السياسيّة وفعاليتها فيها؛ ولقد أوضحت التجارب الانتخابية المرافقة لهذا الصّراع عن بروز قوى سياسية جديدة، في حين إندثرت قوى سياسية أخرى.

وعلى صعيد آخر، ظلّ الصّراع الحزبي على السّلطة هو المميّز للحياة السياسيّة في الجزائر إلى وقت قريب، لكنّ الملاحظ أن الأحداث التي رافقت الرئاسيّات السّابقة أثبتت للجميع أنّ الأحزاب السياسيّة لم تعد تلك القوى التي تتنافس على السّلطة، وهذا لظهور قوى المجتمع المدني كبديل عنها، وكمنافس لها في السّاحة السياسيّة، والملاحظ عن ظاهرة الأحزاب أنّها شهدت تراجعاً مقابل تنامي هذه القوى، وهذا ما جعلنا نفكّر في مستقبل الأحزاب السياسيّة وعن الحلول التي يجب أن تنتهجها للبقاء في الحياة السياسيّة.¹

المطلب الثالث : القيادة السياسية كأحد مداخل تحليل النّظم السياسيّة :

يمثل متغيّر القيادة السياسيّة مدخلاً هاماً لتحليل النّظم السياسيّة بوجه عام والنّظم السياسيّة في الدّول النّامية. ومن بينها الدّول العربيّة بوجه خاص، بالنّظر إلى الدور الشّخصي الهامّ الذي تمارسه القيادة الحاكمة في أيّ من هذه النّظم الأخيرة. فهل ترتبط أنماط القيادة السياسيّة بأشكال متنوّعة في النّظم السياسيّة؟ و بعبارة أخرى، ما هي طبيعة العلاقة بين نمط القيادة السياسيّة وشكل النّظام السياسيّ و ديناميكياته وأبنيته؟

هل يمكن القول أنّ جانباً كبيراً من الإختلاف بين نظام سياسيّ وآخر مرده إلى التّباين بين نمط القيادة الحاكمة؟ أم أنّ نمط القيادة يمثل متغيّراً تابعاً لطبيعة النّظام السياسيّ وبيئته الاجتماعيّة والإقتصاديّة؟

إنّ القيادة السياسيّة كعملية، Process، هي " قدرة و فاعلية و براعة القائد السياسيّ - بمعاونة النخبة السياسيّة - من تحديد أهداف المجتمع السياسيّ وترتيبها تصاعديّاً حسب أولويّاتها، وإختيار الوسائل الملائمة لتحقيق هذه الأهداف بما يتّفق مع القدرات الحقيقيّة للمجتمع، وتقدير أبعاد

¹ - " الظاهرة الحزبية في الجزائر"، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في العلوم السياسيّة و العلاقات الدوليّة، إعداد الطالب توازي خالد

للمواقف التي تواجه المجتمع وإتخاذ القرارات اللازمة لمواجهة المشكلات والأزمات التي تفرزها هذه المواقف، ويتم ذلك كله في إطار تفاعل تحكمه القيم والمبادئ العليا للمجتمع¹ وبهذا المعنى، فإن القيادة السياسية ليست في جوهرها ظاهرة فردية تتعلق بشخص واحد، قائد يمارس السلطة السياسية في المجتمع، وإنما القيادة كطبقة حاكمة تتضمن عنصرين هما القائد والنخبة السياسية. والقيادة كعملية تضم بالإضافة إلى هذين العنصرين الموقف والقيم. وإن كانت دراسات أخرى ذهبت إلى تحديد عناصر القيادة السياسية بشكل مغاير، فدراسة سيسل جب Cecile Gibb، أشارت إلى القائد والأتباع والمواقف والمهمة، كعناصر لعملية القيادة السياسية. ودراسة أودين هولاندر Edoin Hollander، ذكرت ثلاث عناصر للقيادة، وهي القائد، الأتباع والمواقف. في حين، إعتبرت دراسة فريد فيدر Fred.E.Feider القيادة، عملية تفاعل ثلاثة عناصر، هي القائد والجماعة السياسية والفاعلية.

وبالرغم من أن بعض الدراسات السياسية عادة ما تصف رؤساء الدول على إختلاف أنواع أنظمتها السياسية وحكوماتها، سواءاً أكانت جمهوريّة أو ملكية، بالعادة، إلا أنه من الضروري أن نميّز على المستوى التحليلي بين مفهومي القيادة والرئاسة أو بالأحرى القائد والرئيس. إن القيادة السياسية جانب متميز لممارسة السلطة السياسية، حيث أن القائد الحقيقي في ممارسته للسلطة السياسية، يأخذ في إعتبره دائماً دوافع وحاجات أعضاء النخبة السياسية والجماهير كبشر، ويعتمد في تعامله معهم بالأساس على الإقناع، ويستهدف بلوغ الأهداف العامة للمجتمع بينما من يمارس السلطة دون أن تنطبق عليه حقيقة، صفة القائد، أي من يوصف بالرئيس، فإنه عادة ما يتجاهل هذه الدوافع، ويعامل الآخرين أيّ النخبة والجماهير، على أنهم أشياء من منطلق سلطته. وبعبارة أخرى، إذا كانت الرئاسة تعني في حقيقتها سلطة التوجيه والأمر والنهي النابعة من الإعتقاد الكلي على فرض وتوقيع الجزاءات، فإن القيادة السياسية، لا تعتمد بالأساس أو على الدوام على هذه السلطة الجزائية، بل تنظر إليها كإحدى أدواتها من الدرجة الثانية، وتعتبر إكتساب ثقة الآخرين بطريق الإقناع أدواتها الأولى، مستغلة في ذلك ما تتمتع به من خصائص، وقدرات ذاتية ونفسية وسلوكية ولغوية.

1 - جلال عبد الله معوض، علاقة القيادة بالظاهرة الإنمائية، دراسة في المنطقة العربية، رسالة دكتوراه في العلوم السياسية، القاهرة كلية الإقتصاد و العلوم السياسية، 1985، ص 9-10.

وعليه، تعتمد الأحزاب أساليب معيّنة للوصول إلى أهدافها، وهذه الأساليب فيها من المرونة ما يمكنها من إستيعاب الظروف المتغيّرة، ولكن كثيراً ما يتمّ التخلّي عن هذه الأساليب وإستبدالها بأساليب أخرى ذات صفة فردية أو شخصيّة، تلغي المبادئ الديمقراطية في التّعامل مع القضايا الداخليّة.

وتنتهي الأحزاب السياسيّة في ممارساتها هذه إلى الدّكتاتورية التي تكون عاملاً من عوامل هدف الحزب وإختزاله بالقائد أو القيادة، وأحياناً تتحوّل هذه القيادة إلى قيادة عشائرية، أو طائفية أو أحياناً عائليّة تبعاً لقوّة شخصية الزّعيم، ممّا يفقد الحزب صفة التنظيم ويدفع بألية الرّبط بين القيادة وختزال والتحوّل إلى أداة تنفيذ، بدلاً من أن تشارك في العمليّة الحزبية والحركة التنظيمية للحزب. وفي ظلّ هذا كلّه، تبرز بعض المظاهر التي تمثّل علامات بارزة على الدكتاتورية والإفراد في القرارات.

أولاً : إستمرارية القيادة مدى الحياة :

إنّ المدقّق للأنظمة الداخليّة للأحزاب السياسيّة، يجد أنّ أغلبها يتبنّى المنهج الديمقراطي في إختيار القيادة، إذ يتمّ ذلك عن طريق المؤتمر العام الذي يضمّ الأعضاء في الحزب وفق شروط ومواصفات محدّدة؛ ولكن عند التعمّق في البحث حول هذه الظاهرة، نجد أنّها تنتهي إلى ما سماه أحد الباحثين، بالدكتاتورية الخفية.¹

ومن بين الظواهر التي تدلّ على الإبتعاد عن المنهج الديمقراطي، هو دوام القيادة وإستمرارها مدى الحياة، وتعطي التبريرات لمثل هذا الإستمرار عن طريق إبراز شخصيّة القائد على أنّها كارزمية، أو إخفاء الصبغة الديمقراطية الشكّلية في عملية الإختيار؛ في حين أن الواقع يثبت أنّ الأساليب الغير ديمقراطية كانت وراء إستمرار هذا القائد.

والأساليب أو الطريقة المعتمدة تقوم إمّا على أساس إكراه الشّخص على إبداء رأي يتعارض مع قناعاته أو تقليل مساحة العناصر الرافضة لوجود الزّعيم، أو إعتقاد صيغ الترغيب لكسب قناعات الآخرين وتكوين أغلبية مزيّفة تسهّل عملية بقاء القائد على رأس القيادة.

¹ - حمادي د. شمران ، الأحزاب السياسية و النظم الحزبية ، بغداد ، مطبعة الإرشاد ، 1975 ، ص 116.

إنّ منطق العمل الحزبي يقتضي أن يكون هناك مراجعة لمواقف وربّما لأفكار أُتخذت في الماضي، طالما أنّ العمل يتحرّك وسط بيئة إجتماعية محكومة بعوامل نفسيّة وإجتماعية وإقتصادية، وأحياناً للبيئة الخارجية تأثير على تكوين الشّخصيّة القياديّة، ممّا يتطلّب تفعيل دور القيادة البديلة التي لها القدرة على النهوض بواقع العمل الحزبي و ربّما من أسباب التّداول في الإفادة بالإمكانات الذاتيّة للأحزاب في تحقيق مصالح الشّعب وهذا الأمر ينطبق على تبني المنهج الجماعي في القيادة.

إنّ هذه الظّاهرة، تختزل الديمقراطية بالعلاقة مع الآخر الخابي (أي خارج الحزب) وقد تولّد فيما بعد أرضية صالحة للديكتاتورية الخارجية (أي في التّعاطي مع الأطراف الأخرى عند الوصول إلى السّلطة بل و حتّى في إطار العمل المشترك في مرحلة المعارضة). كما أنّ هذه الظّاهرة قد تؤوّل فيما بعد إلى شخصنة القيادة، و إختزال القيادة الجماعية بالقائد و إن أخذت عناوين متحرّكة ومسمّيات متعدّدة مثل المكتب السياسيّ، أو شورى الحزب أو المؤتمر العام ... و غيرها.¹

ثانياً : شخصنة القيادة

تدور أغلب الأحزاب ذات الطّبيعة الديكتاتورية في القيادة حول مفهوم (الرمز) الذي يشكّل عموداً مهمّاً من أعمدة الديكتاتورية حتّى وإن أنتخب بطريقة ديمقراطية. إنّ الرّمزية في العمل الحزبي تنبع من إدراك أحد الأشخاص بأنّه يتمتع بمؤهلات تجعله قادراً على تحريك الحزب فكراً وسلوكاً بما يحقّق أهدافه، و لكن إذا كانت القضيّة تصلح في المرحلة الأولى من الرّمزية، فإنّها ستفقد فيما بعد إلى قناعة الشّخص القائد بأنّه الحزب، وهكذا، فإنّ الشّخصيّات تختزل الجماعة في الفرد وهو أمر يشكّل خطورة كبيرة على مفهوم الحزب الذي يفترض أنّ الفكر والهدف هما محور الوحدة و ليس شخص القائد.²

¹ - حمادي د. شميران ، الأحزاب السياسية و النظم الحزبية ، بغداد ، مطبعة الإرشاد ، 1975 .
² - تعود هذه الفكرة في بعض جذورها الفكرية إلى الفكر السياسي الإغريقي ، فأفلاطون طرح فكرة الفيلسوف ، و الفارابي أيضاً جهاد تقي صادق ، الفكر السياسي الإسلامي ، بغداد ، 1993 ، ص 43 .

ومن الآثار السلبية لهذه الظاهرة، تحوّل الشّخص (الرّمز) من وصف المسؤول إلى وصف المعيار بحيث يصبح الولاء له، ولاءً للحزب، والإبتعاد عنه إبتعاداً عن الحزب في حين أنّ القضية معكوسة، يصبح فيها القائد خاضعاً لمبادئ الحزب وقيمه و ليس حاكماً عليها.

ومن الآثار السلبية الأخرى لهذه الظاهرة وبما يعود بالضّرر على الأسلوب الديمقراطي ، تهميش القيادة عند صنع القرار، و عندها تصبح أمام ثلاث خيارات : إمّا الرّضى بالتّبعية للرّمز أو الثّورة عليه وإقصائه أو الانفصال عن الحزب. وعادة ما تكون الخيارات منحصرة من النّاحية الواقعيّة بالأوّل والثالث، لأنّ الخيار الثاني، وإن كان من النّاحية النّظرية ممكناً إلا أنّ الرّمز وبحكم تأثيره سيكون حاشية لها القدرة على الوقوف بوجه أيّة حالة تهدف إلى الخروج من التّبعية للرّمز¹ وفي هذه الحالة، يتحوّل الحزب من أداة للوحدة والتنظيم، إلى مؤسسة أمنية تعمل لصالح الرّمز وهي في هذا المجال تعمل على تسطيح وعي القاعدة ضمن خطة مدروسة لتأكيد صحّة نظريّة الرّمز، وصحّة توجّهاته الفكرية و السلوكية، وخلق حالة التّبعية عن قناعة وإقتدار.

إنّ الحلقات الرّئيسية في الحزب يمكن عدّها ثلاثاً، الأولى، حلقة القيادة، و الثّانية الحلقة الوسطى بين القيادة والقاعدة، في حين أنّ الحلقة الثّالثة هي حلقة القاعدة. وفي الحالة الرّمزية يتمّ تكثيف العمل على الحلقة الوسطى على إعتبار أنّ حلقة القيادة تمتاز بالضعف والتّبعية، والحلقة الثّالثة تمتاز بقلّة الوعي السياسيّ وربّما الفكري، و هي ليست طموحة - على الأقلّ - للوصول إلى مراكز القيادة في المرحلة التي تتحرّك فيها.

ثالثاً : تعدّد القيادات:

إنّ العلاقات التّنظيمية تقوم على ضوابط يحدّدها النّظام الدّاخلي للحزب، وتفترض وجود آليات تواصل بين القيادة الحقيقيّة للحزب و باقي المستويات الحزبية، و تساهم هذه المستويات في إختيار القيادة عن طريق الإنتخابات التي تحصل عادة في المؤتمرات الخاصّة بالحزب، ولكن تظهر في بعض الأحزاب السياسيّة التّروّع نحو هيمنة الأقلية على الأكثرية وتجاوز المبدأ الديمقراطي والتحوّل بإتجاه الديكتاتورية والتي لا تأخذ صورة الفرد، وإنّما صورة تضخيم دور الأقلية في القيادة على حساب الأكثرية

¹ - حنه آرندت ، أسس التوتاليتارية ، ترجمة أنطوان أبو زيد ، بيروت ، دار الشاقي ، 1993 ، ص 27.

وهذه الحالة، تعتمد الصيغ الديمقراطية في الوصول إلى القيادة (أي الانتخابات) ولكنها عند الممارسة، تحاول تجاوز المبدأ الجماعي في إتخاذ القرار والتوجّه من خلال سيطرة الأقلية على الأكثرية. وهذه السيطرة ناجحة مما يتمتع به هؤلاء الأعضاء الذين يشكلون الأقلية من نفوذ على بقية الأعضاء أو ما يملكونه من كفاءة و دراية في الأمور السياسيّة، وعندها تكون سياسة الحزب وبرامجه تصاغ من قبل الأقلية، وتعلن على أساس أنها آراء القيادة الجماعية.

كما أنّ هناك صورة أخرى تعطلّ العمل الديمقراطي في الحزب، ولكنها لا تكون من التأثير الداخلي لبعض الأعضاء في القيادة و إنّما من تأثير عوامل خارجية (أي خارج القيادة)، إذ نجد أنّ الأحزاب الشعبيّة تحتاج في حركتها إلى القاعدة الشعبية والدعم المالي، لذا نجد أنّ أصحاب رؤوس الأموال وكذا النقابات والاتّحادات و منظمات المجتمع المدني لها تأثير على قرارات قيادة الحزب، ممّا يسلب أعضاء القيادة الإرادة الحرّة في إتخاذ القرارات وهو أمر يتنافى مع الطابع الديمقراطي لعملية إتخاذ القرار.

وقد يكون للجانب المالي أثر كبير في خلق او دعم نزعة التفرّد لدى عضو معيّن أو أعضاء داخل القيادة، لأنّ عنصر الديمومة خاضع لحركة هذا الطّرف أو ذلك في الجانب المالي.

رابعاً : إنعدام أو ضعف المراقبة الذاتية :

إنّ العمل الحزبي شأنه شأن أيّ نشاط إنساني، عرضة للأخطاء المتعمّدة، وفي الوقت الذي يعدّ العقل أنّ الأخطاء تمثل أحد جوانب التجربة التي ينبغي للحزب أن يتعامل معها في إطار الإستفادة منها في المرحلة القادمة. فإنّ الواقع العملي يشير إلى تجاوز المبادئ التي تنظّم عملية الإصلاح الداخلي كمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأحزاب الإسلامية، والنقد الذاتي في الأحزاب العلمانية.¹

وتتمّ عملية القفز على هذه المبادئ من خلال عدّة وسائل منها إشاعة ثقافة حزبية تعمل على تعزيز العلاقة البيئية باتجاه تعالي القيادة فكرياً عن القاعدة و أحياناً تعتمد إلى تبني هذا المبدأ في حلقات الدنيا، ولا تجرؤ الحلقات الوسطى على التّعامل بإيجابية مع القضايا التي تشكّل نقاط خلاف. وأخيراً تعتمد إلى تكميم الأفواه تحت دعاوى مختلفة.

¹ - حنه آرندت ، أسس التوتاليتارية ، ترجمة أنطوان أبو زيد ، بيروت ، دار الشاقي ، 1993 .

وتستغل الأحزاب في السلطة أم في المعارضة الظروف الغير إعتيادية التي تحكم علاقتها مع الآخر لتبرير تعطيل هذا المبدأ بحكم الظروف السياسية، وهذه الحجّة - وان كانت صحيحة في بعض الأحيان - إلا أنّها تتحوّل كأنّها حالة طوارئء تحكم حركة الحزب بإستمرار من ناحية، و من ناحية أخرى، وإن كانت فيها منافع مؤقتة إلا أنّ آثارها السلبية تظهر في المستقبل بحيث تكون أكثر من المنافع الآنية.

ويمكن أن نلاحظ من زاوية أخرى أنّ تفعيل هذا المبدأ يؤدّي إلى جوانب سلبية في حركة الحزب، لاسيما إذا كان الإهتمام منصباً على أخطاء طرف معيّن في القيادة و غرض النّظر على أخطاء الطرف الآخر ممّا يدفع بإتجاه هيمنة أحدهما على الآخر و إزاحته من مواقع القيادة بما يؤمّن لأحد الأطراف فرض آراءه وتوجّهاته على بقية الأعضاء. وهذا ما يعزّز النهج الديكتاتوري أو التسلطي داخل القيادة.¹

وعليه، فالحزب الذي يتمحور وجوده حول شخص ما من خلال إعتداد ديكتاتورية الفرد أو ديكتاتورية القيادة، سينتهي عاجلاً أم آجلاً إلى الفشل و ربما إلى الموت. إذ أنّ موت القائد يعني موت الفكر في جانب منه. فالفكر الحزبي لا بدّ ان يتّصف بصفة الحركة و التّغيير لأنّه يعالج ظروفاً متغيّرة ضمن ثوابت محدّدة، بل أنّ هناك بعض الأحزاب مارست عمليّة التأقلم مع الواقع حتى في إطار الثّوابت كما هو الحال مع الأحزاب الشيوعية الأوروبية التي آمنت بالديمقراطية وتخلّت عن فكرة زوال الدّولة وغيرها من الأمور الأساسية والضرورية في بناء المنظومة الفكرية للماركسية.

وزيادة على هذا، فإنّ المنهج الديكتاتوري لن يسمح سواءً بصورة قصيرة أو غير عمدية ب بروز قيادات فكرية تستطيع أن تسدّ الفراغ الفكري الذي يتركه القائد، لأنّها لا ترغب في ذلك، بل عادة ما تخلق قيادة ضعيفة الإرادة ولكنّها قويّة من ناحية التنفيذ، وهذا قد يسمح ببقاء الحزب يتحرّك على وهج فكر الشخص القائد لحقبة معيّنة، لكنّه سرعان ما ينتهي إمّا إلى التّفوق حول الذات أو إجترار الفكر السابق رغم إيمانه بعدم قدرته على مواكبة الواقع.

¹ - حنه آرندت ، أسس التوتاليتارية ، ترجمة أنطوان أبو زيد ، بيروت ، دار الشاقي ، 1993 .

وقد يؤسس النهج الديكتاتوري في القيادة على أسلوب خاص في التّعاطي مع المستجدّات ويقوم على أساس اعتماد الصيغ ذاتها التي تحرّك فيها القائد المسيطر لإحكام هيمنته على الحزب. ولنا في تجربة الحزب الشيوعي السوفياتي ما بعد ستالين مثلاً على ما نذهب إليه.

إنّ إستحضار أسماء الأحزاب التي كانت تدور حول شخصية معيّنة، وما آلت إليه من فشل في الأداء و تناقص في الشعبية، والعيش على أمجاد الماضي، يؤكّد أنّ النهج الديكتاتوري والإلتفاف حول رمزها وإختزال الحزب فكراً وممارسة في هذا الرّمز، سيؤدّي حتماً إلى ذات النتائج التي وصلت إليها تلك الأحزاب.

ومن بين نتائج غياب المنهج الديمقراطي أيضاً، ظاهرة الإنقسام الحزبي، فعدم قبول الرأى الآخر وإلغاء مبدأ النّقد الذاتى، سيدفع حتماً بعض الأعضاء إلى الإنفصال الطّوعي عن الحزب وتكوين حزب آخر، وعندها تبدأ المنافسة بينهما وتستهلك طاقات الطرفين بما يؤدّي إلى ضعف الأداء الحزبي على الصّعيد الشعبي وال جماهيري، لأنّ من دوافع إنجذاب الجماهير لحزب ما، هو الأهداف التي يتحرك لتحقيقها، وكذلك مقدار ترجمة هذه الأهداف إلى سلوك عملي. والحزب الذي يتصف بالإزدواجية في علاقة الممارسة بالنّظرية، سيؤدّي فيما بعد إلى إكتشاف الجماهير إلى هذه الظّاهرة، مما يفقد ثقّتها به، بحيث تحاول إيجاد البديل في أحزاب أخرى، إذا كانت السّاحة تضمّ غيره، أو إلى الإنفصال النّفسي عنه، بحيث تتركه وأعداءه وحده، ممّا يؤدّي فيما بعد إلى السّقوط نتيجة فقدان الطّاقات في المعارك الدّاخلية أوّلاً، وإبتعاد المدافعين عنه جماهيرياً من ناحية أخرى.¹

ولا يقتصر الأمر عند موقف الجماهير، وإنما يتعدّاه إلى المؤمنين بأهدافه ومبادئه من أعضائه، إذ ستبقى فيه العناصر النّفعية والوصولية والتي تتحرك طبقاً لمصالحها الشّخصية، ممّا ينعكس أيضاً على رؤية الجماهير له. زد إلى ذلك، فإنّ التوجّه نحو الديكتاتورية في الممارسة داخل الحزب، يدفع إلى إبعاد الجماهير في صنع القرار، ممّا يجعل من سياسة الحزب و قراراته ذات نفع خاصّ بدلاً من أن تكون موجّهة لمصالح الأمة، وعندها يفقد الحزب الدّعم الجماهيري له، وهذا يدفع في ظلّ التعدّدية السياسيّة إلى ضعف مكانته في حالة المنافسة الإنتخابية مع غيره، وقد يتحوّل في الهرم الترتيبي من ناحية حجمه الإنتخابي إلى أسفله، وهذه مقدّمة لإبعاده من دائرة الأحزاب

¹ - حنه آرندت ، أسس التوتاليتارية ، ترجمة أنطوان أبو زيد ، بيروت ، دار الشاقي ، 1993.

المؤثرة في عملية صنع القرار السياسي للبلد إلى أحزاب صغيرة تحاول الإئتلاف مع أية كتلة لكي تحصل على مقعد لها في الحكومة المقبلة.

المبحث الثالث : الأحزاب السياسية في الجزائر و مدى مساهمتها في خلق ثقافة

سياسية، جماهيرية مشاركتية :

لمّا كانت الأحزاب السياسية من أهمّ متغيّرات أيّ نظام سياسي، فهي توفّر قنوات المشاركة والتّغيير عن الرّأي العام بهدف تفعيل الدّور الإيجابي للأفراد والذي يدفعهم للتفاعل مع مضاعفات الحياة السياسيّة بمستوى معيّن وبشكل ما. ونشير إلى أنّ نجاح الأحزاب السياسية في أداء هذه المهمّة، ليس بالأمر الهين، إنّما يرتبط بشكل أو بآخر بجملة محدّدات منها ما يرتبط بالإطار المؤسّساتي للحزب في حدّ ذاته، من حيث درجة تنظيمه، وتنميته لقدراته الذاتيّة بغية تحديد القصور ثمّ تجاوزه ما أمكن ذلك، ومنها ما يتعلّق بالمتغيّرات البيئيّة المحيطة أو تلك التي ينشط فيها الحزب، كبنية دستورية أو سياسيّة نقيس من خلالها القدرة التفاعلية ثمّ التكيّفية للحزب. وهذه الأخيرة ترتبط بأسلوب الممارسة الداخليّة للحزب كمؤشرات التماسك، القوّة التنظيمية والقدرة على التّأثير في الجماهير و بناء قاعدة شعبية¹.

وبما أنّ فاعلية هذا الحزب أو ذلك تتجلّى في تنمية المشاركة وتفعيل التعبئة الاجتماعيّة، فإنّ هذه الأخيرة يمكن أن تؤدّي حسب الباحث الأمريكي صمويل هنتنغتون - بما أنّها إنعكاس لعملية التّحديث - ليس إلى تحقيق الديمقراطيّة والتعددية السياسيّة والتكامل فحسب، إنّما إلى تحلّل النّظام السياسيّ وتفكّكه وعدم الإستقرار ما لم يرتبط التّحديث بوجود مؤسسات قويّة وفعّالة في مقدّماتها الأحزاب السياسيّة التي قد تتحول في هذه الحالة إلى صمّام أمان من شأنه إمتصاص الضغوط النّاجمة عن حدّة التغيّرات و التناقضات الحاصلة.

المطلب الأول : المشاركة السياسية : تتمحور عملية المشاركة السياسيّة حول جملة من المسارات

التي يلعب من خلالها الفرد دوراً في الحياة السياسيّة لمجتمعه، حيث تتاح له الفرصة في صياغة الأهداف الهامّة للمجتمع وإيجاد أفضل الوسائل لتحقيقها².

¹ - بلقيس أحمد منصور، الأحزاب السياسية و التحول الديمقراطي (القاهرة، مكتبة مدبولي، 2004، ص 50.
² - محمد السويدي، علم الاجتماع : ميدانه وقضاياها (الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية، 1990) ص 159.

ومهما تراوحت المشاركة السياسيّة بين المستويات الأفقية والعمودية، وإتسع نطاقها ليشمل مختلف قطاعات الهرم الإجماعي من صفوة إلى عامّة، فإنّها تمثل مقياساً صادقاً لتقييم الأداء التعدّدي الديمقراطي للنظام السياسيّ، فكلّما إزدادت مشاركة المواطنين في التّأثير على صنع القرار الحكوميّ، كلّما تمكّنت القوى الوطنيّة من طرح أفكارها والدّفاع عنها بحريّة من خلال قنوات التّعبير المكفولة قانونياً، وتقبل التّعاضيل مع وجهات النّظر المختلفة.

ولمّا كانت الأحزاب السياسيّة من أهمّ متغيّرات أيّ نظام سياسيّ، فهي توفرّ قنوات للمشاركة والتّعبير عن النّظام العام من خلال جملة من الأدوات والوظائف التي تؤدّيها، والتي تتراوح بين التّعبير عن المطالب وتجميع المصالح، وتجنيد السياسيين، وكلّ ذلك يهدف إلى تفعيل الدّور الإيجابي للأفراد و الذي يدفعهم للمشاركة في الحياة السياسيّة بمستوى معيّن و شكل ما، والقضاء في المقابل على مظاهر السّلبية التي تشيع في المجتمعات ذات خصوصيّة العالم الثالث، كالأمبالاة.

ويشكّل الحزب السياسيّ تلك الحلقة الرّابطة بين المستوى الرّسمي و غير الرّسمي في هرمية أيّ نظام سياسيّ، إذ يحاول التغلغل وبشكل قويّ ما أمكنه ذلك - وهو معطى غير متاح لجميع الأحزاب - على المستوى الجماهيري، يحاول أن يغرس فيهم قيمه و قيم المجتمع مستخدماً في ذلك ما أتيج له من الوسائل ومتى ما قطع الحزب هذا الشّوط بنجاح يستطيع بسهولة دخول معترك السياسة والمنافسة الرّسمية، بشكل قد يصل حدّ التّأثير على الدّوائر الحكوميّة المحتكرة لعمليّة صناعة القرار.

إعتماداً على هذا الطّرح قد تتحول الجماهير إلى الورقة الذهبية الرّابحة التي يحاول الحزب السياسيّ إقتناصها حيث يبقى في النّهاية الرّأي العام ملكاً لمن يستطيع صناعته.

وتمارس الأحزاب السياسيّة دور التّفعل في المشاركة وإدارة اللّعبة السياسيّة في المجتمع من خلال الوظائف التي تحافظ من خلالها على تكيفها مع معطيات البيئة المحيطة رغبة في الحفاظ على إستمرار أدائها لوظائفها.¹

¹ - محمد السويدي، علم الإجماع : ميدانه وقضاياها (الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية، 1990) ص 159.

وظيفة التعبير عن المطالب :

يتيح الحزب السياسي قناة يعبر من خلالها الأفراد و الجماعات عن مطالبهم لدى صانعي القرار وتمثل هذه الخطوة أولى مراحل عملية التحويل السياسي، فهي بمثابة جسر رابط بين المجتمع من جهة والنظام السياسي من جهة أخرى.

ب- وظيفة تجميع المصالح :

تشير إلى تلك العملية التي يتم من خلالها تحويل المطالب المتباينة إلى بدائل سياسية عامة عن طريق إيجاد نوع من التوفيق بين المصالح المتضاربة، وقد عبر البعض عن هذه الوظيفة بتنظيم الإرادة وصنع الرأي العام، مما يؤثر بشكل مباشر في استقرار النظام السياسي، حيث يتم التخفيف من عبء المطالب المرفوعة إلى صانعي القرار وبالتالي الإستجابة لها بشكل أو بآخر، وعادة ما تكون الأحزاب أهم مدبر لهذه العملية.

ج- وظيفة التنشئة السياسية :

وهي تلك العملية التي يتم بواسطتها جذب الأفراد إلى الثقافة السياسية، وبعبارة أخرى، هي مجموع الإتجاهات، المشاعر و المعارف التي تحدّد مواقف الأفراد ومعاييرهم القيمية إتجاه النظام السياسي ومؤسساته ككلّ منسجم و توجّهات وأدوار شاغلي المناصب السياسية¹. وتتراوح التنشئة السياسية التي يؤديها الحزب السياسي بين مؤشّرين إثنين : إمّا تعزيز الثقافة السائدة وتوخي الإستمرارية في الأداء، أو إدخال تغيير هامّ في أنماط هذه الثقافة على نحو يتماشى ومتطلّبات المرحلة الجديدة، وتمثل التّعبئة الإجتماعية إحدى آليات التنشئة التي يتحوّل بموجبها الفرد من الوعاء أو المنظومة التقليدية التي قوامها القبلية، العشيرة إلى أنماط الإنتماء الحديثة في مقدّمتها الأحزاب وجماعات المصالح، ومع التعرّض للإعلام، التّكنولوجيا والتغيّر بأنماط العمل، الإنتاج والمعيشة، ويتولّد لدى الأفراد وعياً جديداً يتعرّز معه تضامنهم وتمسّكهم بهويّتهم.

¹ - محمد السويدي، علم الإجتماع : ميدانه وقضاياها (الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية، 1990).

وعليه، فإنّ وجود الحزب هو أحد أسباب نمو وإزدياد الإحساس بالوحدة الوطنية من خلال محاولة التّوفيق بين وجهات النّظر المعارضة وإضعاف روح التّنافس الشّخصي هذا من جهة ومن جهة أخرى تعزيز إستجابة الأفراد للأُمور السياسية.

المطلب الثاني : التحوّل الديمقراطي في الجزائر بين التحدّي و الطّموح :

يشير الإنفتاح السّياسي إلى " نموّ شعور عقلائي لدى نظام حكم الفرد أو القلّة بتآكل شرعية التقليدية أو الثّورية، ومن ثمّ قيامه نتيجة لذلك بتقديم تنازلات سياسيّة من حيث الشّعارات ومن حيث درجة ضبطه لحرية التّعبير و التّنظيم أحياناً، بل وربّما قيامه بتبنيّ بعض آليات الدّيمقراطية ومؤسّساتها مع بقاء مصدر السّلطات للحاكم الفرد أو القلّة الحاكمة، ممّا يعني أنّ الإنفتاح السّياسي يعبر عن عدم قدرة السّلطة على الإستمرار في الحكم بأسلوب حكمها السّابق¹.

وقد إجتمعت العديد من المحدّدات الدّاخلية والخارجية بمتغيّرات لتصيح توجّه الجزائر نحو الإنفتاح والذي بدأ بشكل لافت مع قرار تعديل الدّستور سنة 1989، الذي روج ولأول مرّة إمكانية السماح لتبلور التفاعل بين الرّأي والرّأي الآخر.

فلقد عبّر دستور 23 فيفري 1989، عن نظام ديمقراطي يقوم على التعدّدية السياسيّة، ومجتمع مدني يشارك في إتخاذ القرار السّياسي، حيث قام هذا الدّستور على شرعية تقوم على الحرية والفصل بين السّلطات والتعدّدية الحزبية والسياسية.

فلقد سعت الجزائر إلى تجسيد الدّيمقراطية من خلال تكريس حق المواطنين في المشاركة في السّلطة عن طريق إختيار ممثليهم في هيئات الحكم أو عن طريق الأحزاب السياسيّة التي توجّه إختيارات الناخبين. فدستور 1989، أقرّ بالتعدّدية الحزبية وفتح الباب على مصراعيه لجميع القوى السياسيّة لممارسة نشاطها السّياسي بحرية. لكن دون التدرّع بهذا الحقّ في ضرب الحريّات الأساسيّة، الوحدة الوطنيّة، سيادة الشّعب، وكذلك عدم التحريض على العنف بكل أشكاله.

وبالموازاة مع التحوّل من نظام يقوم على الأحادية الحزبية إلى نظام يقوم على التعدّدية الحزبية من الضّروري أن يطرأ تعديل في القواعد والقوانين الانتخابيّة، ليتكيّف النّظام الانتخابي مع النّظام التعدّدي، غير أنّ الواقع كشف عن فشل أول تجربة إنتخابية في ظل التعدّدية الحزبية، فقد حصدت

¹ - علي خليفة الكواري، مشروع دراسات الديمقراطية في البلدان العربية، مستخرج من الصفحة الإلكترونية <http://assr.org/annoncements/18/invitation.2write.pdf>

الجزائر خسائر بشرية ومادية لا يستهان بها، ذلك لأنّ الإطار القانوني لم يكن مناسباً، ولا كافياً لدرء الإنحرافات الخطيرة و المضرة بالمجتمع الجزائري، الأمر الذي إستوجب إجراء تعديلات جديدة لإنجاح العملية الديمقراطية وإستكمال البناء المؤسساتي للدولة.

المطلب الثالث : دور الأحزاب السياسية في التغيير :

هناك بيئة لا تشجّع على التغيير السياسي و العمل الحزبي من أهمّها : مظاهر الثقافة السياسية السلوكية والقيمية لدى فئات كبيرة من المواطنين.¹

فمن الأحزاب السياسية، من يدعم حجه بأنّ هذا ما هو الأ مجرد بوق للنظام وبأنّها إطار للسياسيين الذي يسعون نحو المصالح الشخصية ولم تلعب الأحزاب السياسية دوراً في تحسين ظروفهم المعيشية، وهذا التوجه السلبي ما هو إلاّ إنعكاس لمن يرى بأنّ الأحزاب السياسية في الجزائر ليست في موضعها الوظيفي الصحيح بسبب بنية السلطة التي لا تشجّع على الديمقراطية التمثيلية.

كما أنّ هناك إتجاه يشكك في الإستقلالية الفعلية للأحزاب السياسية من الناحية الثقافية والتنظيمية عن السلطة، دون أن تكون لها القدرة على إتخاذ مواقف مستقلة أو معارضة، و ذلك لضمان البقاء السياسي، والأمر يرجع إلى غياب المعارضة السياسية الحزبية أو التهميش وتغييب المعارضة بمختلف الوسائل وتقزيمها بحيث لم تعد لها قوتها السياسية.

وعليه، فالأحزاب السياسية أصبحت جزءاً من الوضع الراهن وتثبيتته. وللتخلّص من هذه الوضعية لابدّ من التأكيد على أنّ التغيير يأتي عبر مزيد من الديمقراطية داخل الأحزاب السياسية، وإفساح المجال لمختلف الفئات المشاركة في العملية السياسية، ممّا سيّشجّع على عودة الحيوية إلى الأحزاب السياسية، وهذا سينعكس على تطوّر النقاش والبرامج السياسية لمعالجة كافة القضايا والمشكلات العامة بوضوح وإثراء النقاش حولها.

كما يجب تحويل طبيعة النظام السياسي المنغلقة إلى نظام سياسي متفتح وقابل للإستجابة للتغيرات الداخلية والخارجية، وذلك سوف يعمل على تغيير بيئة الأحزاب السياسية للعمل السياسي

¹ - " الأحزاب السياسية و التنمية السياسية في الجزائر "، منتديات الشروق أون لاين
www.montada.echouroukonline.com/showthread.php?p=2000 68

المبحث الرابع : المرأة و المسار الديمقراطي في الجزائر :

إنّ الديمقراطية كشكل من أشكال العلاقات الإجتماعية، كطريقة حياة يومية وكمنهج عملي جماعي ترفض كلّ محاولة لجعلها أداة تعبت من داخلها في ميكانزمات السيطرة والخضوع مهما كان شكل أو طبيعة هذه السيطرة ... لهذا، فبناء الديمقراطية يرتبط في جانب أساسي منه بتحقيق الحداثة وعصرنة المجتمع، فهي كقيمة وكممارسة إجتماعية تعني على المستوى السياسي الإعتراف بالإرادة الحرّة للأفراد وحقوقهم المدنية كاملة، والفصل بين السّلطات وإستقلال المؤسسات بعيداً عن كلّ تأثير عدا القواعد و الضوابط التي تحظى بالإجماع، وكذلك التّداول على الحكم بطريقة سلمية.

أمّا على المستوى الإجتماعي، فالديمقراطية تعني الإعتراف بحقّ المواطنة والتعامل مع الأفراد كمواطنين أحرار وليس بحسب إنتماءاتهم القبلية أو الجغرافية فضلاً عن المساواة بينهم بصرف النظر عن تمايزهم العرقي، أو الديني أو الجنسي، ممّا يعني تكفّل مؤسسات الدولة بحماية الحقوق المدنية والسياسية المعترف بها للأفراد والجماعات ومعاملاتهم على قدم المساواة دون تمييز على أساس العرق أو الدين أو اللّغة أو الإلتناء السياسي، و يقتضي ذلك تغييراً جذرياً في أساليب تسيير وإدارة أجهزة الدولة، وكلّ ذلك يستدعي إشراكاً حقيقياً وليس طقوسياً للنّخب المثقفة والتكنوقراطية من أجل مراجعة جريئة للقوانين والتشريعات.¹

وفي محاولتنا تحليل المسار الديمقراطي الجزائري في علاقته بمتغيّر أساسي والمتمثل في المرأة الجزائرية، فإنّنا نعتقد أنّ هذا المسار الهام، يحدث في إطار التحوّلات العميقة التي عرفها ولا يزال يعرفها المجتمع الجزائري الحديث ومؤسساته المختلفة، لاسيما أنّ تلك التحوّلات قد مسّت جميع المجالات السياسية والإجتماعية والإقتصادية والثقافية... غير أنّ مشروع التحوّل الديمقراطي قد غلبت عليه نزعة صورية أو شكلية في بدايته بحكم تأثير إشكالات متعدّدة ومتنوّعة مرتبطة أساساً بالتمثيلات (Représentations) السياسية و الإجتماعية و الثقافية في بعدها الرمزي والمقدّس والذي قد يطرح ضمن تناقضات مختلفة إجتماعية و ثقافية.

¹ - العياشي عنصر : نحو علم إجتماع نقدي، دراسات نظرية و تطبيقية، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، 1999.

فليس للديمقراطية أي معنى إذا لم يعي المجتمع التناقضات التي يعيشها ويتقبل في المقابل إعطاءها ترجمة سياسية صحيحة تعكس إكتساب المجتمع لثقافة سياسية جديدة تعبر عن التحول السيكوإجتماعي المتقبل لنقد بعض الممارسات الإجتماعية في ظل الطابع الإيديولوجي للديمقراطية والطابع السياسي الحديث.

ورغم أننا نوكد أن التجربة الديمقراطية في الجزائر رائدة مقارنة بغيرها من البلاد العربية والعالم عموماً، إلا أن ديمقراطية المجتمع الجزائري كانت ولا تزال توصف بالصعوبة أو الخاصة، نظراً لما يعترض سبيلها من صعوبات عديدة ومتنوعة تجعل إمكانية تحديث المجتمع صعبة نوعاً ما.

يرى أحد الباحثين الإجتماعيين، أن التحول السياسي كان لابد أن يسبقه تحول إيديولوجي بمعنى التحول في كل ما هو ثقافي - رمزي- وإعادة صياغته وتوجيهه الوجهة الصحيحة، لأن ما هو ملاحظ واقعياً (سياسياً و إجتماعياً) هو أن هناك مسعى حقيقي للتحديث السياسي والذي يطرح إجتماعياً وثقافياً، غير أن الإشكال المطروح يكمن في صعوبة وخصوصية هذا الطرح الذي يقابل بالرّفص في التحديث في الأنماط الثقافية القيمة التي قد تسيء إلى ديمقراطية المجتمع. فديمقراطية المجتمع الجزائري لا يمكن أخذها كنهاية إيجابية لتحوّلات جذرية في القيم الإيديولوجية المتنبّاة ولكن كبداية عرفت ولا تزال تعرف الكثير من التناقضات والصّراعات والرّفص.¹

وفي مواصلة تحليل المسار الديمقراطي الجزائري، نجد مسائل عديدة لا يمكن عزلها عن النقاش والحوار العلمي الدائر اليوم أهمّها، مسألة الدين والسياسة، المسائل اللّغوية والهوية والمرأة لأنها مرتبطة إرتباطاً وثيقاً بالصّراعات القائمة حول مشروع المجتمع الديمقراطي وإبراز المجتمع المدني، وتكريس المواطنة.

فلا يمكن تحليل المسار الديمقراطي الجزائري، وتبني متغير أساسي في الدراسة والمتمثل في المرأة الجزائرية، دون تقديم تحليل لجميع ما يتعلّق بحقوق المرأة الجزائرية - المرأة المواطنة - مثلما نصّت عليه بعض مواد الدستور، لاسيما تلك المتعلقة بمجال التعليم والعمل ... هذه النصوص التي جاءت نتيجة مساهمة المرأة الفعّالة في حرب التحرير، و التي أصبحت معلماً تاريخياً هاماً في حياتها، بل قد نقول عن مشاركة المرأة في حرب التحرير بأنّها القطيعة و لو مؤقتاً مع نظام أسري

¹ - العياشي عنصر : نحو علم إجتماع نقدي، دراسات نظرية و تطبيقية، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، 1999.

وإجتماعي تقليدي غلب عليه " الرّمزي والمقدّس " الذي إحتوى المرأة لفترة طويلة فلم يكن ليخرج المرأة الجزائرية من البؤس والجهل والإضطهاد الذي فرضته عليها العادات والتقاليد الإجتماعية، وكرّسه الإستعمار، سوى حركة ثورية تقدّمية تقضي على الإستعمار¹، وعلى تلك المجموعة من التّراكمات الثقافيّة التي صنعتها ممارسات الإنسان عبر مسيرته التاريخيّة، والتي قيّدت آفاق المرأة وحدّدت مجال ممارساتها الإجتماعي، فهيات هذه الحركة ظروفًا ملائمة لتغيير وضعيّة المرأة المتخلفة. ومن ثمّ نمت حركة نسائية عبر أوسع مشاركة في الثّورة وصلت حدود قيادة نسائية لتجمّعات قتالية ضدّ المستعمر، و نشأت أوّل منظّمة نسائية مع بدء التّحرير، تابعة لجبهة التحرير الوطني، تحوّلت فيما بعد إلى الإتحاد الوطني للنساء الجزائريّات. إنطبعت هذه الحركة بطابع الثّورة و تأثّرت بتكوينها الإيديولوجي الذي إتعكس في برنامجها وسلوكها وممارستها، والتي تدخّلت فيه أفكار مستقاة من المفاهيم العامّة للعدالة والمساواة ومفاهيم الجهاد ضدّ الظلم والتعسف. ومع التّصاعد الثّوري، إكتسبت المرأة وعياً وإزدادت نضجاً، خاصّة بعد غياب ذويها من الرّجال الذين إنتحقوا بصفوف الثّورة، فوجدت نفسها مجبرة على تحمّل مسؤوليّات عديدة لم تعتد عليها ولم يكن متوقّعا تحمّلها، فألغت كلّ القيود، وإخترقت العادات، فبدأت تحتلّ مكانة متزايدة الأهميّة في الحركة الثّورية.

إنّ مساهمة المرأة في حرب التّحرير، أدّت إلى تغيير نظرة الأب و العائلة إلى المرأة، حيث بدأت فكرة المرأة للزّواج في الإختفاء التّدرجي، حسب فانون FANNON، لترك المكان لفكرة المرأة - الثّورية - ومن ثمّ يمكن القول أنّها قد عملت بشكل غير مباشر على الرّفع من مكانها والرقيّ بدورها من مرتبة إلى مرتبة أكثر فعالية.

وإستمرّ الوضع يتغيّر بصورة بطيئة حسب ما أقرّه مسؤولوا الحركات الوطنية في الجزائر و حسب ما أتت به من تجديّات في المجتمع، وشيئاً فشيئاً، بدأ الإعراف بوضعيتها كعنصر فعّال، ضروري وأساسي لإستمرار الكفاح من أجل التحرّر، خاصّة وأنّها برهنت على قدراتها ومسؤوليّاتها بمشاركتها الفعّالة في الثّورة لأنّ هذا المستعمر كان أحد الأسباب الأساسية في إنسحاب المرأة، وفسّر على أنّه إحدى ميكانيزمات الكفاح ضدّ المستعمر الأجنبي، فهو رمز لكلّ ما

¹ - F.FANNON : Sociologie d'une révolution algérienne,ed.MASPERO,Paris 1960.+j.Minces : la femme dans le monde arabe,ed.MAZARINE,Paris, 1980.

يمثل رموز الثقافة المستعمرة¹. و إبان الثورة التحريرية، عمد مسؤولوا جبهة التحرير الوطني على تعديل أكبر في وضعيّة المرأة، فأعترفت لها النصوص الرّسمية بكلّ حقوق وواجبات المواطن، ففي تشريعات جبهة التحرير الوطني التي نشرها المجلس الوطني للثورة جاء في مقدمتها توجّه جبهة التحرير الوطني الكفاح المسلّح بفضل جيش التحرير الذي يستمدّ قوّته من الشّعب - مجاهدين ومجاهدات - يقودون الكفاح الذي يهدف إلى تحطيم قوّة العدو. ودعّمت هذه الوضعية في المواثيق الرّسمية التالية :

- ميثاق الصومال 1956 :

نظرا للأدوار الطويلة التي أدتها المرأة، فقد أعلنت لائحة الثورة الجزائرية في مؤتمر الصومال سنة 1956 : توجد في الحركة النسوية إمكانيات واسعة تزيد وتكثر، وإننا نحيا بكلّ إنفعال وإعجاب وتقدير ذلك المثل البارز الذي حدث في الشجاعة الثورية للفتيات والنساء المتزوجات والأمهات وكل أخواتنا المجاهدات اللواتي يشاركن بنشاط ويحملن السلاح أحيانا من أجل الكفاح المقدس لتحرير الوطن.

- ميثاق طرابلس :

"ينبغي للحزب في الجزائر أن يقضي على كل عوائق تطوير المرأة وتفتحها وأن يدعم عمل المنظمات النسوية و لسوف يكون عمل الحزب ناجحا في هذا الميدان ". كما جاء أيضا : " و لن يتسنى للحزب أن يخطو خطوة واحدة إلى الأمام ما لم يساند دوما محاربة الأحكام الإجتماعية المسبقة و المعتقدات الرجعية، ولا يمكنه أن يكتفي بالمواقف المبدئية فقط، بل عليه أن يجعل من تطور المرأة واقعا لا رجعة فيه، و ذلك بواسطة تخويل النساء مسؤوليات حزبية.

- ميثاق الجزائر : ركز على ما جاء في ميثاق طرابلس وتعرض إلى قضية جديدة لم يصرح بها ميثاق طرابلس، وهي المساواة بين الرجل والمرأة.

إذ نص على أن " المساواة بين الرجل والمرأة يجب أن تكون أمرا واقعا، و ينبغي على المرأة الجزائرية أن تكون قادرة على المشاركة الفعلية في النشاط السياسي وفي بناء الاشتراكية بالنضال في صفوف الحزب والمنظمات القومية و النهوض بمسؤوليات فيها ".

¹ - F.FANNON : Sociologie d'une révolution algérienne,ed.MASPERO,Paris 1960.+j.Minces : la femme dans le monde arabe,ed.MAZARINE,Paris, 1980.

كما جاء في الميثاق : " يجب على المرأة أن تكون قادرة على وضع طاقتها في خدمة البلاد بالمشاركة في النشاط الإقتصادي، بحيث تضمن ترقيتها الحقيقية بواسطة العمل".

- دستور 1989/1976 :

منذ إصدار الدستور ومع التعديلات التي طرأت عليه، وهو يضمن و يؤيد مساهمة المرأة في الحياة المهنية، وأكد حقوق المرأة، وفتح أمامها كل الفرص المتاحة للرجل من تعليم وعمل في جميع الميادين. إلا أن الإشكال يبقى مطروحا في التناقض و الصراع الذي تعيشه المرأة الجزائرية، بين هذه المواد التي تعكس حقيقة حق المساواة بين الجنسين، وبين واقع إجتماعي تسبب في ضعف تمثيل المرأة، والذي يمكن ربطه بمسؤولية العوامل الثقافية والإجتماعية المميزة لبنية المجتمع والمؤثرة في ذات الوقت في صياغة العلاقات الإجتماعية التي تتميز بسيطرة نمط فكري تقليدي، لأن ذلك يعكس بالضرورة ثورة في العلاقات والممارسات الإجتماعية والثقافية التي تقتلع المجتمع إقتلاعا من تحت أنقاض البنى والعلاقات القديمة البالية، ولعل أبسط نموذج على ذلك المشاركة السياسية للمرأة الجزائرية¹.

فلقد أوضحت الدراسات المتعلقة بمشاركة المرأة في الحياة السياسية، تطورها من المجال المنزلي إلى المجال السياسي ثم الرجوع مرة أخرى إلى المجال الأول الخاص بها مثل ما جاء في الدراسات الجزائرية الفرانكوفونية، فهذه الدراسات تدل على أننا ما زلنا نعيش في أسطورة الدولة والمواطنة وأن ضعف مشاركة النساء في الحياة السياسية ظاهرة عالمية تعبر عن السيطرة الذكورية لإحتكار الرجل المجال السياسي وغياب المرأة عن مراكز القرار.

تضيف إحدى الباحثات الجزائريات أن مكانة المرأة كمواطنة، وكمنتخبة، يخضع لمكانتها داخل الوسط العائلي و الذي مهما كان موقفه من دخول المرأة العمل السياسي (قبولا و رفضا)، فإنه ينظر إليه كإمتداد للمكانة التي تحتلها المرأة في الوسط العائلي مما يؤدي إلى ظهور خاصيتين حول مشاركة المرأة في الوظائف السياسية المنتخبة. فالخاصية الأولى تتعلق بمشاركتها الضعيفة في الإنتخابات، لأن مشاركتها مرهونة بتخلصها من التبعية للسلطة الذكورية داخل العائلة من جهة، و الإلتزامات المنزلية المرتبطة بمكانتها في العائلة، أما الخاصية الثانية، فتتعلق بمشاركتها

¹ - P.BOURDIEU : le sens pratique. Paris.ed.minuit ;1980.F.SAI : la participation des femmes au assemblées populaires ,enquête sur les élus de l'ouest algérien, université d'Oran, 1987

النوعية الضعيفة داخل المؤسسات المنتخبة حيث لا تمنح لها إلا الهياكل والأدوار الإستشارية ذات الصبغة الإجتماعية والثقافية القريبة من مهامها المنزلية التي يبدو أنها لا تفارقها حتى عندما تخرج للعمل السياسي الرسمي ... هذه الصورة والتي لا تنطبق على المهام السياسية المحلية بل تتعداها حتى لتلك المهام السياسية العليا، كمنصب الوزارة مثلا، حيث يمكن ملاحظة سيطرة نفس المنطق، فكل النساء اللاتي وصلن إلى منصب الوزارة في الحكومات المتعاقبة منذ 1982، أكّدت هذه الفكرة بحيث لم تمنح النساء القليلات إلا وزارات كالتضامن العائلي والتربية و شؤون المرأة والطفل. كما كان ترشحها للإنتخابات التعددية عاديا جدا بالمقارنة مع التجربة الأحادية. 57 امرأة فقط ترشّحن للإنتخابات التشريعية وهو ما يؤكد مرة أخرى، الإستمرارية التي تميّز بعض الظواهر السوسيولوجية - السياسية، كالموقف من المرأة في مجتمع محافظ. الأکید كذلك أن موقف العائلات السياسية الدينية ونظرا لحجمها الكبير ضمن العملية الإنتخابية قد أسهم في عدم ولوج المرأة العملية السياسية التعددية، وهو الموقف المتّسم بالتزمّت الكبير جدا.

يبقى إذن موضوع حقوق المرأة الموضوع الكلاسيكي الذي يؤكد أن الواقع عكس ذلك، وفي إنتظار التغيير في إطار التوليفة المعقدة بين التقليدي والعصري فالمرأة، لا زالت غير مقبولة كمرشحة لمناصب سياسية وطنية في الكثير من مناطق التراب الوطني خاصة الريفية.¹

المطلب الأول : أهمية المشاركة السياسية للمرأة :

عاشت المرأة في الأزمنة الماضية مرحلة كانت تظلم المرأة وتستغلها إستغلالا بشعا، وتسلب أمنها وتكئء على تعاستها وتعمل على تشتيت أمرها وهدر طاقتها وإستغلال جهدها وإستغلالها. وعلى رأس ما يسلب منها من أمن، هو قدرتها على التعبير عن نفسها وإثبات موقفها ومحاولة الحصول على أبسط حقوقها الفكرية، بالرغم من أن وضع المرأة في المجتمع هو المؤشر على رقيّ ووعي المجتمع وتحضره. عند النظر إلى وضع المرأة في بلادنا العربية، نجد أنّها تعيش نوعاً من التهميش والإستغلال، حيث تعيش بين نارين، نار العادات والتقاليد التي تحدّ من نشاطها الإجتماعي والسياسي وتكبّل حركتها وتمنعها من أداء دورها وواجبها إتجاه المجتمع بإسم الدين، وبين نار التقليد الأعمى والنقل الغير مدروس والغير مراعي لطبيعة أخلاق وثقافة وتديّن

¹ - عبد الناصر جابي، الإنتخابات، الدولة و المجتمع، دار القصة للنشر، ط1، الجزائر، 2002.

مجتمعاتنا من المجتمعات الغربية و الذين وجّهوا المرأة الجهة الخاطئة وظلموها وإستغلّوها أبشع إستغلال، وشغلوها عن نفسها وبيتها و خالقها و عن مصيرها الموعود .
 وإتخاذ تدابير حقيقية و فعّالة عن طريق تمكين المرأة سياسياً، يعدّ مدخلاً مهماً لمعالجة إشكالات ومعضلات سياسية وإجتماعية وإقتصادية كبرى، وتعتبر المشاركة السياسية إحدى أهمّ هذه المداخل، نظراً لكونها تتيح المساهمة في تدبير الشّان العام و السّياسي بشكل ديمقراطي.
 وإذا كانت هذه المشاركة تجد أساسها ضمن مقتضيات الدساتير المحليّة والمواثيق والإتفاقيات الدوليّة التي تقوم على مبدأ المساواة بين المواطنين في الحقوق و الواجبات، فإنّ واقع الممارسة الدوليّة، يبرز أنّ حضور المرأة في مختلف مراكز القرار الحيويّة يظلّ محدوداً، ولا يعكس كفاءتها و إمكانيّاتها.

فبالنسبة للمرأة، فإنّ أهميّة مشاركتها السياسية تأخذ طابعاً خاصاً نظراً لخصوصيّة قضية المرأة التي هي قضية إلغاء جميع أشكال التمييز القائمة ضدّها في المجتمع من أجل تحقيق المساواة وتكافؤ الفرص بينها و بين الرّجل، لذلك فإنّ أهميّة مشاركتها السياسية لها أبعاد أخرى :
 - فهي التي تخرج المرأة من الحيز الخاص و المتمثل في الأسرة و تشركها في الحيز العام.
 - هي تساعد في إعادة النظر بالتصوّرات والرؤى التي تحكم تقاسم الأدوار بين الرجل و المرأة.
 - هي التي تدفع بقضية المرأة إلى أن تصبح قضية إجتماعية عامّة وليست قضية على هامش قضايا المجتمع تعنى بها المرأة فقط.

-إنّ مشاركة المرأة في صنع القرارات على جميع المستويات تمكّن النساء من الحصول على الحقوق والمساهمة في إدارة وتوجيه المجتمع.
 -إنّ أهميّة مشاركة المرأة السياسية في المستويات المختلفة تخدم فكرة المساواة ليس بين الجنسين فقط، بل بين جميع المواطنين وتطبيق حقيقي لمفهوم المشاركة الذي يعتبر الأساس في الممارسة الديمقراطيّة. فوجود المرأة في موقع صنع القرار يخدم المجتمع في كافّة قضاياها وجوانبه¹

¹ - عبد الناصر جابي، الإنتخابات، الدولة و المجتمع، دار القصة للنشر، ط1، الجزائر، 2002.

-إنّ مشاركة المرأة في الحياة السياسيّة على قدم المساواة مع الرّجل تشكّل إحدى آليات التّغيير الديمقراطي في المجتمع التي تساهم في إعادة تركيب بنيته ونظامه السياسي إستناداً إلى مصالح وحاجات المواطنين الفعليّة.

- تعتبر المشاركة السياسيّة بالنسبة للمرأة مؤشّر دلالة لنموّ وتعزيز مشاركة المواطن ومعيّار لإعادة توزيع علاقات القوّة بين الجنسين و تحسين آليات الممارسة الديمقراطيّة. إنّ وجود المرأة في مراكز القوّة والسّلطة سيحقّق المصالح المرتبطة بها وإبراز قضاياها و الدّفاع عن حقوقها والتّسريع في إعطائها دوراً حقيقيّاً في عمليّة التّنمية للمجتمع بشكل عام، وكلّ ذلك يعود لما لهذه المراكز - القوّة و السّلطة - من تأثير في حياة المرأة.

- المشاركة السياسيّة تعطي المرأة قدرة أكبر على التّحكم في أمور حياتها وأمور الآخرين سواءً في أسرتها أو مجتمعها وذلك من خلال تمكينها من الحصول على حقوقها وتحقيق مصالحها والدّفاع عنها.

وعلى الرغم من أهميّة مشاركة النّساء في الحياة العامّة للأسباب التي ورد ذكرها، وبالرّغم من جهد الحركة النّسائية للمطالبة بالمساواة، والتي أدّت إلى حصول المرأة على الحقّ في الانتخاب والتّرشيح، وإستفادة الفتيات من فرص التّعليم مع إزدياد عدد المدارس و إنخراط عدد من النّساء في العمل على إمتداد قطاعاته، لكنّ هذه المعطيات الإيجابية لا تؤشّر إلى إنعدام التّمييز بحقّ المرأة، إذ أنّ النّظام الإجمالي بصفة عامّة ما زال متأثراً بالقيم التقليديّة القائمة على الإنقاص من شأن المرأة و التّسليم بتبعيتها، و عدم توظيف قدراتها و كفاءاتها في موقع القرار. و تشير التّقارير الوطنيّة و الدّولية إلى أنّ المواقف والممارسات السّلبية بحقّ المرأة غالباً ما تبدأ من الأسرة، و أنّ تقسيم العمل والمسؤوليّات على أساس علاقات سلطوية غير قائمة على المساواة، يحدّ من قدرة المرأة على إيجاد الوقت اللازم لتنمية المهارات اللاّزمة للإشترك في عمليّة صنع القرار. كذلك الواقع السياسي القائم على تقاسم الحصص بشكل قائم على التوزيع الطّائفي و المذهبي و المناطقي، إضافة إلى ضعف أو شبه غياب القوى الديمقراطيّة، كلّ ذلك يعرقل من بروز قضيّة المرأة في الشّأن العام.¹

¹ - عبد الناصر جابي، الانتخابات، الدولة و المجتمع، دار القصة للنشر، ط1، الجزائر، 2002.

وعليه، يمكن تلخيص بعض المعوقات التي تمنع النساء من المشاركة السياسية فيما يلي :

معوقات إجتماعية ثقافية :

- الموروث الثقافي : إن الثقافة الإجتماعية السائدة، خاصة الثقافة الشعبية ترمي بثقلها على المواطنين ذكورا وإناثا على السواء، وهي تنطلق من وصاية الرجل وسلطته على المرأة و تكريس قسمة الأدوار التاريخية بين الجنسين عبر تحديد دور المرأة ضمن الأسرة (الدور الإيجابي ورعاية الأسرة) مقابل الدور السياسي والتغييري والإنتاجي، هو من أدوار الرجل، مما يلقي كامل الأعباء الأسرية على عاتق المرأة.
- سيطرة الموروث الإجتماعي والنظام الذكوري/ الأبوي على العادات والتقاليد المجتمعية السائدة، مما يكرّس وينمي القيم التمييزية ضد المرأة ويشجع على تسليط العنف عليها، مما يعيد إنتاج ويفرض ويكرّس قسمة الأدوار النمطية للرجال والنساء.
- ضعف قواعد إستقلالية المرأة و تبعيتها الدائمة للرجل مما يزيد من صعوبات مشاركتها المستقلة وتمثيلها المستقل.
- الجمع بين العمل خارج المنزل والعمل داخل المنزل، خاصة وأن أعباء الأسرة في غالب الأحيان ملقاة بكاملها على المرأة.

معوقات سياسية :

- إن ميدان العمل السياسي يتميز بسيطرة ذكورية تاريخية وهيمنة تمثيل الذكور على حساب تمثيل النساء، و بالتالي فإن البنية السياسية تكرر نمط العلاقات الذكورية المسيطرة تقليديا في المجتمع حسب قسمة الأدوار التاريخية بين الجنسين.
- غياب ثقافة الديمقراطية وحقوق الإنسان وشيوع ثقافة الإستبداد والتسلط، وبالتالي يحرم المواطنين من الإنتخابات الحرة والحريات العامة التي تزيد من حرمان المرأة من المشاركة والتمثيل.¹

¹ - عبد الناصر جابي، الإنتخابات، الدولة و المجتمع، دار القصة للنشر، ط1، الجزائر، 2002.

- ضعف القوى الديمقراطية والمجتمع المدني في المجتمعات العربية و تغييب دور المرأة فيها، مما يساهم في تهميش مشاركة المرأة السياسية.
- هيمنة العقلية القبلية العشائرية والطائفية في بنية المجتمع العربي مما يعطيه طابع المجتمع الأهلي وليس المجتمع المدني، حيث تزداد مشاركة المواطن.
- ضعف الأحزاب السياسية التي يمكن إعتبارها مؤسسات ذكورية بإمتياز وهيمنة نظام الحزب الواحد الحاكم في معظم الدول العربية.
- ضعف مشاركة المرأة في الشأن العام وضعف إنخراطها في الأحزاب السياسية يحرم المرأة من فرصتها في التدريب و المشاركة و التعرف على العملية السياسية ويقلل من فرص بروز قيادات نسائية.
- بنية الأنظمة السياسية التي تسودها العشائرية أو القبلية أو الطائفية أو العائلية، وعليه فإن طابع التنافس الإنتخابي هو عائلي - سياسي - طائفي، مما يخلق صعوبة من ناحية وصول النساء إلى مراكز صنع القرار فلا تستطيع المرأة جون مباركة وموافقة العائلة أن تشارك في الشأن العام والترشح للإنتخابات خاصة أن العائلات، والعشائر والطوائف لا تقبل أن تمثلها النساء.

معوقات إقتصادية :

- إنتشار الفقر وقلة المدخول.
- إرتفاع نسبة البطالة بين النساء، وقد أشارت العديد من الدراسات والأبحاث، على العلاقة الطردية بين إرتفاع نشاط المرأة الإقتصادي و إرتفاع نسبة مشاركتها وتمثيلها السياسي في الحياة العامة.
- النساء لا يملكن الثروات التي تمكّنهنّ من خوض العمليات الإنتخابية في ظل غياب وإنفلات السقف المالي للحملات الإنتخابية.¹

¹ - عبد الناصر جابي، الإنتخابات، الدولة و المجتمع، دار القصة للنشر، ط1، الجزائر، 2002.

معوقات خاصة بالمرأة :

- ضعف خبرة المرأة في المجال السياسي، حتى الحركات النسوية العربية لا تقوم بتمكين النساء للعمل السياسي وتدريبهنّ على القيادة.
- صورة المرأة عن ذاتها وضعف ثقتها بنفسها و عدم وعيها بأهمية دورها السياسي.
- ارتفاع نسبة الأمية بين النساء، خاصة الأمية السياسية والأمية القانونية.
- وبالتالي، لأبد من النظر في إستراتيجيات إزالة أو تخفيف العقبات للتقدم بمشاركة المرأة في الحياة السياسية والإستفادة من الفرص المتاحة وتوفير بعض الشروط والعوامل والقوى لتسهيل ذلك.
- فحتى تشارك المرأة بفعالية أكبر في الحياة السياسية، عليها الوصول إلى المواقع المقدر لها الفوز على القوائم الحزبية وإلى المناصب العامة والقيادية المنتخبة، كما تحتاج أيضا الوصول إلى صنّاع القرار وحثّهم من أجل تقديم الدعم لمشاركة المرأة السياسة وخلق الفرص أمامها لتحقيق التقدم إلى جانب ضرورة ضمان الحقوق القانونية للمرأة لأن ذلك يساعد في توفير مسار لها نحو السلطة السياسية ويساعد في الوصول إلى مواقع صنع القرار.
- ويعتبر الدعم من القيادات الموجودة أمرا ضروريا لتحقيق التغيير، لأن الإرادة السياسية تساعد في تيسير تنفيذ السياسات الجديدة و تطبيقها.¹
- وتحتاج المرأة أيضا إلى الوصول إلى الموارد المادية والإقتصادية لتخطي سوء الحالة الإقتصادية لها وفقرها النسبي والتي تشكّل عوائق هامة غالبا ما تمنع إقدامها على المشاركة السياسية وذلك عن طريق التمكين الإقتصادي. فقدرة المرأة على تحقيق الإستقلالية الإقتصادية أو الوصول إلى الموارد الإقتصادية أمر هام جدا لتحقيق المزيد من المشاركة في الحياة السياسية، وهي أيضا بحاجة ماسّة إلى المساحة الديمقراطية والثقافية اللازمة للمشاركة في السياسة بشكل مفتوح، فلا بد من نشر الوعي حول المساواة بين الجنسين في الحقوق والواجبات والوسائل التي من خلالها تشكّل الأدوار النموذجين للجنسين، ولأنه من الممكن أن تكون القواعد الثقافية عاملا محبطا للنساء في المشاركة في الحياة السياسية، فيفترض بالمواطنين أن يكونوا مستعدين لقبول أفكار جديدة حول أدوار الجنسين في المجتمع.

¹ - إتجاهات المرأة نحو المشاركة السياسية في ضوء بعض المتغيرات الديمقراطية دراسة ميدانية بمدينة ورقلة، د الزهرة باعمر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة (الجزائر).

ولن تنجح المرأة إلا في حال تمتعت بالإمكانية اللازمة لتحقيق النجاح. فلتحقيق الإنجازات على الساحة السياسية قد تحتاج نساء كثيرات إلى التدريب و غير ذلك من فرص التنمية المهنية مثل الإرشاد والتدريب لبناء المعرفة والمهارات ومستويات الخبرة لتكن فاعلات و يثبتن ما تقدر عليه النساء عندما يمنحن الفرصة. ويقع على عاتق الحركة النسوية في منظمات المجتمع المدني تمكين ناشطات وتدريبهن على القيادة ليكنّ جاهزات لدخول المعترك السياسي وإطلاق حملات مناصرة لنشر ثقافة حقوق الإنسان وإعتبار حقوق النساء جزء لا يتجزأ منها، والتعاون مع ¹ القوى السياسية من أجل تعزيز مشاركة المرأة السياسية ووصولها إلى مركز صنع القرار بالتساوي مع الرجل.

بالإضافة إلى ذلك، تحتاج المرأة لتتّمي ثققتها في إستخدام صوتها، ومن هنا لا بد من تمكينها على المستوى الفردي، على الرغم من أن صوت بعض النساء الواثقات من أنفسهنّ قد لا يسمع، مما يستدعي الحاجة أيضا إلى كتلة من النساء أو صوت جماعي، فثمة قوة وسلطة في الأعداد. إن مشاركة النساء في الحياة السياسية من أهم عناصر العملية الديمقراطية في الدولة وهي تعكس طبيعة النظام السياسي والإجتماعي فيها، كما وتقاس درجة نمو المجتمعات بمقدار قدرتها على دمج النساء في قضايا المجتمع العامة والخاصة وتعزيز قدراتهنّ للمساهمة في العملية التنموية فيه. وتعمل الهيئات الدولية والوطنية في معظم البلاد على الإهتمام بقضية مشاركة المرأة في إدارة المجتمع ذلك أنه رغم النجاحات التي أحرزتها المرأة في العالم المعاصر، ما يزال المجال السياسي في العالم رجاليا، وتسعى الهيئات المختلفة إلى تشجيع المرأة على دخول هذا المجال

المطلب الثاني : التمثيل السياسي للمرأة الجزائرية في المجالس المنتخبة :

لقد شكّل موضوع توسيع حظوظ تواجد المرأة في المجالس المنتخبة نقاشا هاماً و واسعاً في اوساط المجتمع الجزائري، والفاعلين السياسيين، فرغم كلّ الإلتزامات القانونية الدولية والدستورية الوطنية المطبّقة سعيا الى تحقيق المساواة بين الرجل والمرأة، وتعزيز التّكفل بحقوقها، إلا أنّ الأوضاع الواقعية كشفت وجود العديد من العقبات التي تحول دون تمكّن المرأة من الحصول على كافّة حقوقها، لاسيما السياسية منها، وقد دفع هذا الوضع بالمشرّع الجزائري إلى المبادرة بترقية

¹ - إتجاهات المرأة نحو المشاركة السياسية في ضوء بعض المتغيرات الديمقراطية دراسة ميدانية بمدينة ورقلة، د الزهرة باعمر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة (الجزائر).

الحقوق السياسية للمرأة في التعديل الدستوري لسنة 2008 كآل بعد ذلك بقانون عضوي حدّد من خلاله آليات توسيع حظوظ مشاركة المرأة في المجالس المنتخبة في سنة 2012، ورغم إرتفاع نسبة تواجد النساء في المجالس المنتخبة بعد تطبيقه، إلا أنه أثار جدلاً واسعاً على الصّعيد السياسي والاجتماعي، خاصّة بعد إقتراح ما يعرف بنظام (الكوتا)، الذي رفع من نسبة مشاركة المرأة في المجالس المنتخبة، والذي أخذت به حوالي 72 دولة في العالم لضمان تمثيل أوسع في المؤسسات السياسية و الأخذ بهذا النظام بالرغم من تحفّظ بعض الأطراف عليه كونها تعتقد أنه يكرّس مبدأ التمييز بين المرأة والرّجل ويشكّك في أهليّة المرأة و كفاءتها السياسية. ومن نظر أطراف أخرى، فهو يمثّل شكلاً من أشكال التدخّل الإيجابي لمساعدة المرأة في التغلّب على العوائق التي تحدّ من مشاركتها السياسية مقارنة بأقرانها الرّجال.¹

أولاً : المشاركة السياسية :

تعتبر المشاركة السياسية الركيزة لتجسيد الديمقراطية، فهي عامل من العوامل التي تساهم في تقدم ورقي أيّ مجتمع من المجتمعات، حيث يمكن خلالها التعبير بحرية الآراء والمقترحات وبالتالي التأثير في القرارات الحكومية والسياسية العامة للبلاد، كما أنها تنمّي الشعور بالمسؤولية وروح المبادرة والولاء للمجتمع لدى الأفراد.²

لذلك، فإن المشاركة السياسية للمرأة على وجه الخصوص تزيد من فاعلية المشاركة السياسية للمواطنين على المستوى الوطني وعلى المستوى الدولي. فإن طرح مشاركة المرأة سياسياً هو جزء من الخطاب الدولي العالمي حول المرأة وفي موثيق الأمم المتحدة من أجل إدماجها في التنمية الاجتماعية والتنمية السياسية، ما أصطلح على تسميته " عملية التمكين "، ومن جهة ثالث، تعدّ درجة المشاركة السياسية للمرأة في المجتمع نتاج تفاعل بين الخطاب الدولي وثقافة المجتمع و درجة تطور وعيه.³

1 - الأستاذ لمعديني محمد، أستاذ مساعد "أ" كلية الحقوق و العلوم السياسية جامعة محمد خيثر بسكرة، "دور النظام الانتخابي في تفعيل المشاركة السياسية للمرأة في الجزائر، دراسة نظرية و قانونية".

2 - لطفية لطف المهدي، المتغيرات النفسية الاجتماعية. بالمشاركة السياسية للمرأة اليمينية، رسالة لنيل درجة دكتوراه في علم النفس السياسي، جامعة القاهرة 2012، ص 24.

3 - عزة جلال هاشم، المشاركة السياسية للمرأة الإيرانية، مركز الإمارات للدراسات و البحوث الإستراتيجية، أبوظبي 2007، ص 7.

فهي تساهم في نقل وإيصال رغبات وإقتراحات المواطنين، سواء كان امرأة أو رجل إلى الحكومات من أجل تحقيقها لتطلعات هؤلاء المواطنين من أجل شعورهم بالرضى عن حكوماتهم وبقيمنتهم في مجتمعهم، فهي وسيلة إتصال بين الشعب و حكومته¹.

كما ترتبط المشاركة السياسية بالمواطنة التي تقوم على أساس المساواة بين الرجل والمرأة، وأهم مؤشر للديمقراطية في أيّ نظام سياسي هو مشاركة المرأة السياسية، وأيّ ضعف لآليات القوى الديمقراطية في المجتمع يؤدي إلى تهميشها. وعليه فإن العلاقة بين نسبة المشاركة ونمو وتطور المجتمع مرهون بها، إذ تقاس درجة نمو هذه المجتمعات بمقدار قدرتها على دمج النساء في القضايا السياسية وتعزيز مساهمتها في العملية التنموية التي تدفع بقضية المرأة لتصبح قضية عالمية، وممارسة حقوقها في المشاركة السياسية الذي هو حق مشروع لها بكفالة القوانين والدساتير.

لذلك، فإن بمشاركة المرأة في المجال السياسي، تحقق المساواة بين الجنسين وتكافؤ الفرص والعدالة بينهما سياسيا و إقتصاديا وإجتماعيا، فهي آلية من آليات التعبير عن الديمقراطية التي تعمل على تغيير الثقافة المجتمعية التي تميل نحو الهيمنة الذكورية.

وبعد إنتهاج الدولة الجزائرية لسياسات الإصلاح الإنتخابي والتغيرات السياسية التي كانت على كافة الأصعدة، ساهم في إجتياح المرأة الجزائرية عالم السياسة، لتتشكّل علاقة طردية بين العدد الإجمالي للمقاعد وعدد النساء، فالزيادة في عدد المقاعد الإجمالية يتبعها زيادة في عدد الممثلات النيابيات، وهوما بيّن القفزة النوعية التي شهدتها الممارسة السياسية للمرأة بتمثيلها النيابي الذي قفز من 26 مقعدا سنة 2002 إلى 146 مقعدا في أواخر 2016 أين كان العدد الإجمالي للمقاعد مقدرا بـ 462 مقعدا. و في هذا الصدد ترجع الخبيرة معتوق فتحية في دراستها المسحية الخاصة بالتمكين السياسي للمرأة الصادرة عن الوزارة المنتدبة المكلفة بالأسرة وقضايا المرأة أسباب الإرتفاع في نسبة تواجد المرأة في البرلمان إلى :

¹ - رشاد علي عبد العزيز موسى، علم النفس السياسي، المشاركة السياسية و علاقتها ببعض المتغيرات النفسية لدى عيّنة من طلاب و طالبات الجامعة، دار الفكر العربي، نصر، القاهرة 2001، ص 17.

- الرفع من نسبة المشاركات السياسية من خلال تطبيق نظام الحصص الذي أقرّه المؤتمر الوطني الثامن الذي إنعقد في 2003، وهو ما أعطى نتائج جد مهمة من أجل زيادة مردودية المشاركة النسوية داخل الأحزاب إستجابة لمطلب الإنسجام مع التحولات المتعددة التي شهدتها الجزائر.¹

- إدراك الأحزاب لضرورة وجود المرأة في الهيئات الحزبية المحلية والولائية، بل وفي كل الخلايا، فبموجب مشروع الكوطا، الذي إستحدثه الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، فرض على الأحزاب إقحام العنصر النسوي ضمن القوائم المرشحة للإنتخابات، وقيّم وزن هذه الأحزاب بقيمة التمثيل النسوي فيها.

- إدماج المرأة و مشاركتها في المجالس المنتخبة زاد من حضورها في الإنتخابات وعمليات إتخاذ القرار والقيادة، وهذا ما شجعها على ممارسة حقها الأساسي بالمساواة مع الرجل مثلما أتفق عليه قانونيا وأخلاقيا في الدستور.

وأضافت الخبرة معتوق فتحية في خلاصة تقريرها، أنه في حالة عدم العمل بنظام الحصص الذي تطالب به النساء في الأحزاب والجمعيات ستعرقل عملية بناء القوة السياسية لدى النساء وستقضي على كل أساليب المرونة السياسية والتكيف مع التغيرات والتطورات، لذلك لا بد من إستثمار رصيد مشاركتها من أجل حماية حقوقها و صيانتها وتوسيع مجال مشاركتها.²

ثانيا : المرأة الجزائرية من النضال المسلح إلى الممارسة السياسية :

إنّ دور المرأة الجزائرية و مهامّها تكاملت و تنامت مع أيّام و سنوات ثورة التّحرير الكبرى، إنّها المرأة التي ترابطت في الشوارع و الأرصفة، راصدة تحركات العدوّ وتفتح بيتها وتهيء عائلتها كلّهم لخدمة فوج من الفدائيين فجأة و لفترة ما من الزّمن كثيراً ما تطول. وهي التي حملت العتاد والألبسة والتّقارير والمناشير ومختلف الوثائق السّرية من مكان إلى مكان، عابرة الحواجز العسكرية والمعنوية، فلقد عملت كرابط إتصال وتبليغ بين خلايا الثّوار في المدينة الكبيرة وعندما ينكشف أمرها أو يتمّ القبض على أحد رفاقها وتعذيبه تشدّ الرحال إلى الأرياف تاركة وراءها الأهل والزّوج و الأولاد، لتشارك في المعارك الكبرى بشكل مباشر فتجرح وتستنشهد.

1 - الأستاذ لمعيني محمد، أستاذ مساعد "أ" كلية الحقوق و العلوم السياسية جامعة محمد خيثر بسكرة، "دور النظام الإنتخابي في تفعيل المشاركة السياسية للمرأة في الجزائر، دراسة نظرية و قانونية".

2 - فتحية معتوق، الدراسة المسحية الخاصة بالتمكين السياسي للمرأة، الوزارة المنتدبة المكلفة بالأسرة و قضايا المرأة، ص 18-59.

هذه هي إذن سيرة معظم النساء الجزائريات اللاتي إفتكن حقاً كان حكرأ على الرجال وإفتكت بذلك جدارة كان المستعمر بالأمس لا يريد لها حتى للرجال في الجزائر.

ولقد كانت المشاركة الفعالة للمرأة الجزائرية في الثورة الجزائرية، واحدة من العناصر التي جعلت العديد من الأصوات النسائية بعد إستعادة الإستقلال ترتفع عالياً و تدعو إلى ضرورة تمكين المرأة من الوصول إلى مصدر القرار. فلقد دعت إلى ضرورة إلغاء التمييز بين الرجل والمرأة ومنحها فرصاً كبيرةً للوصول إلى مختلف مواقع المسؤولية.¹

ومما يلاحظ، أنه وبالرغم من الماضي المشرف للمرأة الجزائرية وكذا بعض النصوص القانونية التي ظهرت للوجود خلال الـ 56 عاماً الماضية، فإن بعض الذهنيات والتقاليد والأعراف ظلت تقيد مسألة إسهام المرأة بشكل بارز في الحياة السياسية.

صحيح أن القوانين السابقة بما فيها دستور فبراير 1989 الذي أقر التعددية السياسية والإعلامية في عهد الرئيس الراحل الشاذلي بن جديد، قد فتح المجال للمرأة لتساهم في الحياة السياسية، إذ بفضل هذا الدستور تشكلت عشرات الجمعيات والتنظيمات النسائية، حتى أن إحدى المناضلات التروتسكيات التي كانت تنشط في السرّ أعتقلت أكثر من مرّة، وأصبحت تنزع لأول مرة حزباً سياسياً إعترف به القانون الجديد للأحزاب، و هو حزب العمال الذي ترأسته السيدة لويزة حنون.* فلقد خاضت هذه السيدة أكثر من إستحقاق رئاسي، وتعدّ المجموعة البرلمانية التي تنتمي إلى حزبها، الرابعة في تركيبة المجلس الشعبي الوطني من النواب بعد أن كان لديها في تشريعات 1997 أربعة نواب فقط.

وبموجب القانون الذي أقرّ ما أصبح يعرف بالكوتا والذي دخل حيز التطبيق مع الإنتخابات التشريعية في 2012، إرتفعت نسبة تواجد المرأة في المجالس المنتخبة بشكل معتبر مما جعل المرأة الجزائرية الأولى عربياً بنسبة تفوق 30 % في البرلمان. فإذا كانت نسبة تمثيل المرأة وصلت إلى 5 % في أول مجلس إنتقالي ضمّ 194 نائباً من بينهم 10 نساء عام 192، أي مع فجر الإستقلال، فإن تلك النسبة سرعان ما تراجعت في المجلس الوطني

1 - الحوار، يومية وطنية مستقلة، " مساهمات "، المرأة الجزائرية من النضال المسلح إلى الممارسة السياسية، محاضرة محمد بوغرارة، كاتب صحفي و نائب سابق بالمجلس الشعبي الوطني.

الندوة الإقليمية حول مشاركة المرأة في الحياة السياسية، مركز الدراسات المتوسطة و الدولية، تونس، 14، 15 أفريل 2017.

* : لويزة حنون، من مواليد 1954/04/07، امرأة سياسية جزائرية و الأمانة العامة لحزب العمال المعارض في الجزائر

عام 1963 لتكون في حدود 1,47 %، ولم تتجاوز هذه النسبة حتى عام 2002 حدود 10 % ولكنها قفزت إلى 31,6 % في إنتخابات 2012، إذ أن من بين 462 نائب في المجلس الشعبي، هناك 145 امرأة، وهي نسبة تفوق بكثير المعدل العالمي المقدر حالياً بـ 20,3%¹.

وإذا كان لا بدّ من ملاحظة نبديها في هذا الصّدّد، فإنّ نضال المرأة الجزائرية بالأمس إلى جانب الرّجل، كان مبنياً على قيم وطنية وإنسانية نبيلة تتبع أساساً من مبدأ نبيل يتعلّق بمحاربة الإحتلال والظلم والقهر الذي كان يتعرض له الشعب الجزائري، فإن ممارسة السياسة اليوم من قبل المرأة، يجب أن تبنى على مجموعة من الأهداف والمقاييس والقيم منها، ضرورة قدرة إسهام المرأة في بناء الوطن وتحقيق التنمية إقتصاديًا و إجتماعيًا وثقافيًا و سياسيًا، وأن يتم تقييمها وفق إعتبرات الكفاءة وحسن التسيير والقدرة على العطاء والتكيف مع مجريات الحياة، وليس وفق منظور الكوطة الذي يحصرها في محيطها الأنثوي، وعلى أساس أنها امرأة فقط، إنطلاقاً من منظور المادتين 29 و31 من نص الدستور المعدل في عام 2016 التي تؤكد على أن المواطنين سواسية أمام القانون، وأنّه لا يمكن التذرع بأيّ تمييز سببه المولد أو العرق أو الجنس أو أيّ شرط أو ظرف آخر شخصي أو إجتماعي وأنّ المؤسسات تستهدف ضمان مساواة كلّ المواطنين والمواطنات في الحقوق والواجبات بإزالة العقبات التي تعوق تفتح شخصية الإنسان وتحويل دون مشاركة الجميع الفعلية في الحياة السّياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية.

فهذا المنظور البعيد عن الكوطة، يجعل من المرأة شريكاً فاعلاً في بناء المجتمع سياسياً وفي مختلف مجالات التنمية، إذ لا يجب أن ينظر للمرأة على أنها مجرد ديكور تمنح لها الكوطة تلك النسبة لتكون عضواً في البرلمان أو أيّ مجال آخر، بل لا بد من مراعاة كفاءتها وقدرتها السياسية والنضالية التي تؤهلها لتكون صاحبة قرار في أكثر من موقع تماماً كما هو الحال بالنسبة للرّجل الذي يجب أن يتمّ تقييمه على أساس كفاءته وقدرته على الخلق والإبداع والعطاء وحسن التسيير وليس لكونه مجرد رجل يصبح هذا المنصب أو ذاك حقاً مكتسباً له بالوراثة الرجولية.

¹ - الحوار، يومية وطنية مستقلة، " مساهمات "، المرأة الجزائرية من النضال المسلح إلى الممارسة السياسية، محاضرة محمد بوغرارة، كاتب صحفي و نائب سابق بالمجلس الشعبي الوطني.
الندوة الإقليمية حول مشاركة المرأة في الحياة السياسية، مركز الدراسات المتوسطة و الدولية، تونس، 14، 15 أفريل 2017.

ولاشك أن عامل الوقت و تطور الذهنيات ومستوى التعليم والممارسة السياسية والكفاءة عناصر كفيلة بأن تجعل من المساواة بين الرجل والمرأة في مختلف المجالات بما في ذلك المجال السياسي، واقعا معاشا يرى في الكوطة مجرد وسيلة إستخدمت لتغيير الذهنيات المتحجرة، وليس لفرض أمر واقع.¹

ثالثا: الحقوق السياسية للمرأة في الجزائر بين الإتفاقيات الدولية و النصوص الدستورية :

إنضمت الجزائر إلى الإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة 1963، وقد بدا واضحا إلتزامها بكل ما يتعلق بمبدأ المساواة بين الجنسين سعيا منها إلى تكريس مبدأ الوحدة والتكافل بين أفراد المجتمع الجزائري بعد الإستقلال، حيث صادقت الجزائر في 16/05/1989 على العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسة²، ثم صادقت على إتفاقية القضاء على كل أشكال التمييز ضد المرأة في 22/01/1996 مع بعض التحفظات على بعض المواد³.

كما صادقت الجزائر على كل الإتفاقيات الدولية المتعلقة بحماية حقوق الإنسان عامة وتلك المتعلقة بحقوق المرأة خصوصا، و إعتبرت الإلتزامات الدولية قاعدة تعلق القوانين الوطنية، وقد أكد ذلك المجلس الدستوري الجزائري في قراره الصادر في 20 أوت 1989.

و لقد تجسد إلتزام الجزائر بهذا الميثاق الدولية في النصوص الدستورية التي إعتبرت الحريات الأساسية وحقوق الإنسان مضمونة لكل مواطن وفي مقدمتها مبدأ المساواة بين المواطنين، وهو ما تضمنته الدساتير الجزائرية المتتالية، إلا أن تلك الضمانات لم تستطع أن تمنح المرأة جميع حقوقها السياسية، فقد أكد قانون الإنتخابات على مبدأ المساواة بين الجنسين في الإنتخاب و الترشح، إلا أن حظوظ تواجد المرأة في مختلف المجالس المنتخبة ضعيفة جدا، بل و حتى إدراجها في كثير من القوائم الإنتخابية الحزبية كانت بمثابة واجهة لجلب أكبر عدد من الكتلة الناخبة النسوية، أكثر من تمكينها من الحصول على مقعد في المجلس المنتخب.

¹ - محاضرة محمد بوغرارة، الندوة الإقليمية حول مشاركة المرأة في الحياة السياسية، منظمة من مركز الدراسات المتوسطية والدولية في 14 أفريل 2017.

² - المرسوم الرئاسي رقم 89-67 المؤرخ في 16 ماي 1989 و المتضمن الإلتزام إلى العهد الدولي الخاص بالحقوق الإقتصادية و الإجتماعية و الثقافية و الحقوق المدنية و السياسية و البرتكول الإختياري الخاص بالحقوق السياسية و المدنية الموافق عليه من طرف الجمعية العامة للأمم المتحدة في 16/12/1966، الجريدة الرسمية العدد: 20، 1989/05/17، ص 531، 532.

³ - الجريدة الرسمية، العدد 06، 1996/01/24، ص 4.

وقصد تجاوز هذه العقبات وتوسيع إمكانية تواجدها في مختلف المجالس المنتخبة، أكد التعديل الدستوري لسنة 2008 مسؤولية الدولة في العمل على مضاعفة حظوظها سعياً إلى تواجد أكبر لها، بالشكل الذي يعكس مكانتها الحقيقية في المجتمع. وتطبيقاً لهذا الإلتزام الدستوري، تمّ تعديل القانون الانتخابي، وإصدار قانون يوضح كيفية توسيع حظوظ تمثيل المرأة في المجالس المنتخبة.¹

وما يمكن إستخلاصه هنا، هو إلتزام الجزائر بمختلف الإتفاقيات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان عامة، وحقوق المرأة خاصة، إلا أنه بقيت نسبة تواجد النساء في المحافل السياسية ضعيفة، وهو الأمر الذي إستدعى من الحكومة الجزائرية إتخاذ التدابير اللازمة، من خلال فرض تمثيل نسبي يتماشى مع حجم النساء في المجتمع، سعياً إلى تمكينها من الدفاع على قضاياها، وتأسيساً على ذلك، ونظراً لعدم قدرة المرأة على منافسة الرجل في الوصول إلى قبة المجلس المنتخب، فإنه كان لزاماً إيجاد آلية كفيلة بتحقيق ذلك، ولو بعدد محدود لتشجيعها وتدريبها على المنافسة في هذا المجال، وتدريب الرجال على تقبل إنضمام النساء إلى المجالس المنتخبة، بغية كسر حاجز الأعراف والتقاليد الإجتماعية و الثقافية الراضة لذلك.

ولقد إستند المشرّع الجزائري في تبني نظام الكوتا على تجارب الدول الأوربية التي سبق لها ذلك، وإستقر على الأخذ بالنظام الإلجباري للحصص (الكوتا) ضمن قوائم المرشحين وفي المقاعد المتنافس عليها من كل قائمة بإعتبار هذا النظام أكثر الأنظمة إنسجاماً مع إتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، و لقد تمّ الأخذ بنسبة 30 % أي ما يعادل الثلث على أساس النسبة المعتمدة في معظم التجارب الديمقراطية التي أخذت بالنظام الإلجباري للحصص تراوحت النسبة بين 20 % إلى 50 %. ولم يستقر البرلمان على الثلث النسائي التي تقدم بها مشروع الحكومة، في كل قائمة ترشيحات للمجالس المنتخبة مستثنيا البلديات التي يقلّ عدد سكانها على عشرين ألف نسمة وغير الموجودة بمقرّات الدوائر، بل ذهب إلى تخصيص نسبة محددة لهمّ في قوائم الترشيحات وتعدّى ذلك إلى تخصيص نفس النسبة من المقاعد وجوباً للمترشحات حسب ترتيب أسمائهن في القوائم الفائزة.

¹ - القانون العضوي رقم 03-12 المؤرخ في 12 يناير 2012، يحدد كيفية توسيع حظوظ تمثيل المرأة في المجالس.

وعليه، وبحسب ما جاء في المادة الثانية من القانون العضوي رقم 03-12، فلقد توزعت النسب على النحو التالي :

1. بالنسبة لانتخابات المجلس الشعبي الوطني:

20 % عندما يكون عدد المقاعد يساوي أربعة (4) مقاعد، و 30 % عندما يكون عدد المقاعد يساوي أو يفوق خمس (5) مقاعد، و 35 % عندما يكون عدد المقاعد يساوي أو يفوق 14 مقعداً، و 40 % عندما يكون عدد المقاعد يساوي أو يفوق 32 مقعداً، و 50 % بالنسبة لمقاعد الجالية الوطنية بالخارج.

2. إنتخابات المجالس الشعبية الولائية :

عندما يكون عدد المقاعد 35 و 39 و 43 و 47 مقعداً، 30 % و 35 % عندما يكون عدد المقاعد من 51 إلى 55 مقعداً.

3. إنتخابات المجالس الشعبية البلدية :

30 % بالنسبة لانتخابات المجالس الشعبية البلدية لبلديات مقر الدوائر وكذا البلديات التي يفوق عدد سكانها 20.000 نسمة.

ولقد كان من مقاصد هذه المادة، هو تمكين المرأة من ممارسة العهدة المحلية وتسيير المجالس المنتخبة من خلال فرضها وإدماجها على قوائم المترشحين سواء المقدمة من طرف الأحزاب السياسية أو القوائم الحرة و إشتراكها في التسيير المحلي بالمساواة مع الرجل خصوصاً مع تنامي مساعي الدول الأوروبية في تحقيق هذه المساواة، بحيث حاول المشرع الجزائري جعل المرأة ضمن قائمة الفاعلين السياسيين في الإنتخابات المحلية، وذلك لتساهم في تسيير المجالس المحلية إلى جانب الرجل.¹

إلا أنه، وبالرغم من الجهود التي بذلتها الدولة الجزائرية لتحقيق المساواة الفعلية بين الجنسين في مجال حقّ الترشح و بالرغم من التعديل الدستوري لسنة 2008 وما تلاه من قانون عضوي المتعلق بتوسيع حظوظ المرأة و تخصيص مقاعد لها، وبالرغم من النتائج التي أسفرت عنها

¹ - يوسفى فايزة، تأثير النظام الإنتخابي الجزائري في تسيير الجماعات الإقليمية، أطروحة مقدمة من أجل الحصول على شهادة الدكتوراه، ميدان الحقوق و العلوم السياسية، فرع الحقوق، تخصص : قانون الجماعات المحلية، جامعة بجاية 2015، ص 68.

الانتخابات التشريعية الأخيرة و التي تبين لنا إرتفاع نسبة مشاركتها مقارنة بالانتخابات السابقة إلا أنّ هذه العوامل لوحدها ليست كافية لضمان مساواة حقيقية بين الجنسين و ذلك يعود طبعاً لعدة عوامل منها ما هو متعلق بالجانب الإجتماعي، ومنها ما يتعلق بالجانب الثقافي ومنها ما هو مرتبط بالجانب الإقتصادي.¹

¹ - بن دغيش نبيلة، التمثيل السياسي للمرأة في المجالس المنتخبة، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الحقوق، فرع القانون العام، جامعة بجاية، 2015.

خلاصة

فتحت الديمقراطية الباب واسعاً للمجتمعات البشرية لتقرر مصيرها من خلال الأحزاب السياسية التي شهدت بدورها توسعاً وعززت ممارستها للنشاط السياسي لتشمل جميع الشرائح والفئات العمرية دون إستثناء بما يتماشى والقوانين التنظيمية. ولم تكن الجزائر بعيدة عن هذه الأحداث بالرغم من أنها لم تعرف التعددية الحزبية والممارسة السياسية إلا أواخر الثمانينات من خلال دستور 1989 الذي كان خطوة إيجابية لإدارة أزمة أحداث 05 أكتوبر 1988، والذي أقر في مادته الخامسة حق إنشاء هذه المنظمات السياسية والجمعيات، فإستطاع الجزائريون ممارسة حقوقهم السياسية بشرعية تامة، وفق نصوص و لوائح تنظيمية ساوت بين الرجل والمرأة، وبذلك حققت الديمقراطية منعرجاً حاسماً، أخرجت المرأة من قوقعة التعليم والصحة كمجال وظيفي وفسحت لها المجال وحررتها من كافة القيود لتصبح عنصراً فاعلاً ومتحدثاً بارزاً أين إستطاعت أن تضمن لنفسها تمثيلاً نيابياً في المجالس المنتخبة، لتثبت وجودها الإجتماعي والسياسي في المجتمع الجزائري الذي يعرف بعاداته و تقاليده وأعرافه المحافظة.

والجزائر، على غرار دول العالم العربي قد أولت ودعمت الدور السياسي للمرأة وتبينت مجموعة من السياسات التي تساهم في رفع العوائق والعثرات التي تحول دون تمكينها سياسياً من خلال ما نصت عليه الدساتير و النصوص القانونية و التنظيمية التي كان نظام " الكوتا " أحد إفرازاتها.

هذا الأخير الذي أسهم في تطوير الممارسات السياسية عند المرأة بإقرار من رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة لزيادة نسبة نجاحها وتمثيلها النيابي، وكذا تمكينها سياسياً، لتصبح المرأة واعية بالطريقة التي تؤثر بها عبر علاقات القوة في حياتها فنكتسب الثقة بالنفس والقوة في التصدي لعدم المساواة بينها وبين الرجل.

فمن خلال تمكين المرأة في المجال السياسي، تزداد فاعليتها لتحقيق التنمية في المجتمع عن طريق وضع آليات مناسبة لمشاركتها، ومن ثم وصول المرأة إلى مراكز صنع القرار من خلال جعلها ممتلئة للقوة و الإمكانيات والقدرة لكي تكون عنصراً فاعلاً في عملية التغيير وإيصالها إلى مواقع إتخاذ القرار في الدولة وفي البرلمان.

إنّ التمكين السياسي هو صنع خيارات مستقلة للمرأة من أجل خروجها من وضعية التبعية وجعلها فاعلة ونشطة بدلاً من أن تكون متلقية سلبية، بحيث تكون حرة في التعبير عن الآراء والمقترحات و بالتالي التأثير في القرارات الحكومية والسياسة العامة للبلاد.

لذلك فإنّ المشاركة السياسية للمرأة على وجه الخصوص تزيد من فاعلية المشاركة السياسية للمواطنين على المستوى الوطني هذا من جهة، ومن جهة ثانية وعلى المستوى الدولي، فإنّ طرح مشاركة المرأة سياسياً هو جزء من الخطاب الدولي العالمي حول المرأة وميثاق الأمم المتحدة من أجل إدماجها في التنمية الإجتماعية والتنمية السياسية.

ولكن، وبالرغم من كلّ هذه الجهود، ما هي الوسائل التي إعتمدت عليها المرأة السياسية في الجزائر لكي توصل صوتها وتفرض نفسها في المجال السياسي من جهة وفي المجال الإجتماعي من جهة أخرى؟

ما هي أهمّ التحدّيات التي تواجه المرأة الجزائرية سياسياً و ما هي أهمّ آليات تطويرهن؟

- هل للخطاب السياسي دور في إثبات المرأة نفسها في الساحة السياسية؟

- ما نوع الخطاب الذي يجب عليها إنتهاجه حتى تكون النتائج على حسب الجهد المبذول؟

هذا ما سوف نتطرق إليه في الفصل الخامس من الرسالة.

الفصل الخامس

اللغة و الثقافة في الخطاب السياسي الأنثوي

فهرس الفصل الخامس

198.....	تمهيد
200.....	المبحث الأول : المشاركة السياسية للمرأة الجزائرية، رؤية سوسولوجية :
206.....	المطلب الأول : المرأة و السياسة :
208.....	المطلب الثاني : التمكن السياسي للمرأة :
210.....	المطلب الثالث : الدفاع عن الحقوق النسائية في التجربة النيابية للمرأة البرلمانية الجزائرية:
211.....	المطلب الرابع : قصص نجاح سيدات و سياسيات :
215.....	المبحث الثاني : جزائريات قدن أحزابهن في الإنتخابات البرلمانية :
216.....	المطلب الأول : نبذة عن حياة لويزة حنون، زعيمة حزب العمال :
220.....	المبحث الثالث : كيفية التواصل السياسي من خلال الخطاب :
226.....	المطلب الأول : الخطاب السياسي عند المرأة :
227.....	المطلب الثاني : خصائص الخطاب السياسي عند المرأة :
228.....	المطلب الثالث : عوائق بناء خطاب سياسي خاص بالمرأة :
231.....	خاتمة ..

تمهيد

لاقى موضوع المشاركة السياسية للمرأة إهتماماً كبيراً خلال السنوات الأخيرة من قبل الباحثين والدارسين والمهتمين بواقع المرأة العربية وأهمية دورها في النشاطات والمشاركات السياسية. والمؤمنين بأن للمرأة دور سياسي حتمي وفاعل في المجتمعات العربية، مصرّون على دعم هذه المشاركة من خلال تشجيع الإصلاحات التي من شأنها رفع العقبات التي تعوق المشاركة الفعلية للمرأة في المجال السياسي.

والتحوّلات العميقة التي عاشتها الجزائر في الجانب السياسي منذ 1989 لتحقيق قفزة نوعية في مسيرة بناء الدولة الجزائرية ومؤسساتها جعلها تعلن عن إنفتاح صريح على التعددية الحزبية وبالتالي بروز تشكيلات سياسية تسعى إلى التّموقع الإستراتيجي في السّاحة السياسية، وهي مكونة من عدّة تيّارات وطنية متنوّعة ملوّنة بألوان الديمقراطية، العلمانية، الوطنية، الإسلامية واليسارية تعكس التنوّع الفكري والإيديولوجي و الثقافي الذي تزخر به الجزائر.

وفي هذا العراك برز بشكل واضح دور المرأة كونها تشكل نصف المجتمع وقوّة لا يستهان بها في الوعاء الانتخابي. فلقد ساهمت الدولة الجزائرية بشكل إيجابي بالدفع بالمرأة وتحفيزها بمجموعة قوانين في الدّستور، تضمن لها المشاركة الكريمة بعيداً عن أيّ تمييز عرقي أو جنسي أو لغوي وتحصّنها من الإحتقار والتهميش. فهناك حقيقة تفرض نفسها مفادها أنّه ليس قدراً محتوماً أن تقتصر مشاركة المرأة ونشاطها على الجمعيات والنّضال النقابي دون التطلّع إلى البرلمان مثلاً وتسجيل بصمتها في صنع القرار والمبادرة بإقتراح مشاريع قوانين تصبّ كلّها في شؤون المرأة وقضايا الأسرة والمجتمع، بل عليها اليوم السّعي و النّضال من أجل أن تضطلع بالدور المناسب لها و الذي يليق بها كونها قوّة ذات تأثير في المجتمع بكلّ الصّيغ.

وهنا يحقّ لنا أن نتساءل، ماذا حقّقت المرأة خلال هذه التجربة؟ وما هو رقم مشاريع القوانين التي إقترحتها المرأة في البرلمان؟ وكم من مواقف ثابتة تحسب لها وسمع دويّها خارج الأسوار وبعيداً عن الميكروفونات و مقاعد البرلمان؟ كم من تصويت أحتسب للمرأة دون أن تكون في موقف تعاوني؟

في إعتقادي يجب أن تشكل المرأة رقماً صعباً في المعادلة السياسية يضمن لها من القوة اللازمة والوزن الكافي للتأثير والمبادرة بإقتراح المشاريع وسنّ القوانين التي تخدم المرأة وقضاياها العادلة في الأسرة و المجتمع دون أن تنتظر إشارة أو تفويض. يجب على المرأة أن تفرض وجودها بالتميز والإنفراد بالمبادرات التي يعجز الرجل أن ينافس فيها، لأنّ أهل مكّة أدري بشعابها والمرأة أدري بقضاياها وإنشغالاتها، وقادرة بلا شكّ على الدفاع عنها، وهذا لا يتحقق إلا بإرادة صادقة من الرجل.

وعليه يجب إشراكها في المشاورات والأخذ برأيها و تشجيعها على الإنخراط في العمل السياسي وتعزيز المساحة الممنوحة لها لتقلّد المناصب القيادية ودعم الدور الإقتصادي والإجتماعي والثقافي والحضاري للمرأة المتعلمة، وتوعية المرأة بحقوقها الشرعية القانونية حماية لها وإضفاء لمسة إنسانية ونعومة على النقاشات والحدّ من الصّراعات العنيفة و الخشنة في التّعامل مع قضايا المواطنين.

وهذا من شأنه أن يسلّط الضّوء على أهميّة الإتصال السياسي الذي يعتمد على اللّغة التي تصبح خطاباً، إذ يتعامل الخطاب السياسي مع المشكلات الكبرى للحياة العامّة ويصفها ثم يدافع عنها. وأساس شعور الشّعب بالتفاؤل أو التشاؤم، بالرّضا أو السّخط حول سير الحياة السياسيّة، وأن تكون اللّغة السياسيّة مصوغة بشكل ملائم، فمن دون لغة تصبح الأفكار خرساء وصمّاء غير قادرة على توليد الفكر و إيصال المعنى. فاللّغة عامل أساسي في بناء الخطاب السياسي، ولأنّ مستويات اللّغة عندنا في الجزائر متفرّعة وبجميع التعبيرات، أي من الفصحى إلى التعبير باللّغة الأمازيغية أو الفرنسية أو الداريجة، فلقد أجمع علماء الأنثروبولوجيا على أن اللّغة جزء لا يتجزأ من حضارة الأُمّة، كما أنّها عرضة للتبدّل نتيجة التّراكم الضّخم لتجارب الشّعب.

ومن هنا يطرح السؤال حول دور الخطاب السياسي في إثبات المرأة نفسها على الساحة السياسيّة.

وهل للّغة تأثير في الخطاب السياسي الأنثوي ؟

وما نوع الخطاب الذي تستخدمه المرأة السياسيّة في الجزائر لكي توصل فكرتها وتؤثر في الرأي العام ؟

وهل لحزب العمال لغة مميّزة ينفرد بها بإعتباره حزبا تقوده امرأة ؟

المبحث الأول : المشاركة السياسية للمرأة الجزائرية، رؤية سوسيولوجية :

لا يختلف إثنان، في أنه لا مواطنة بدون ديمقراطية ولا ديمقراطية بدون مواطنة، " فهما وجهان لعملة واحدة "

فالمواطنة بإعتبارها حياة جماعية قائمة على روابط تشريعية وسياسية وثقافية وإنسانية، وفي إطار تتحقق من خلاله الحقوق السياسية و الاقتصادية و الإجتماعية و الثقافية اللازمة للمساواة والعدالة، لا يمكنها أن تصبح فعالة وبنّاءة إلا عن طريق مشاركة كل فرد في تدبير شؤون مجتمعه بإبداء الرأي، والقيام بمبادرات تهدف إلى تحقيق المنفعة العامة. والمشاركة بإعتباره ناخبا أو مرشحا في إختيار نوع السلطة التي يحب أن يخضع لها المجتمع.

هذه المشاركة التي ستسمح بتثبيت الديمقراطية، فلا يستقيم عودها، إلا بمشاركة جميع فئات وشرائح المجتمع من رجال و نساء.

فهي إذن حق للجميع، حيث تتنوع وتتعدد وتتكامل من خلال مجموعة من الإجراءات و السلوكات و الممارسات، التي تشكل ميدانا خصبا لتفعيل القدرات و المهارات.

وإذا كان التركيز في عالمنا العربي يربط المشاركة عموما بالمشاركة السياسية بشكل خاص، فإن الكثير يختزلها في الإنتخابات، إلا أن واقع الأمر يفيد بأن المشاركة، هي مشاركات، فنجد المشاركة السياسية، و المشاركة في المجتمع المدني، المشاركة في الحياة اليومية ... إلخ، و ينبغي الإلتباه إلى ضرورة خلق توازن بين هذه المشاركات، هذا التوازن الذي يجعل الديمقراطية صيرورة نامية، لا مجرد شعارات و إدعاءات فارغة¹.

وعليه، وفي هذا الصدد، وبالعودة إلى الجزائر، فبالرغم من كون الدستور الحالي، والذي يعدّ أهم وثيقة دستورية عرفتها البلاد والتي تقرّ بالمساواة القانونية الكاملة بين الرجال و النساء، وبشكل خاص في المستوى السياسي. حيث أنه يخصّص للنساء حقا مساويا للرجال فيما يخص القيام بالإقتراع و أهلية الترشح سواء للوظائف الإدارية أو الإستحقاقات الإنتخابية، إلا أن وضعية

¹ - رؤية سوسيولوجية و المشاركة السياسية للمرأة الجزائرية، محاضرة صنف أ جامعة سطيف ، نشر في الجزائر في 11-03-2014

النساء الجزائريات النظرية (القانونية)، أو الواقعية (الميدانية) تبقى بعيدة عما يجب أن تكون عليه في بلد حالم، مضى أكثر من نصف قرن على إستقلاله¹.

وبالنظر أيضا إلى ما أقره القانون الجزائري من مبادئ المساواة بين الرجل والمرأة وعدم التمييز بينهما تبعا للجنس، منذ السنوات الأولى من التحرر، يبقى تمثيل وعدد النساء في شتى المجالات بما فيها المجال السياسي محتشما. الأمر الذي يصبح صادما، خصوصا إذا قورن بما تمثله النساء من نسبة المجتمع الجزائري الكلي من جهة، وإذا ما قورن برغبة الجزائر الظاهرة في تجاوز جميع أوجه السلوكيات التمييزية ضد النساء، بإعتبارها إنخرطت ضمن البلدان المؤيدة لجميع المواثيق الدولية الخاصة بالحقوق السياسية، المدنية، الإقتصادية، الإجتماعية و الثقافية منذ 1966 (أنظر المرسوم الصادر في 16 ماي 1989 و J.O.R.A رقم 20 بتاريخ 17 ماي 1989) ومعاهدة كوبنهاغن في 1979 حول إستبعاد جميع أوجه التمييز إتجاه المرأة من جهة أخرى. وعليه، وبعيدا عن لغة الأرقام الحاملة التي يشيد بها البعض وبشكل مناسباتي، إن لم نقل ديماغوجي (سواء في عيد المرأة، عيد الأم، إقتراب المواعيد الإنتخابية الشعبية، الولائية والرئاسية...) والتي تحاول المقارنة وبشكل مفارق وغير موضوعي بين وضعية المرأة قبل وبعد الإستقلال، فيمكن القول أن مشاركة المرأة في الشأن المجتمعي العام، لا تزال محدودة وغير منتظمة وضيئلة، مما يؤثر على محدودية تمتعها بجميع الحقوق السياسية، المدنية، الإجتماعية والإقتصادية، الحقوق التي أقرتها مختلف الدساتير عبر تاريخ الجزائر المعاصرة بالمساواة بين الرجل و المرأة، و بشكل عام يتضح أن المرأة الجزائرية لم تتوصل، ولا في أيّ قطاع من القطاعات بأن تساوي أو تتجاوز النسبة النصفية مقارنة بالرجل، فهي تغيب أو تستبعد و بشكل حاد من القطاعات السياسية و الحرة، حيث تترك المساحة للرجل ليقوم على الأمن، التجارة، المقولة والحكم بشكل عام، بل و حتى الرياضة، الفن و الأدب.

وهذه الإستنتاجات ما هي إلا مرآة لواقع ثقل التقاليد والموروثات الإجتماعية والسيطرة الذكورية التي يتشبع بها المجتمع الجزائري، شأنه شأن كل المجتمعات العربية الأخرى، والتي تحصر دور المرأة داخل الأسرة و البيت وتربية الأطفال لأنها و ببساطة كيفما كانت، تظل في نظر المجتمع

¹ - رؤية سوسولوجية والمشاركة السياسية للمرأة الجزائرية، محاضرة صنف أ جامعة سطيف ، نشر في الجزائر في 11-03-2014

كائننا غير قادر على تحمّل المسؤولية وإِتخاذ القرارات المصيرية، لدرجة تركزت فيه هذه الأفكار بشتى الطرق و الوسائل داخل المجتمع إلى أن أصبحت واقعا ثابتا في حياة المرأة.

هذا الواقع، الذي إذا ما ربط بما يحدث على المستوى السياسي، وهو بيت القصيد يمكننا وبسهولة فهم بأن ضعف التواجد السياسي للنساء، لا يتعلق بالأساس بكونهن غير متحمسات للعمل الحزبي التنظيمي، الذي يعتبرونه ترفا، أو عدم إيمانهن بأهمية وفعالية النشاط السياسي، بل يعود وبالدرجة الأولى إلى وعي أغلبهن بمدى تضيق مفهوم العمل السياسي نفسه.¹

وعليه، فهن إن لم يترشحن مثلا لرئاسة حزب أو مجلس أو مجتمع بأكمله فذلك لأنهن يعلمن بأن الأنانية الذكورية في القيادات الحزبية أو غيرها، لن تسمح بفتح المجال للنساء للتمثيل الحقيقي سواء على مستوى الحزب في المناصب القيادية، أو خارجه كالتمثيل البرلماني أو الرئاسي. فيكفي، وعلى سبيل المثال ملاحظة، و بشكل عكسي كيف تنتسج و على المستوى الهرمي القاعدة النسائية للمناضلات اللواتي تلعبن دورا أساسيا في تقوية أيّ حزب، و لكنه، و بمجرد العودة إلى المناصب القيادية، نجد على أكثر تقدير بين خمسة عشر، أو عشرين رجلا، تشغل المرأة منصبين يتبرع بهما الرجل لها، الأول : يتمثل في التكليف بشؤون المرأة، و هذا أمر طبيعي و كلاسيكي، أما الثاني، فيقدم لها في شكل منصب لا يكاد له دور في القرارات و ليست له أيّ مسؤولية وطنية كتكليفها و على سبيل المثال لا الحصر بأمانة المكتب، و في كلتا الحالتين يعتبر ذلك تضيقا و تقليصا لدور المرأة.

وإن كان هذا المخطط يسير بهذا المنطق عندما يتعلق الأمر بالحزب، فهو صالح أيضا لتفسير آليات الإشتغال بكل المؤسسات السياسية الأخرى كالمجالس الشعبية الولائية و الوطنية ككل، حيث يهيمن الرجال على كل المناصب السياسية القيادية، بحيث لا يمكنها سوى أن تقتصر على التعبئة و التأطير و الأعمال التضامنية و الإعلامية البسيطة.

ومن ثم، فإن كنا قد إستثنينا تفسير تزايد نسبة تمثيل المرأة الجزائرية في البرلمان والتي بلغت 30 %، فذلك لا يدعو عن كونه مؤشرا على إستحقاق المرأة و إصرارها ومن ثم نجاحها أمام الرجل في ولوج قبة البرلمان، بقدر ما يردّ إلى سياسية نظام الحصص أي الكوتا النسائية الذي أقرّه

¹ - رؤية سوسولوجية و المشاركة السياسية للمرأة الجزائرية، محاضرة صنف أ جامعة سطيف ، نشر في الجزائر في 11-03-2014

رئيس الجمهورية سنة 2008، و الذي لا يمكن تحليله بعيدا عن محاولات لتلميع صورة البلاد الديمقراطية من جهة، و الإعراف الضمني المستقر بعجز الأحزاب وغيرها من المؤسسات السياسية من تبني مبدأ المساواة في ترشيح قوائمها الإنتخابية من جهة ثانية.

كما يعود وبالدرجة الثانية إلى قياسهن لمدى قبول وإستيعاب ذهنيات أفراد المجتمع ككل بمشاركتهن السياسية؛ فلا يختلف إثنان من أنه وبالرغم من أن المجتمع الجزائري و من ثمّ مختلف شرائحه، قد قطع أشواطاً كبيرة نسبياً في الحداثة والعصرنة؛ إلا أنه بقي وفيما لبعض القيم والأفكار القديمة التي مفادها أن الممارسة السياسية أكثر من غيرها من الممارسات التي تأخذ من القائم بها حيزاً هائلاً من الوقت، الجهد والإهتمام.

وبناء على ذلك، فالنساء اللاتي يضررن على الممارسة السياسية فهن و من خلال سبر آراء بعض الناس، لا يمكنهن إلا أن يصنّفن في إحدى الفئات التالية :

- نساء متشبهات بالرجال.

- نساء علمانيات غير متدينيات.

- متزوجات لكنهن مهملات.

- أمهات فاشلات في تربية أبنائهن.

- زوجات مطلقات.

وغيرها من النوعت ...

وهنّ، بهذه الصفات التشكيكية يستثنين في كونهن مواطنات عاديّات، يهدفن وعلى غرار الرجال مهما كان واقعهن في المساهمة في تسيير البلاد، ويخضعن لعدد من الإكراهات، الأمر الذي لا يمكنهن سوى، إما المواصلة في الممارسة السياسية مع إحتمال توليد لديهن الشعور بالإحباط نتيجة التبخيس والإحتقار، و إما الكف عن الممارسة، والإستقالة من الحياة السياسية بصفة نهائية¹.

وبالنظر إلى الفئات المعلنة أعلاه، يتأكد مرة أخرى ثقل الحمولة الثقافية للتصورات حول جنس الإنسان و عنفها الرمزي، بحي تدل مجتمعة على عدم الإعراف الجمعي بكيان إسمه المرأة بعيدا

¹ - رؤية سوسولوجية والمشاركة السياسية للمرأة الجزائرية، محاضرة صنف أ جامعة سطيف، نشر في الجزائر في 11-03-2014

عن تبعية و دعم لكيان آخر تعددت أدواره (أب، زوج، أخ، صديق، زميل ...) و توحد إسمه ألا و هو الرجل.

و عليه، و بالرغم من أن الدستور يكفل المساواة في التمتع بالحقوق السياسية، بما فيها الإنخراط في الأحزاب السياسية، إلا أن نسبة الإنخراط النسوي ضمن الأحزاب تبقى ضعيفة، مما يحيل إلى وجود مفارقات بين ما هو نظري و الممثل في الدعوة إلى إشراك المرأة في تسيير الشؤون الحزبية، و ما هو ميداني، أين يثبت الواقع المعاش عكس ذلك تماما.

هذا، و يسجل المنتبعون للمشهد الحزبي بالجزائر، بأن الأحزاب السياسية مسؤولة و بصورة شبه كلية في أمر إستبعاد النساء و تغييب شراكتهن، حيث يعيرون على قياداتها و كوادرها عدم المبادرة أصلا للتفكير في إستراتيجيات لجذب النساء الأكثر ظهورا إعلاميا و إلزاما للنشاط ضمن تنظيماتهم الحزبية، و نزوعهم عن قصد أو عن غير قصد عند الحاجة لتوظيف المرأة، لإعادة بعث و إنعاش صيغ العصبية القبلية التي يتم بموجبها إختيار نساء بعيدا عن الكفاءة، و الأهلية و الإعتماد بالمقابل على القرابة الأسرية و العروشية. الأمر الذي سينجر عنه و بشكل آلي ترسيخ صورة نمطية للمرأة التي لا يتم قبول وجودها سوى كـ " ديكور " أو خوفا من الإنتقاد، أو طمعا في مقابل معنوي يظهر به المسؤولون عن الحزب بالصورة الأكثر إنفتاحا و من ثم تقديم أكبر عدد من المرشحات النساء في الإستحقاقات الكبرى.

الشيء نفسه بالنسبة لمشاركة المرأة في عملية الإنتخابات، سواءا أكان ذلك كناخبة أو مترشحة؛ فما دامت المشاركة الإنتخابية تقتضي ترشحا، جمع توقيعات، إقتراع، برامج، مساءلات و نقاشات، فقد قننت الدساتير هذه العمليات، و نصت المواد على إستحقاق المواطنين الذي إستوفوا شروط العقل و بلوغ السن القانونية للقيام بها ذكورا كانوا أم إناثا.¹

ولعل أهم ما يلاحظ، هو أن العلاقة بالإنتخابات هي علاقة ثنائية، فالمرأة الناخبة موجودة بقوة، في حين تظهر فيه المرأة المترشحة وبشكل عكسي، غائبة، وإن حضرت فيكون ذلك بشكل هزيل، بحيث تؤكد الأرقام، بل و حتى المعايينات بالنسبة للأولى، على الإنخراط القوي للناخبات في العملية الإنتخابية، فهذه الفئة هي الأكثر تعاطيا مع الإنتخابات، مما يجعل الأحزاب تراهن عليها،

¹ - رؤية سوسولوجية و المشاركة السياسية للمرأة الجزائرية، محاضرة صنف أ جامعة سطيف، نشر في الجزائر في 11-03-2014

وتلجأ إلى كل أساليب الإستمالة من أجل كسب أصواتهن. تماما كما برهنت المرأة على قدراتها العفوية في التويق و الإشهار السياسي خلال الحملات الإنتخابية، فالمرشح الذي يعتمد في حملته الإنتخابية على رجل مثله، قد يربح صوتا واحدا، و الذي يتواصل مع إمراة فذلك يكسبه أصواتا، لا لشيء، سوى لتحوّل الإنتخابات في الجزائر وعلى غرار أيّ تظاهرة جماعية أخرى إلى فعل نسائي بامتياز.

وليس في الأمر علاقة بدرجات عليا من الوعي السياسي للناخبات، بقدر ما هو أثر عكسي لإنتشار نسب الأمية والفقر لدى النساء أكثر منه لدى الرجال، هذا الوعي الذي ينعكس على اللعبة الديمقراطية ككل، فتقف تلك الفئة بدون وعي وراء نجاح فئة أخرى. وأما بالنسبة للثانية، أي المرأة كمرشحة، فيبدو أن واقعها معقّد طالما أنها لا تتمكن من إتقان قوانين اللعبة السياسية في حضور الرجل الذي لا يسمح لها بأن تنصدر القوائم الحزبية، و من ثمّ فإحتكار الرتب الأولى من طرف الرجال وتذليل القوائم بالنساء، كثيرا ما يعيق ترشيح هذه الأخيرة.

وهي إن فكرت في بدائل و حلول أخرى، كان تتقدم تحت هيئة مترشح حرّ، فهي لا تتوصل لإقناع الناخب الجزائري سلفا بالنظر لجنسها، هذا إذا أضفنا قضية الضعف المالي لترشيحها مقارنة بترشيح الرجل.

هذا الشكل من التعامل مع المشاركة السياسية النسوية، وان كان ظاهره إيجابيا، إلا أنه يحمل في طياته عنفا و تهميشا رمزيا منظما، لا تنفك وأن تتعرض له المرأة في المجال السياسي.

إذن، فبالرغم من الجهود الكثيفة التي قامت بها النساء في إطار خدمة برامج و سياسات الأحزاب التي تعمل فيها، إلا أن قليات فقط من إستطعن الوصول إلى مواقع القيادة، الأمر الذي يثير التساؤل حول دور الأحزاب السياسية المحلية في تشجيع النساء في الإنخراط في هذا العمل وتمكنهن من الوصول للمواقع القيادية بعيدا عن النهج الذي فرض عليهن، أي أن يبقين تحت مطالب مظلة هذا الحزب، أو هذا الكيان و بالتالي فقدان حقها السياسي.¹

¹ - "المرأة والسياسة"، فاطمة شمنتل، نشر في الجمهورية يوم 2015/03/08. www.djazairress.com/eldjournhouria/58640.

المطلب الأول : المرأة و السياسة :

تحمل مشاركة المرأة في السياسة وإمتنانها داخل العالم العربي إختلافات فكرية¹ وثقافية وحتى² فقهية بحكم نظرة الإستعلاء التي درج المجتمع على تتبع مسار المرأة من خلالها بعد أن حصرها في مجالات معينة والتي صارت بالنسبة لها كغنيمة حرب، ونذر منها التعليم و الطب والإدارة ...، ويعتبر الإعلام المجال الوحيد الذي يعرف كيف يوظف المرأة لدواع دعائية وإشهارية وبالتالي تجارية، فالمرأة تطغى في الإعلام أكثر من غيرها من المجالات، لا سيما المرئي.

لكن المرأة تبقى غائبة في مجالات عديدة جدا عن ممارسة حقها في المشاركة الكاملة وأخذ دورها في صنع القرار و تبقى في الغالب تحت ظل الرجل و تحت إمرته، و حتى عندما وصلت بعض النساء في العالم الغربي والأمريكي اللاتيني إلى مناصب صنع القرار، كان الثمن باهضا بدأ بالإعتقالات ومرّ عبر السجون و إنتهى في زنانات التعذيب مثل ما عانتها رئيسة البرازيل ديلما روسيف*، أثناء ديكتاتورية كاشيلو برانكو، و الأمثلة كثيرة.

ورغم أن العالم يعيش أحداث القرن الواحد و العشرين بكلّ تحديّاته و تجلّياته، فمرور رئيسة حزب أو مؤسسة كبيرة في التلفزيون أو تنشيطها لتجمّع إنتخابي أو دعائي، لا يمرّ مرور الكرام حتى لدى النساء من بني جنسها، فينهالوا عليها في بعض التعلّيق من شاكلة " باغية تناقر الرجال "، أو " ما ريبها صايبة ما ادير "، أو " ما عندهاش ألي يحكم فيها "، رغم أنّ الكثير من النساء في الوطن العربي شققن مسارهنّ المهني في مجال السياسة عن جدارة وإستحقاق و لم يكن وصولهن إلى مراتب حسّاسة وترأسهنّ أحزابا كبرى أو مجموعات أو لجان برلمانية هديّة من السّماء، ولا عطاء، تكرّم به عليهنّ الرجال. وعندما نقارن وجود المرأة العربية في البرلمان بنظيرتها عبر العالم، فإن 46% من البرلمانيين نساء.

ويتجلّى التّمييز ضدّ المرأة لدى العديد من البلدان العربية من خلال الخطاب الذي يجعل الرجل في المقدّمة سواء كان هذا الخطاب رسمياً أو حزبيّاً، ولا غرابة إذا يتساءل كثير عمّا إذا كانت المرأة قد وصلت أوّلاً إلى إنتزاع حقّها في المواطنة عندما تجد نساء عربيّات يبحثن عن كينونتهنّ

¹ - "المرأة والسياسة"، فاطمة شمنتل، نشر في الجمهورية يوم 2015/03/08. www.djazairess.com/eldjournhouria/58640.

* : ديلما فانا روسيف، ولدت في 1947/12/14، هي سياسية برازيلية و رئيسة البرازيل السادسة و الثلاثين منذ 2011/01/01 وحتى 2016.

وجودهنّ داخل مجتمعاتهنّ، وهنّ الممنوعات من ممارسة العديد من الأفعال المرتبطة بالمواطنة مثل الترشح للمجالس المنتخبة، بل و حتّى من التصويت و إبداء الرأي في من يحكمها ويتكلم ويشرّع بإسمها.

القرن الواحد والعشرون، كما القرن الذي سبقه، والذي سيليه، مبنيّ على التحدّيات وصناعة الغد للأجيال القادمة، والتي هي نتاج رباط الرّجل والمرأة والذي يقتضي النّظر في نفس الإتّجاه و تقاسم الأدوار لتخفيف الأعباء و الوصول إلى المنشود من الأهداف عبر الإستراتيجية السّياسية التي ترسم باقي التوجّهات الإقتصادية والمجتمعية.

وتقدّم لنا نماذج بعض البلدان العربية مثلاً عن عدم إتاحة الفرصة الحقيقيّة للنساء من أجل ولوج عالم السّياسة و المشاركة في صناعتها رغم وجود ترسانة حقوقيّة، كما هو الحال في الجزائر بتشريعاتها الكثيرة و التي أتاحت للمرأة حقّ الإنتخاب و الترشح للمجالس المنتخبة و التقدّم أيضاً إلى أعلى المناصب في الدولة، ومنها منصب رئيس جمهورية.

وترى مجموعات أخرى من منتبعي مسار المرأة في الحياة السّياسية التغيرات التي تظهر لنا وجود عقبات كثيرة تتعدى الرغبة و الإرادة السّياسية، وهي عقبات راكمتها بشكل أساسي النتائج السلبية لمشاريع التنمية منذ الإستقلال.¹

وعلى عكس نظرائهن الذكور، فإن النساء المرشحات يتعرضن للعديد من الحواجز التي قد تؤثر على رغبتهن في الترشح للمناصب المنتخبة، وهذه الحواجز التي تعوق تمثيل المرأة تشمل على وجه الخصوص تنميط المرأة جنسيا والتنشئة السّياسية وغياب التحضير للنشاط السّياسي وتحقيق التوازن بين العمل والأسرة.

كما أن التحيز الموجّه ضد المرأة ينبع من التصور الغير صحيح بأن الأنوثة تنتج بطبيعتها قيادة ضعيفة. وتنميط الجنس هو أبعد ما يكون عن السرد التاريخي، ومن المؤكد أن هناك ضغط على المرشحات النساء (مقارنة بالرجال) و ذلك بغية تعزيز الصفات الذكورية في الحملات الإنتخابية لغرض التودد لكسب دعم الناخبين، ويرتكز مفهوم التنشئة السّياسية أنه خلال مرحلة الطفولة لا يتم إجتماعيا، إدخال النساء في معايير وقواعد السّياسة، و عموما فإن الفتيات يملن لرؤية أن السّياسة

¹ - "المرأة والسّياسة"، فاطمة شمّنتل، نشر في الجمهورية يوم 2015/03/08. www.djazairress.com/eldjournhouria/58640.

هي مجال للذكور، كما أن للأسرة والمدرسة والتعليم العالي و وسائل الإعلام و الدين دور في تحديد العوامل التي تلعب دورا محوريا في تعزيز إما الرغبة في دخول السياسة أو النفور منها¹.

المطلب الثاني : التمكين السياسي للمرأة :

يرتبط مفهوم التمكين السياسي للمرأة بحق الإشراف الكامل للأفراد في تقرير مصيرهم، من خلال إتاحة الحرية السياسية والثقافية بالاعتماد على سيادة القانون، بإعتبارها وسائط تمكّن المرأة من المشاركة في صنع القرار والإستفادة من التنمية²، والقضاء على كافة الممارسات والسلوكيات التي تؤدي إلى إستبعاد أو تقييد أو تهميش المرأة، فالتمكين هو نقيض الإضعاف، والعملية التمكينية هي ضمان لطرق حصول الضعفاء على مداخل القوة، بما يؤدي إلى تغيير المنظومة القيمية للقامعين وتغيير أنماط تفكيرهم و توجهاتهم وسلوكياتهم المهيمنة.

يلقي دور المرأة البرلماني مسؤوليات كبيرة على كاهلها، حيث يطلب منها أن تمارس أداء برلمانيا فعالا ومقنعا، يوازي ما يوفره موقعها في البرلمان من فرص و نفوذ وإمكانات للتمثيل السياسي والرقابة، المساءلة، المحاسبة وإستجواب الوزراء، ويشير دورها البرلماني إلى قياس مدى مشاركتها في³:

- المجال التنظيمي للبرلمان : أي مشاركتها في الأجهزة الرئيسية للبرلمان و لجانته الدائمة.

- المجال التشريعي : ما مدى مساهمة المرأة في مناقشة المشاريع، التصويت عليها، إقتراح القوانين، و مناقشة الموازنة.

- المجال الرقابي : ما مدى مشاركة المرأة البرلمانية في إستجواب الوزراء ومحاسبتها ومراقبتها وما مدى مشاركة المرأة البرلمانية في نشاطات الكتل البرلمانية والتحالفات الحزبية ومجموعات الصداقة والنشاطات الدولية.

¹ - " المرأة و السياسة "، فاطمة شمنتل، نشر في الجمهورية يوم 2015/03/08
www.djazairess.com/eldjournhouria/58640.

² - وحيدة بورغدة، " المشاركة السياسية و التمكين السياسي "، حالة الجزائر، المجلة العربية للعلوم السياسية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 36 (أيلول/ديسمبر 2012)، ص 132، ص 150.

³ - محمد المصالح، " المشاركة النسائية في مجلس النواب الأردني " (2003-2007). مجلة المنارة، المجلد 15، العدد 1، (2009)، ص 151-185.

كما أن من أهم إيجابيات وصول المرأة للبرلمان¹،

- * إحداث تغييرات تدريجية في نظرة المجتمعات المحافظة لدور المرأة في الحياة العامة، من خلال التمثيل البرلماني، وتدليل مستويات عدم قبول المجتمع للمساواة بين الجنسين، وما ستؤول إليه من ظهور للمرأة والفضاءات العامة، ومطالبة النساء بعدالة وتكافؤ الفرص.
- * الإرتقاء بأوضاع المرأة في السلم الإجتماعي، عند وصولها إلى قبة البرلمان، وتفكيك ثقافة عدم قبول المجتمع إشتغال المرأة في المجال السياسي.
- * تحفيز النساء على المنافسة السياسية والمشاركة في عضوية المرأة للبرلمان ونشاطاته، وزيادة تعرفها على الأدوار النيابية و تأهيلها للعب أدوار المساءلة والمحاسبة والرقابة البرلمانية.
- * تسهيل السبل والطرق القانونية التي تمكّن المرأة من الوصول إلى المؤسسات من صنع القرار.
- * تعزيز قدرات المرأة وترقية مؤهلاتها التي تدعم حقها في المنافسة على إحتلال مواقع صنع القرار، وإسناد مهام قيادية للمرأة، تدعم أدوارها السياسية والإقتصادية والإجتماعية.
- * منحها فرصة المشاركة في صناعة القرار ورسم السياسات ووضع الخطط، أو على الأقل مراقبتها و الإطلاع على مضامينها.
- * منح المرأة فرصة مناقشة أعباء الأسرة وطرح قضايا المرأة الماكثة في البيت في أعلى منبر تمثيلي في الدولة، وزيادة الوعي بعلاقة حقوق المرأة مع حقوق الإنسان، وأهمية القضاء على ظواهر التمييز والعنف ضد المرأة.
- * الإعتقاد على تحقيق تنمية بشرية مستديمة، تضمن تطور حياة الفرد، ودعم حق المرأة في التعليم المدرسي و التعليم العالي، من خلال اللجان المختصة بتطوير التعليم، وإنتشار الإعلام البرلماني في التوعية السياسية وسط النساء.
- * سيؤدي أداء المرأة البرلمانية على تأهيلها لتنشيط الحركات النسوية ودعم نشاطاتها المدنية الأهلية، خصوصاً فك العزلة عن المرأة الريفية والقروية.
- * دعم مؤسسات المجتمع المدني في زيادة مشاركة المرأة في الأنشطة الإقتصادية والإجتماعية.
- * تحسين صورة الدولة ودعم تجربتها الديمقراطية بنجاح تمكين المرأة البرلمانية.¹

¹ - محمد المصالحه، " إيجابيات وصول المرأة للبرلمان "، المؤتمر الوطني لدعم المرأة في الإنتخابات (الفترة 07-09/04/2002)، عمان، اللجنة الوطنية الدينية لشؤون المرأة، اللجنة التنسيقية للمنظمات غير الحكومية، ص01، ص 11.

* ميل النساء للهدوء والسلم والأمن، بدلا من النزعة التنافسية النزاعية أو الدعوة إلى العنف والصرع والحرب، يجعل وصولها للبرلمان وتمكّنها من الوصول إلى مواقع صنع القرار سببا في إدارة الأزمات الدولية و حلّ الصراعات بطرق عقلانية بعيدة عن التوتر بدلا من تعقيدها و زيادة حدّتها.

كما أن أهم إيجابيات وجود النساء في البرلمان، عودة ثقة الجماهير في العملية السياسية، و إضفاء النساء لمسة نسائية على السياسة، لأن النساء أكثر حساسية للمشكلات الإجتماعية، وأكثر إدراكا للمشكلات الإقتصادية واجتماعية والتعليمية والصحية، كما أن النساء أقل ميلا إلى إثارة النزاعات وأكثر ميلا نحو الإجماع، ويمكن للمرأة أن تنتقل من تجربة نيابية محلية إلى تجربة دولية من العمل السياسي نتيجة الخبرة التي ستحوز عليها جراء مشاركتها في الحياة السياسية ودورها التشريعي الهام.¹

المطلب الثالث : الدفاع عن الحقوق النسائية في التجربة النيابية للمرأة البرلمانية الجزائرية:

لقد كان لحصول المرأة الجزائرية على فرصة التمثيل النيابي تأثيرا كبيرا، إنعكس بأوجه إيجابية على تطوير أداء وجودة المؤسسة البرلمانية الجزائرية في كافة النواحي، يأتي على رأسها إدماج النساء البرلمانيات في جميع الأدوار والمهام التي يتيحها الدور النيابي للعضو (ة) البرلماني من مهام : التشريع، الرقابة، المساءلة، المحاسبة، إستجواب مسؤولي السلطة التنفيذية، المساهمة في إقرار الموازنة العامة، المشاركة في تشكيل اللجان البرلمانية وإجتماعاتها ومداولاتها ... وغير ذلك من المهام التشريعية والتمثيلية النيابية الهامة.

كما أن دورها الفعال في المؤسسة التشريعية قد تطور بدلالة تطور مركزها السياسي ووضعها القانوني الذي يسمح لها بالوصول إلى مراكز صنع القرار، ويضمن لها حرية النشاط السياسي والإقتصادي والنقابي والجمعي. ويمكن رصد الظواهر التالية التي أثرت في نشاط الحركات الجمعوية النسوية في الجزائر في عهد التعددية السياسية 1989-2012 :

¹ - محمد المصالحة، " إيجابيات وصول المرأة للبرلمان "، المؤتمر الوطني لدعم المرأة في الانتخابات (الفترة 07-09/04/2002)، عمان، اللجنة الوطنية الدينية لشؤون المرأة، اللجنة التنسيقية للمنظمات غير الحكومية، ص01، ص 11.

* دورها الإيجابي في توعية المرأة بالقوانين التي تعيق تطورها، و تنظيم مطالب بتحقيق مواطنة المرأة.

* ضغطها المستمر نحو مراجعة قانون الأسرة، والمطالبة برفع كافة أشكال التمييز ضد المرأة وإستخدام الضغوط الدولية للتأثير على السلطة بعد تأكيد إحتكار السلطة التنفيذية للتشريع. وهي دلالات واضحة على القدرة النسوية على التحكم وتوظيف القيم العالمية في الرسالة النسوية المحلية.

* تركيز الحركات النسوية على المطالبة بتطبيق وتعميم سياسة التمييز الإيجابي، الكوتا، للتعجيل بتحقيق مطالب المساواة بين الجنسين.

ولقد أتاح احتلال المرأة الجزائرية لهذا المركز في المؤسسة التشريعية، شغلها لمقعد تمثيل نيابي.

المطلب الرابع : قصص نجاح سيدات و سياسيات :

ما يزال نشاط المرأة في المجال السياسي يثير بعض الإنتقادات من قبل المرأة نفسها، التي تتطلع إلى أحسن تمثيل للعنصر النسوي في الحقل السياسي. فرغم ما منحه قانون تمثيل المرأة في المجالس المنتخبة، إلا أن التواجد العددي ينقصه بعض الفعالية و الجرأة والشجاعة في طرح الأفكار، في تقدير ناشطات سياسيات، في وقت تعتقد أخريات أن المرأة قدمت سياسيا أفضل مما قدمه الرجل، و هي مستمرة في النضال و الكفاح من أجل إفتكالك أماكن ريادية في القوائم الإنتخابية و الهياكل الحزبية، للتغلب تدريجيا على هيمنة الرجل، الذي يسعى في الكثير من الحالات، وفق تقدير بعضهن لسرقة نجاح المرأة.

* السيدة زبيدة عسول، رئيسة حزب الإتحاد من أجل التغيير و الرقي :

ترى رئيسة حزب الإتحاد من أجل التغيير و الرقي، السيدة زبيدة عسول، أن تواجد المرأة في الهيئة التشريعية بموجب الحصة التي منحها لها الدستور، هو خطوة هامة، غير أنها تبقى غير كافية؛ فعلى المرأة السياسية أن تثبت كفاءتها و فعاليتها، و تقوم بطرح البدائل، وتعمل على فرض وجودها داخل الأحزاب التي تنتمي إليها.¹

1 - " النصر"، " قصص نجاح سيدات في عيدين و سياسيات يؤكدن"، نشر بتاريخ 07 مارس 2017،

و تصرّ السيدة عسول على أن المكانة التي منحها الدستور للمرأة داخل الغرفة التشريعية بتمكينها من ثلث المقاعد، ينبغي أن يؤثر إيجابيا في معالجة القضايا المتعلقة بشريحة النساء، ولكي يتسنى ذلك يجب أن تحقق المرأة النوعية من خلال التحلّي بالكفاءة والمقدرة السياسية، مؤكدة أنها لا تعني بتاتا المستوى التعليمي، بل الفعالية في الأداء السياسي والكفاءة والإطلاع على معضلات المجتمع، إلى جانب الشجاعة في طرح البدائل و التغيير لتجاوز ما تعتبره المتحدثة العقلية الذكورية التي تطغى على المجتمع.

وأبدت المتحدثة إستياءها من طريقة تناول بعض البرلمانيات لقضية العنف ضد المرأة، أثناء مناقشة القانون المتعلق بهذا الجانب، معتقدة أن تواجد المرأة في بعض الأحزاب السياسية لا يخدمها تماما، مما يتطلب ضرورة وضع إجراءات تكميلية لتفعيل "الكوطة" مع إنتقاء ذوي الكفاءات في القوائم الإنتخابية، معبرة عن أسفها لكون توجهات الأحزاب يضعها الرجال، دون أدنى تأثير من المرأة، لأن العمل السياسي مرهون بالفعالية، وقوة الإقناع، داعية الوزيرات والبرلمانيات إلى عدم التغاضي عن الدفاع عن قضايا وحقوق المرأة، لتمكينها من المشاركة في التنمية و صنع القرار.

لذلك أضحى مطلوبا منها اليوم أن تبادر وتتحدى بالجرأة، وان لا تنسى الدفاع عن حقوق المرأة لأنه لا تنمية في ظل تغييب نصف المجتمع.

* نعيمة صالحى، رئيسة حزب العدل والبيان :

تظهر السيدة نعيمة صالحى رئيسة حزب العدل والبيان، أكثر تفاؤلا بشأن الدور السياسي للمرأة، لأنها أثبتت كفاءة عالية في التسيير، بفضل وعيها وحسّها السياسي، والقدرة على فهم الأمور، مشددة على أهمية إنتقاء النساء ذوات الكفاءة و الجرأة لتولي مناصب المسؤولية¹ وتضيف السيدة صالحى، أن المرأة لم تعد اليوم مجرد رقم في العملية السياسية، بل تمكّنت من فرض وجودها بدليل أنها إستطاعت أن تتبوأ المراتب الأولى في القوائم الإنتخابية، وأعطت على سبيل المثال كيف أن النساء فاوضن مكانتهن في القوائم مع الرجال، وتصرّ المتحدثة على أن المرأة فاعلة جدا من الناحية السياسية، حيث أنها إستطاعت أن تثبت كفاءة عالية في التسيير على

1 - " النصر"، " قصص نجاح سيدات في عيدين و سياسيات يؤكدن"، نشر بتاريخ 07 مارس 2017،
www.annasronline.com/index.php/2014-08-09-10

مستوى مختلف مؤسسات الدولة، سوءا تعلقت بالمجال السياسي أو الإقتصادي، مؤكدة أن معظم المؤسسات المصغرة التي تمّ إستحداثها وأظهرت نجاحها، تقودها نساء مقاولات. وربطت السيدة نعيم صالحى نجاعة المرأة البرلمانية بنوعية المرشحات اللواتي يتم إختيارهن للمشاركة في الإنتخابات التشريعية، قائلة أنه : " لو تمّ إعتقاد معايير موضوعية لإستطعنا الوصول إلى أروع برلمان في العالم "، وتعني الفعالية وفق المتحدثة، بلوغ مستوى من الوعي والحس السياسي والقدرة على فهم الأمور وإدراك مشاريع القوانين التي تحال على الهيئة التشريعية.¹

وتضيف رئيسة حزب العدل و البيان أنه على المرأة أن تتحلى بالمقدرة، و تثبت تفوقها على الرجل في الكثير من المجالات، فهي التي تحسّ بالأم الفقير وقضايا المجتمع، غير أن الفارق بينها وبين الرجل هو أنه يعمل بحرية تامة دون أن يصادف من يزعجه، عكس المرأة التي تؤدي أدوارا عدة في نفس الوقت، فهي المرأة العاملة، و السياسية، وربة البيت، والزوجة، و لكن تبقى المرأة مرأة وليس رجلا بكفاحها و نضالها وواجبها كأم، لأن التغيير في المفاهيم من شأنه أن يحدث زلزالا في المجتمع.

* نورية حفصي، الأمينة العامة لإتحاد النساء الجزائريات :

تقول نورية حفصي، الأمينة لعامة لإتحاد النساء الجزائريات، إن التجربة أثبتت أن النساء قمن بدور هام في البرلمان وفي العمل السياسي، بفضل كفاءتهن وحضورهن، مبدية تحفظا على بعض البرلمانيات اللواتي أدرجن في القوائم الإنتخابية لإعتبارات غير موضوعية. وتؤكد حفصي أن إحتكاكها بنساء ناشطات سياسيا، و عضوات في البرلمان، تجعلها تقف على تجارب جد ناضجة بدليل إلتزام النواب النساء بحضور الجلسات بالمجلس الشعبي الوطني، في وقت غادر فيه زملاءهم النواب الغرفة التشريعية مبكرا للتفرغ لأمر أخرى، ما يعدّ دليلا حسبها على درجة وعيهم بالمسؤولية و مدى إلتزامهن، دون أن يعنى ذلك أن جميع النساء السياسيات هن على درجة واحدة من حيث مستوى الأداء.

1 - " النصر"، " قصص نجاح سيدات في عيدهن و سياسيات يؤكدن"، نشر بتاريخ 07 مارس 2017،
www.annasronline.com/index.php/2014-08-09-10

وتبرر المتحدثة تباين الأداء السياسي من قبل المناضلات في التشكيلات السياسية أو عضوات البرلمان، بأن الأحزاب لم تكن مهياًة لإنتقاء من لهن المسار النضالي الطويل عند إقرار قانون تمثيل المرأة في المجلس المنتخبة، وأنه في كثير من الأحيان ما يتم إقحام أسماء ليس لديها أي علاقة بالمجال السياسي.

وأردفت المتحدثة قائلة بأنها تشجع المرأة مهما كان دورها في المجتمع وإن كان أداءها السياسي متبايناً، فهذا لا ينبغي النظر إلى دورها بإستصغار، لأنه في الوقت الذي كان العمل السياسي يسيطر عليه الرجال، بحكم إنتماءنا إلى مجتمعنا ذكوري، إستطاعت المرأة أن تظهر وأن تبرر وجودها، غير أن المطلوب منها حالياً هو النضال الحقيقي و كسب المصداقية و القاعدة النضالية، وأن الأحزاب السياسية أضحت مطالبة بتمكين المرأة من الوصول إلى المجالس المنتخبة، وأن تفرض وجودها ميدانياً، لكن المشكل يبقى في إختيار الكفاءات الحقّة¹.

* النائبة عن حركة مجتمع السلم، نورة خربوش :

لا تتفق النائبة نورة خربوش عن حركة مجتمع السلم مع من ينتقدون الأداء السياسي للمرأة التي نجحت حسبها بجدارة في فرض نفسها، من خلال التشريع ومناقشة مشاريع القوانين والمشاركة في مختلف اللجان، مرجعة تراجع أداء البعض إلى إضطرار الأحزاب لإقحام النساء في قوائم الترشيحات عند فرض الكوطة.

وترى السيدة خربوش أن المرأة في المجال السياسي هي إضافة و ليست مجرد رقم، بفعل الديبلوماسية عبر البرلمانات العالمية، فهي ليست مجرد كوطة، إعتبرات عدة، لأن المرأة التي سبق لها أن أدت مساراً سياسياً، إستطاعت فرض تواجدتها إعلامياً و سياسياً، و هي بإمكانها أن تتبوأ مواقع مهمة في مراكز القرار السياسي، لأن فرض حصة المرأة، أي ثلث المقاعد في المجالس المنتخبة، ساعدها على تخطي العائق، بعد أن كان الرجال يهيمنون على القوائم الإنتخابية، وعلى المجال السياسي.

1 - " النصر"، " قصص نجاح سيدات في عيدين و سياسيات يؤكدن"، نشر بتاريخ 07 مارس 2017،
www.annasronline.com/index.php/2014-08-09-10

وأضافت النائب، أن تواجد المرأة سياسيا لم يبلغ تماما سيطرة الرجل على المشهد السياسي، غير أن كفاحها و نضالها جعل الأحزاب السياسية تعترف بوجود المرأة وبدورها، بعد أن كان في السابق يتم التحفظ على تواجدها داخل الهياكل الحزبية، وفي مؤسسات الدولة. ومثلما أظهرت المرأة تفوقها في مجالات عدة منها القضاء و الإدارة، تقول المتحدثة، إن المرأة إستطاعت أيضا أن تبرز نجاعتها السياسية، مقابل التلاشي التدريجي لسيطرة الرجل على إحتلال مختلف المناصب، بما في ذلك الموجودة داخل الأحزاب السياسية، فأصبح للمرأة كلمة في تمرير مشاريع القوانين، وفي مختلف مناحي الحياة.

وتقترح السيدة خربوش أن تواظب المرأة السياسية على التكوين من خلال البرامج التي تعدّها الأحزاب التي تنتمي إليها لتطوير مهاراتها في التواصل مع المجتمع والتعبير في مختلف الهيآت، كي تتمكن من صقل شخصيتها وتطوير أداءها السياسي، موضحة أن المرأة البرلمانية خلال السنوات الماضية إستطاعت أن تكون رقما صعبا، وأوعزت النائب في البرلمان تباين مستوى الأداء بين النساء المتواجدات في الحقل السياسي إلى الظروف التي أحاطت بتنظيم الإنتخابات التشريعية لسنة 2012، التي سبقت بمدة وجيزة إقرار قانون تمثيل المرأة في المجالس المنتخبة، مما جعل الأحزاب تنهافت على إقناع النساء بالإنضمام إلى القوائم الإنتخابية، في حين أن بعضهن لم تكن لديهن التجربة الكافية، و مع ذلك إستطاعت نواب كثيرات التعاطي مع القضايا المختلفة في هذا الفضاء التشريعي الواسع وأن تتركن بصمتهن.¹

المبحث الثاني : جزائريات قدن أحزابهن في الإنتخابات البرلمانية :

منذ نهاية السبعينات إنخرطت لوييزة حنون في العمل السياسي ضمن هياكل اليسار الجزائري، كلفها ذلك فترة في السجن، بعد أحداث أكتوبر 1988، وأسست حنون مع رفاقها التروتسكيين حزبا سياسيا بإسم حزب العمال، الذي لعب دورا بارزا في الدفاع عن الحريات ورفض إنقلاب الجيش على الإسلاميين في يناير / كانون الثاني 1992، وتبني قضية المفقودين خلال الأزمة الأمنية والمشاركة مع قوى وشخصيات المعارضة السياسية الجزائرية في مواجهة ممارسات على

¹ - " النصر "، مجلة، قصص نجاح سيدات في عيدين و سياسيات يؤكدن، نشر بتاريخ 07 مارس 2017،

[www.annasronline.com/index.php/2014-08-09-10-](http://www.annasronline.com/index.php/2014-08-09-10)

النظام في التسعينيات. وظلت لويزة حنون أبرز الشخصيات السياسية على الساحة الجزائرية والتي إتخذت مواقف سياسية جريئة، لغاية السنوات الأخيرة أين عدّلت بعض من مواقفها من السلطة.² وفي إنتخابات ماي 2017، قادت لويزة حنون حزبها، في خامس إنتخابات برلمانية منذ العودة إلى الشرعية الإنتخابية في الجزائر عام 1995، فهي الوجه الدعائي الأبرز للحزب، خاصة أنها تحضى بإحترام كبير في الأوساط العمالية والشعبية، ورغم أن الحزب لا يحقق نتائج كبيرة في الإنتخابات، غير أن كتلتها الإنتخابية تعدّ الكثر نشاطا في البرلمان منذ 1997، خاصة في متابعة وتعديل القوانين التي تطرحها الحكومة.

إذن لويزة حنون، هو إسم سيحفظه أطفال الأجيال القادمة، لأنّ صاحبتة إمراة دخلت التاريخ عندما قرّرت منافسة الرجال على أعلى سلطة في البلاد، رئاسة الجمهورية. إمراة إعترف لها الكثير بمواقفها الشجاعة وجرأتها النادرة، هي إمراة تتنطق بإسم الرجال والنساء على السواء، يصفها البعض بالديكتاتورية، ويرى البعض الآخر في ديكتاتوريتها ميزة الزعماء الأقوياء؛ فهي تمسك بزمام الأمور بقبضة من حديد¹.

تطالب بقانون أسرة مدني، تتحدى الحكومة و تعارض خصخصة الشركات السيادية بالجزائر، تدعو للمسيرات وتمشي فيها فيتبعها الآلاف، ترفع صوتها عاليا ولا تخشى أحدا، هي سيدة السياسة الأولى في الجزائر، لويزة حنون، زعيمة حزب العمال، رغم أن هناك من يرى أن خطابها أكل عليه الدهر وشرب، لأن العمال أنفسهم الذي تدافع عنهم و عن مستقبلهم المهني، هم أنفسهم يفضلون الخصخصة في بعض الأحيان.

مع ذلك، لا أحد ينكر أن لويزة حنون مناضلة من الطراز الأول، لكن ما وصلت إليه لم يأت بمحض الصدفة، وإنما بعد نضال طويل و صعب، دخلت خلاله السجن بعد إعتقالها في عهد حكم الحزب الواحد بالجزائر.

المطلب الأول : نبذة عن حياة لويزة حنون، زعيمة حزب العمال : بتاريخ / 07 أفريل /

نيسان 1954، وفي منطقة جبلية بولاية جيجل الساحلية بالجزائر ولدت لويزة، التي لم يكن أحد من

¹ - مرصد نساء سورية، من أجل مجتمع خال من العنف و التمييز، نوال مسيخ - الجزائر - " المرأة السياسية رقم واحد في الجزائر " تنشر بالتعاون مع بوابة المرأة في البحرين (4/2007). www.nesasy.com/2007/501/3739

أفراد عائلتها يتنبأ أنها سوف تكون امرأة ذات شأن و تنافس رجال الجزائر على منصب رئيس الجمهورية.

بعد أشهر، إندلعت بالجزائر ثورة التحرير الكبرى ضد الإحتلال الفرنسي وإضطرت ظروف الحرب عائلة حنون للنزوح من ولاية جيجل نحو عنابة الساحلية. وفي البرد القارس إنتقلت الرضيعة لويزة حنون من منزل لآخر ومن منطقة لأخرى، وبعنابة ترعرت وكبرت ودخلت المدرسة، وكانت بذلك أول فتاة من أسرتها تدخل المدرسة غداة الإستقلال عام 1962.

نالته شهادة البكالوريا سنة 1975، وواصلت دراستها الجامعية بجامعة عنابة، وحصلت على شهادة ليسانس في الحقوق.¹

ولأنها كانت امرأة عملية معتمدة على نفسها، فقد قررت العمل قبل إنهاء دراستها الجامعية، فعملت موظفة بسيطة بمطار عنابة، لكن ما كان ذلك العمل ليرضي طموحها اللامحدود ...

أ / الخطوات الأولى في السياسة :

في عام 1979، ولجت لويزة حنون عالم السياسة، في الوقت الذي كان الحديث عن المرأة في السياسة حديثا نادرا، وقد نشطت في مجال حقوق المرأة لكن خارج إطار جبهة التحرير الوطني ... الحزب الواحد والحاكم آنذاك، وهو الأمر الذي سبب لها الكثير من المشاكل خاصة و أنها امرأة متمردة، تفيض بالحيوية والنشاط وتبحث وتتحين فرصة إيجاد قناة مناسبة لتفجر طاقتها وتجسد أفكارها التي كانت تعتبر متطرفة آنذا، وكانت تنشط في المجال السياسي ولكن في السر. بعد سنة، إنتقلت إلى الجزائر العاصمة، مخلفة وراءها العمل بالمطار الذي ما كان ليرضيها ويستجيب لطموحاتها الكبيرة، وهناك أصبح قانون الأسرة الجزائري قضيتها، وإن كان وقتها قضية الجميع، لأنه كان مثار جدل كبير.

سنة واحدة بعدها إنضمت إلى المنظمة الإشتراكية للعمال، وهي منظمة تروتسكية تنشط في السر. وفي عام 1983، بدأ تاريخ مرحلة جديدة في مشوار لويزة حنون التضالي، حيث زجّ بها في

¹ - مرصد نساء سورية، من أجل مجتمع خال من العنف و التمييز، نوال مسيخ - الجزائر - " المرأة السياسية رقم واحد في الجزائر " تنشر بالتعاون مع بوابة المرأة في البحرين (4/2007). www.nesasysy.wordpress.com/2007/501/3739

السجن، و لم تكن التجربة سهلة على امرأة في بلد لا يكاد يعترف بالنساء إلا في البيت، بإستثناء المجاهدات أيام الثورة اللواتي جاهدن في الجبال إلى جانب الرجال الجزائريين. ولم يصدر حكم ضد السجينة لويزة حنون ورفيقاتها إلى حين تمّ الإفراج عنها في شهر ماي من عام 1984، أي بعد قضاء ما يقارب الخمسة أشهر بالسجن، تجربة لم تكن سهلة، ولكن بالنسبة لإمرأة متمردة مثل لويزة حنون، كان للسجن فلسفة أخرى، فلقد كان درسا صعبا وتكويننا قاسيا لسياسة من طرائز آخر.

وكانت حنون تواكب التغييرات التي تعرفها الجزائر خلال تلك الفترة، وجاء أحد أهم الأحداث التي عرفتها الجزائر أحداث أكتوبر 1988، خلل خلالها الجزائريون ناقمين على الحكّام ومطالبين بإحداث ما يلزم من تغييرات، وكانت لويزة حنون من بين المتظاهرين، وتمّ القبض عليها مرة أخرى، لكن نزولها بالسجن هذه المرة لم يطل، حيث بقيت به لمدة ثلاثة أيام لتنال بعدها حريتها. و في عام 1984، كذلك إنضمت إلى منظمة المساواة بين الرجال والنساء التي كانت ترأسها آنذاك وزيرة الثقافة السابقة خليفة تومي، والتي عرفت هي الأخرى بإستماتتها في الدفاع عن حقوق الإنسان وحقوق المرأة على وجه الخصوص. بعدها، إنضمت لويزة حنون إلى اللجنة المسيرة لرابطة حقوق الإنسان رفقة المحامي عمر منور، الحقوقيّ المعروف في الجزائر.¹

ب / و أخيرا تؤسس لحزب العمال :

أثمرت أحداث أكتوبر 1988، بالإعلان عن التعددية الحزبية لأول مرة في تاريخ الجزائر المستقلة وجاء ذلك الإعلان خلال عام 1989، وما هي إلا سنة حتى أعلنت لويزة حنون عن تأسيس حزب العمال، ومنذ ذلك اليوم و هي تنزعمه و تنطق بإسمه إلى يومنا هذا. وقد قادته للإنتخابات عدة مرات، أولها كانت خلال عام 1997، أين فاز حزب العمال بأربع مقاعد فقط، و دخلت بذلك رفقة ثلاثة آخرين من أعضاء حزبها إلى المجلس الشعبي الوطني الجزائري.

¹ - مرصد نساء سورية، من أجل مجتمع خال من العنف و التمييز، نوال مسيخ - الجزائر - " المرأة السياسية رقم واحد في الجزائر " تنشر بالتعاون مع بوابة المرأة في البحرين (4/2007). www.nesasy.com/2007/501/3739

وبدا جليًا أن السياسية المحنكة تطمح إلى أكثر، فأرادت أن تترشح للانتخابات الرئاسية التي أجريت بالجزائر عام 1999، لكن أوراقها لم تقبل لأنها لم تحصل على 75 ألف توقيع من المواطنين، و كان أحد الشروط الضرورية للترشح لمنصب رئيس الدولة في الجزائر. وترشح حزب العمال من جديد للانتخابات التشريعية بالجزائر سنة 2002، وارتفع هذه المرة حصاد الحزب، حيث حصل على 21 مقعدا في البرلمان حسب النتائج الرسمية التي أعلنها المجلس الدستوري الجزائري آنذاك، واحتل بذلك حزب العمال المرتبة الخامسة في ترتيب الكتل البرلمانية، التي تتقدمها كتلة حزب جبهة التحرير الوطني.

وجاء الموعد الكبير، الانتخابات الرئاسية لعام 2004، و هذه المرة لم تضيّع لويذة حنون الفرصة خاصة وأنه كان لها ما يكفي من الوقت للإستعداد والعمل الميداني، حيث بذلت قصارى جهدها للحصول على 75 ألف توقيع من المواطنين في 25 ولاية جزائرية، ونالت مرادها ... وتمكنت من الترشح للرئاسيات.

وهو ما شكّل حدثا في الجزائر، بل وفي كل الدول العربية، وتناولت الخبر كل العناوين الجزائرية ووسائل الإعلام الأخرى المحلية والعالمية.

ورغم أنها لم تتل من الأصوات سوى ما يمثل 1 %، إلا أن مشاركتها نفسها لم تكن بالشيء الهين أو العادي، ترشحها في حد ذاته كان حدثا كبيرا، فهي دخلت التاريخ، وأصبحت أول امرأة جزائرية تترشح لمنصب رئيس الجمهورية، و تنافست مع رئيس البلاد آنذاك - المنتهية عهده - السيد عبد العزيز بوتفليقة، والذي فاز من جديد ليحصل على عهدة اخرى، لتتال المرأة السياسية رقم واحد في الجزائر الثناء والتشجيع من قبل القاضي الأول في البلاد، الرئيس عبد العزيز بوتفليقة ويحسب للمرأة مواقفها الشجاعة الكثيرة، خاصة مواجهتها الجريئة للطاغم الحكومي الجزائري من دون أدنى خوف، وهي التي إتهمت بعض الوزراء بالعمالة، وتتناقل الصحف، بل وحتى التلفزيون هجوماتها بشكل يكاد يكون يومي ...¹.

وللويذة حنون آراء في الكثير من القضايا الوطنية الجزائرية والعربية والعالمية، منها معارضتها لخصوصة المؤسسات السيادية في الجزائر كشركات النفط والقطاعات العمومية الأخرى،

¹ - مرصد نساء سورية، من أجل مجتمع خال من العنف و التمييز، نوال مسيخ - الجزائر - " المرأة السياسية رقم واحد في الجزائر " تنشر بالتعاون مع بوابة المرأة في البحرين (4/2007). www.nesasy.com/2007/501/3739

كاتصالات الجزائر والكهرباء و دافعت عنها بشراسة، وفي كل مرة أكدت رفض حزبها القاطع لخصخصة هذه القطاعات لأنها حيوية وتمثل السيادة الوطنية بالجزائر.

فيما يخص القضايا العربية، عارضت لوزة حنون بقوة الحرب التي شنتها أمريكا وحلفاؤها ضد العراق، و نظمت عدة مسيرات و تظاهرات إحتجاجية، قوبلت بالتطويق و بنفس النبرة و الإستماتة رفعت صوتها عاليا منددة بالإحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية في العديد من المرات و نظمت مسيرات و تجمّعات دولية لأجل ذلك، وكانت آخرها الندوة الدولية للتضامن مع النساء الفلسطينيات، كما شاركت بالتنسيق مع الإتحاد العام للعمال الجزائريين في اللقاء الدولي التضامني الذي نظم بالجزائر خلال الإحتفال بعيد المرأة عام 2007.

على الصعيد الدولي، أبدت حنون معارضتها القويّة لظاهرة العولمة و شاركت في العديد من الندوات و التجمّعات المنادية برفضها، فكانت دائما حاضرة للمساهمة في الدفاع عن حقوق العمّال، أينما كانوا.¹

المبحث الثالث : كيفية التواصل السياسي من خلال الخطاب :

الخطاب السياسي، هو خطاب إجتماعي يرتبط بالمجتمع السياسي الذي يوجّه إليه، ويحمل قيمه وتحليل الخطاب ينظر في علاقة المجتمع بالخطاب وطريقة التواصل و أدواته².

ودراسة بنية الخطاب الداخلية وحدها، دون العناصر الخارجية المشاركة فيه، تقلل من قيمته، لأنه خطاب مباشر يعتمد على الأشكال البسيطة والمفردات الواقعية التي يستخدمها الخطاب اليومي.

وترتكز دراسة الخطاب السياسي الحقيقية في معرفة العناصر الداخلية و الخارجية معا، فالعناصر الخارجية، هي التي حققت له نجاحا إتصاليا واسعا، أضف إلى ذلك أنه خطاب إجتماعي يرتبط بالمحيط الخارجي، ومن ثمّ تتجه نحو البنية الداخلية على المستوى الصوتي (في الخطاب المنطوق). والمستوى الصّرفي والتركيبية، والدلالي. زد إلى ذلك المفاهيم الخارجية التي تشكّل الخطاب السياسي والمتمثلة في السياق الخارجي: الموقف، و الزمان، السكان و المشاركون في الحدث وموضوع الخطاب والمقصد والمقصد من الخطاب والأثر الثقافي والإجتماعي والسياسي

1 - مرصد نساء سورية، من أجل مجتمع خال من العنف و التمييز، نوال مسيخ - الجزائر - " المرأة السياسية رقم واحد في الجزائر " تنشر بالتعاون مع بوابة المرأة في البحرين (4/2007). www.nesasy.com/2007/501/3739

2 - د. محمود عكاشة، " خطاب السلطة الإعلامي و تقنية التعبير اللغوي، مكتبة النهضة المصرية، ط 2004/1، ص 5 و ما بعدها.

وجميع المؤثرات الخارجية المباشرة التي تشارك البنية الداخلية في الدلالة و تسهم في نجاح عملية الإتصال، لأن ذلك يساعد المتلقي على معرفة الخطاب وفهمه فهما يتناسب و السياقات الإجتماعية و النفسية و التاريخية و اللغوية.

وعليه، فإذا كان الخطاب المنطوق هو مجموعة من التراكيب اللفظية، فهو بالتالي تلك الوسيلة المكتوبة أو المنطوقة التي تصل بين الطرفين: طرف يريد التأثير و طرف يبحث عن فعل التأثير، فيهدف الخطاب إلى فعل الإقناع سواء كان مكتوباً أو منطوقاً، فهو ضرب من ضروب التفاعل الإجتماعي وهو جملة من الأفكار المتناسقة التي تعكس رأي هيئة ما، وهو عبارة عن وحدة لغوية خاصة، أكبر شكل من الجملة.¹

فالخطاب، إستراتيجية إتصالية شاملة تمتد خارج المجال اللساني الذي يخصّ النص.

ولا ينبغي النظر إلى الخطاب السياسي من وجهة نظر سياسية فحسب، على إعتبار أنه يمثل خطاب السلطة إلى الجماهير، بل من وجهة نظر إعلامية أيضاً، بإستخدام السلطة السياسية لوسائل الإتصال الجماهيري في ترويج خطابها السياسي، ومن وجهة نظر فلسفية إذا علمنا أن القائمين على صياغة الخطاب السياسي، سواء من السياسيين أو الإعلاميين يأخذون محدّدات الفكر السياسي أثناء صياغة الخطاب من وجهة نظر لغوية وفي ضوء دراسة الأسلوب و المحدّدات اللغوية في صياغة هذا الخطاب.

و فيما يخص الملامح اللغوية للخطاب السياسي، فهناك أربع ملامح² :

1. على المستوى الصوتي، حيث تنأى لغة الخطاب السياسي عن الأصوات المتنافرة أو الثقيلة أو الصعبة وتميل إلى إنتقاء الأصوات السهلة المتألّقة، لأن السهولة و الوضوح من اهم ملامح لغة هذا الخطاب، ذلك بجانب الإستعانة بالمؤثرات الصوتية كالتنغيم لإبراز الرموز الصوتية المعبرة عنها.

2. على المستوى الصرفي، حيث يصطفي الخطاب السياسي الكلمات القصيرة و الواضحة و السهلة التي تخلو من التنافر بجانب الحرص على إستعمال الكلمات الشائعة و المعروفة لدى

1 - د. محمود عكاشة، " خطاب السلطة الإعلامي و تقنيّة التعبير اللغوي، مكتبة النهضة المصرية، ط 2004/م، ص 5 و ما بعدها.

2 - عن شبكة الانترنت : www.albayan.com.ae

الجماهير كي يتحقق بها التواصل مع تجنّب الكلمات الغريبة غير المألوفة أو التي بها ثقل بالنطق.

3. على مستوى التركيب، حيث يميل الخطاب السياسي إلى استخدام الجمل القصيرة المعبرة بوضوح، ذلك لأن الجمل القصيرة تأخذ جهداً أقل من المستمع دون إفراط في استخدام هذه الجمل، كي لا تأتي بنتيجة عكسية بينما تكثر الجمل الإسمية التي تبدأ بالأسماء مع توظيف أدوات النفي في تقابل بين النفي والإثبات لإظهار الدلالة المقصودة.

4. التكرار، بوصفه إحدى الوسائل الفعّالة في التأثير على وعي الجماهير، كما تلجأ لغة الخطاب السياسي إلى التضاد لإظهار المعنى و إبرازه من خلال المقارنة التي يحدثها التضاد في ذهن المجتمع، أما شعارات الخطاب السياسي المعاصر فتتسم بالتكثيف والتركيز الشديد لدلالات مقصودة، اعتماداً على جمل قصيرة أو كلمات مختصرة أو كلمة واحدة.

فالخطاب السياسي لا ينطوي مضمونه على المعلومات فقط، إذا علمنا أن المعلومات هي أيّ مضمون يساعد الفرد في بناء و تنظيم جوانب الظروف المحيطة المتصلة بالحالة التي سيعمل في إطارها أو يقدم فيها على تصرف معين¹، بل ينطوي على بناء عدد من الأفكار والآراء والاتجاهات السياسية التي يستطيع الفرد بواسطتها فهم بنية نظام سياسي معيّن من حيث خصائصه و سماته، و تفرض العقلانية في الخطاب السياسي ثلاثة أمور :

أولاً : أن تقوم السياسة على مقتضى العقل، لا على مقتضى الهوى و المزاج فتننتج سبيل التخطيط والحساب الدقيق للمواد السياسية وكيفية استخدامها إستخداماً مثالياً وتدبير عملية الصراع الإجتماعي إدارة عاقلة لا مجال للعبث فيها، تماماً كما تدار دولة أو مؤسسة إقتصادية كبرى.

ثانياً : أن تكون السياسة برامجية، وأن يتحرى خطابها التعبير عن هذه الخلفية البرنامجية أو التعبير من داخلها.

ثالثاً : أن يخاطب الخطاب السياسي عق الجماهير، لا وجدانها ومشاعرهما، وحين تتأسس السياسة والخطاب السياسي على هذه القاعدة، تصان ويصان معها الخطاب من كثير من العاهات

¹ - أ.د. جيهان رشتي أحمد، 1937، نظم الإتصال : الإعلام في الدول النامية، القاهرة، دار الفكر العربي.

والأعطاب القاتلة مثل التجارب السياسية غير المحكومة بأيّ ضغط مرجعي والذاهبة بالعمل السياسي إلى متاهات لا نهاية لها¹

فالخطاب السياسي تعبير عن إتجاهات النخبة السياسية والذي يربطهم أحد أشكال التجمّعات السياسية كالسلطة أو الحزب السياسي أو التجمّعات السياسية الأخرى. و يتمّ مسبقا الإتفاق على منطلقات ومرتكزات هذا الخطاب، و قد يكون هنالك من يقوم بصياغة هذه المنطلقات في قوالب فلسفية بلاغية مع إيجاد الأدلة الإقناعية المنطقية إلى حدّ ما للتوصل إلى هدف الجهة السياسية المتمثلة بالإقناع، إذ يصدر على الفكر السياسي الكثير من الخطابات السياسية المتفاعلة ضمن الحداث والمواقف دون أن تأبه بالخطاب الآخر، وتعتبر الجهة السياسية مصدر الخطاب السياسي، فنقوم بصياغة تطوراتها السياسية على شكل رموز دلالية لإقناع الجماهير بها. ويقسم محمد عابد الجابري الخطاب وفقا لذلك إلى² :

(1) خطاب السلطة (الخطاب السياسي) :

ويتمّ ذلك في ضوء تحليل الموثيق المعلنة و الأساسية للنظم السياسية (الدساتير، الموثيق، الوثائق الحزبية للأحزاب السياسية)، وأهم من ذلك كله دراسة الممارسات السياسية للنظم بكل تناقضاتها وتغييراتها عبر الزمن، خصوصا في مجال التحالفات الدائمة أو الزمنية والتحويلات فيها.

(2) خطاب المثقفين :

ويتمّ في ضوء قراءة نقدية واعية للإنتاج الفكري المعاصر، وفق منهجية دقيقة تسمح برسم الخريطة الأساسية الفكرية، خاصة في المرحلة الأولى.

(3) خطاب الجماهير :

ويقصد بذلك الإدراكات و التصوّرات و الصّور النمطية التي تكوّنها الجماهير عن شعوب البلدان الأخرى، و القيام بدراسات ميدانية مقارنة لمعرفة هذه الإدراكات و الصّور النمطية. فأهمية اللغة السياسية تنبع من أهمية الأشخاص الذين يتحدثونها. وموقعهم الوظيفي في النظام السياسي

1 - عبد الإله بلقزيز، أزمة المعارضة السياسية في الوطن العربي، ورقة عمل منشورة في كتاب (المعارضة و السلطة في الوطن العربي) بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية 2001، ص 49.

2 - د. محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، ص 56.

للمجتمع، يمنحهم صلاحية الانتقال من مرحلة الحديث عن القضايا المهمة إلى إتخاذ القرارات المناسبة إتجاهها.

ومن أهمية اللغة السياسية أيضا أنها تنتقل عبر وسائل الإعلام إلى جماهير واسعة، و هذه الجماهير على نوعين:

أولاً: عامة الناس الذين يستمعون إلى ما تتضمنه هذه اللغة وما يقوله الساسة يصبح مدار حديثهم ونقاشهم و يسهم في صياغة إتجاهات الرأي العام. وقد يقبل هذا النوع ما يقبله الساسة أو يرفضه، وإذا ما قوبل بالرفض، فمعناه أن الفعل السياسي الذي يلبي اللغة يصبح عديم الشرعية، خاصة في المجتمعات الديمقراطية.

ثانياً: الجماهير المستقبلية للخطاب السياسي، هي شريحة النخبة المؤثرة التي تبني تصوراتها وردود فعلها و قراراتها على ما تسمعه من آراء تتجسد في الخطاب السياسي الذي يستخدمه المشتغلون بالسياسة.

ومن هنا، فإن للغة السياسية أثر في الحياة السياسية في أعلى مستوياته¹، والسؤال المطروح هنا، هو هل استطاعت المرأة الأفراد بخطاب خاص بها أم أن لغة الخطاب السياسي هي نفسها بين الرجل و المرأة؟

وهل إستقلالية الخطاب شأن كبير في أن يكون للمرأة دور ريادي في بناء المجتمع؟

يختلف تفاعل الرجل السياسي عن المرأة السياسية في طريقة إلقاء الخطاب من خلال الألفاظ المستعملة و النبرات المرافقة لها.

فهدوء المرأة يكون جلياً أكثر من الرجل أثناء الإلقاء، وهذا يرجع إلى طبيعتها وصوتها المنخفض في العموم، كما تنسجم رغبتها في إيصال رسالتها مع إهتمام الحضور لمعرفة ما في جعبة هذه المرأة.

وأما الألفاظ، فيتشابهان فيهما إلى حدّ بعيد، غير أن المرأة تميل في الكثير من الأحيان إلى إلزامية فعل الأمور بإستخدامها ألفاظ مثل: " يجب"، " من الوجب"، " لا بدّ"، عند تطلّعها لتغيير وضع ما أو إلتماسها إستجابة لطلب ما أو حلّ مشكلة...، رغم إشتراكها مع الرجل في توظيف

¹ - د. محمد عابد الجابري، الخطاب الوجدانية في عصرنا، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد1، 2003، ص 62.

ألفاظ على شكل : " من الأرجح "، في الإقتراح، " يرجى " و " ينبغي " في توجيه أمر ما أو الأمل في حدوثه بطريقة ما.

كما تبدو المرأة أكثر إلتراما في خطابها السياسي وتقيدها بالموضوع، إلى هنا تتشابه في تصرفاتها مع الرجل، إلا أن الإختلاف يظهر في الكثير من الأحيان في عدم ميولها إلى النكت للتخفيف من التركيز الزائد و الإنضباطية (بمعنى الإنضباط المتواصل)، أو مداعبة شعور الحاضرين، ربّما خوفا من أن تخرج الأمور عن السيطرة أو خشية فقدان مصداقيتها أو حتى تلاشي ثقته بنفسها، خصوصا إذا لم يستصغ الحضور رغبتها في تخفيف الضغط بتلك الطريقة، وقد يرجع هذا إلى عدم توقّع تصرف أو عبارات ما من شخص بعينه.

ولكن، هل ينطبق هذا على المرأة الحديدية، السيدة لويّزة حنون التي لطالما عرفت بالجرأة والكلمات القويّة و الصوت العالي ؟

إن التعبير في السياسة يكون غالبا بالتلميح والحث على فعل الأمور لا التشخيص، فمثل الرجل السياسي، المرأة تلتزم في خطابها السياسي بما يمليه توجّهها الإيديولوجي والقناعات السياسية المؤطرة لحزبها في شتى المجالات، فلا ريب في تشابه البعض مع البعض الآخر حتى يصبح إستتساخا صريحا في العديد من الأطياف السياسية، بما فيها حزب العمال.

فالمراد من الخطابات هو شكل و مضمون الكلمات المستعملة في الإلقاء من أجل تبيان ماهية الأمر المطروح للنقاش والإحاطة بجلّ زواياه ليصل إلى المتلقّي مفهوما¹.

فالمرأة، بحسب كفاءتها تستلهم من معرفتها و تكوينها الدراسي ونظالها السياسي لإختيار من الكلمات ما يقربها من موضوع الخطاب السياسي ليكون صدى في أسماع المتلقّين، فهدفها معروف كما أن طريقة الإلقاء تتشابهك مع مدى إمامها وقناعتها بمحتوى الخطاب بحدّ ذاته ووجهته الأنية والبعديّة. لذا نرى أن قوة الكلمات المنتقاة وتناغمها مع لبّ الموضوع، سوف يضيف على المرأة السياسية المخاطبة للحضور، هيبة وإحتراما دائما، خاصة إذا كانت هذه المرأة السياسية تتصرف على طبيعتها، لا راغبة في التشبّه بالرجل ولا معادية لمن يريد طمس وجودها وتأثيرها في المشهد

¹ - د. محمد عابد الجابري، الخطاب الوجدانية في عصرنا، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد1، 2003، ص 62.

السياسي، كما أن الأمر يوحي بالمصيرية خاصة بالنسبة لمن ترقى في تطّعاتها إلى بلوغ مكانة أفضل في الوسط السياسي و حتى الإجتماعي، بإعتبار أن المرأة تناضل من أجل ذلك.

المطلب الأول : الخطاب السياسي عند المرأة :

الخطاب السياسي يركز في العموم على إثراء مواضيع تتعلق أساسا بالرغبة الجماعية لا الفردية في تحسين واقع معاش بشتى جوانبه، سواء كان هذا إنتقادا لسياسة طرف ما أو في حملة إنتخابية. فالمرأة التي تخوض في عالم السياسة مثلها مثل الرجل، يتوجّب عليها التطرق لكلّ الميادين، لا التخصّص في مجال معيّن. و رغم ذلك، نجد أنّ المرأة السياسية وزيادة على تخصّصها (معلّمة، طبيبة، مهندسة...) ربما تخوض أكثر في ميدانها، شأنها شأن الرجل وتزيد عن ذلك فيما يتعلق بالقضايا الإجتماعية خاصّة الأسرة، فهي تقف موقف المدافع عن الطرف الأضعف على حسب قناعتها كونها امرأة، تتميز عن الرجل¹ السياسي في مواقفها إلى حدّ يعتبره البعض تحيّزا على حساب الرجل في الأسرة، الشيء الذي يجعل منها متخصصة بالفطرة في هذا الميدان، لهذا قد تكسب المرأة رهانا في خطابها السياسي المدافع عن المرأة التي تعتبر أكثر من يصوّت في الإنتخابات، إن أخذنا بعين الإعتبار الطريقة الحسابية لا الإحساس بالموضوع والتفاعل معه و هذا بحدّ ذاته مكسب.

وقد تتميّز المرأة السياسية على منافسيها في السياسة خاصة إذا تعلق الأمر بخطابها السياسي المتعلق بالأسرة والمرأة والمجتمع، كون أن أطياقا سياسية تقاس على أنها إشتراكية أو شيوعية أو بالأحرى متفتّحة وأخرى معتدلة وأخرى محافظة على حسب توجّهها الإيديولوجي. فالتوجه السياسي الإيديولوجي هو الفيصل في الكثير من الأحيان، في نوعية الخطاب ومضمون الكلمات المستعملة، بغض النظر عن صدقها أو قناعة متلقّيها. فالمرأة السياسية دور جدّ هام في توصيل أفكار الحزب و إقناع المواطنين و المناضلات و كسب تعاطفهن خاصة في ميدان الأسرة و المجتمع.

كما أن خطاب المرأة السياسية يلقي صدى كبير أيضا في دفاعها عن المرأة وحقها في العمل والمرأة العاملة، و المساواة بينها وبين الرجل، ومبدأ تكافؤ الفرص.

¹ - د. محمد عابد الجابري، الخطاب الوجدانية في عصرنا، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد1، 2003، ص 62.

وبغية إضفاء المصدقية على خطابها السياسي، تعتمد المرأة تلقائياً إلى ذكر مرجع تقتنع به، سواء تعلّق الأمر بعمل أقيم من قبل أو مقولة هادفة قد أثبتت الأيام نجاعتها؛ هذا إذا كانت ترغب في إستنساخ قواعد هذا العمل الناجح و إقناع الحضور به.

وهنا نقول أن المرأة تميل أكثر من الرجل إلى تبرير إختياراتها السياسية من خلال التفاعل مع القضية المطروحة للنقاش أو وجهة خطابها.

المطلب الثاني : خصائص الخطاب السياسي عند المرأة :

أولاً : الإندفاع : الروح الإندفاعية عند المرأة السياسية تظهر في بعض خطاباتها التي تتسم بالجرأة من جهة واللامبالاة بمننقديها من جهة أخرى. و يتجلى هذا النوع من الخطاب ليظهر جرّاء تأزم مشكلة ما، سواء كانت إقتصادية، إجتماعية أو حتى سياسية، وهنا يأتي ذكر التهور مكان اللامبالاة حين يصبح الأمر المعبر عنه محلّ شك من البعض، أو صراع مصالح أو حتى إمتداد في الزمن لأزمة ما وصعوبة الفصل فيها، جارّ بذلك المخاطب إلى الإنفعال.

فطبيعة المرأة تظهر وتطفو على كونها سياسية، فيظهر بذلك إنفعالها لتدخل في زمرة الممارسين لهذا الفنّ لتقول : " لن أترى أكثر، وسأقول لكم ما عندي، فاسمعوا حتى وإن لم تشاؤوا " .

ثانياً : الدفاع :

معروف عن السياسيين أنهم يتقمّصون أدواراً مختلفة تعود بالأساس لأصحابها الذين إنتخبوهم ليكلّموا على ما يشوب حياتهم اليومية وتطلعاتهم لغد أفضل. وفي هذا السياق يأتي خطاب المرأة مدافعا على من سلب حقّه وأيضاً ساعياً لتحسين أوضاع المواطنين بمختلف أطيافهم، وكذا التكتلات من جمعيات ونقابات ... وغيرها.

وهنا تتميز المرأة بمثابرتها ومعاودة طرح القضايا بإستمرار وأمام العديد من الهيئات الحكومية الوطنية والمحلية.

ثالثاً : الكلمات :

يرتبط حرص المرأة المثابرة في ظل الإعتبارات السياسية و الإجتماعية، على السموّ في نضالها والمشاركة في العمل السياسي إيجاباً إلى جانب الرجل.¹

وهنا يأتي التأكيد على مدى أهمية الكلمات المستعملة ومضمونها والحرص على عدم الوقوع في هفوات قد تنقص من شأن المخاطب، على عكس ما يرجى من تفاعل وإثراء من قبل المتلقين.

فالإختلاف بين المرأة والرجل في الخطاب السياسي له دواعي تكوينية نضالية، كالقدرة على تجاوز العضلات التي تطراً خاصة أثناء الخطاب، ولا يستثني في الكفاءة أيّ واحد منهما، إذ أن لكل واحد منهما القدرة على كتابة خطاب سياسي وإلقاءه والإلمام بموضوعه وغايته.

ومن هنا، فإن حقيقة سيطرة العواطف على المرأة أكثر من الرجل تتجلى في أمور كثيرة، إذ أنها مندفعة أكثر من الرجل عندما تدع مزاجها يأخذ زمام الأمور فتتأثر وتعطي ردّة فعل قويّة وسريعة، ومن النادر أن تكبت ذلك بالتفكير و التأمل.

المطلب الثالث : عوائق بناء خطاب سياسي خاص بالمرأة :

إن تواصل المرأة مع المجتمع عامة تميّزه العاطفة، وفي المجال السياسي يغلب عليه الإحساس برغبة نيل الإعجاب. وكونها تتقلد منصبا سياسيا يتطلب منها فرض سلطتها وسيطرتها على الأوضاع، فهذا غالباً ما يصعب تحقيقه حسب " دبوراً كمرون " ²، التي تؤيد فكرة وجود عوائق تحول دون إمكانية بناء خطاب سياسي خاص بالمرأة. فكون الرجل كان سباقاً للمعترك السياسي ولربما كان مؤسسها، فمن البديهي أنه وضع منهجية قد تكون فطرية في الخوض في شتى المجالات، وطريقة في الإتصال مع الآخرين من النظراء والمعنيين بالخطاب السياسي كوسيلة تعبّر عن إنشغالات المجتمع.

هذا المنهج قد يخدم المرأة، كونه موجود ويسهّل تلقي أبجديات الخطاب السياسي، ولكن مع الوقت ومع إزدياد عدد النساء اللاتي يلجن في هذا الميدان، تنامت الأفكار و الرؤى الجديدة و كذا طريقة التعبير عنها.

¹ - د. محمد عابد الجابري، الخطاب الوجدانية في عصرنا، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد1، 2003، ص 62.

² - Deborah Cameron, born 10 november 1985, is a feminist linguist, she is mainly interested in sociolinguistic and linguistic anthropology, a large part of her academic research is focused on the relationship of language to gender. Cameron wrote the book :The Myth of Mars and Venus :Do Men and women really speak different languages ?; published in 2007.

وإمكانية تقبل خطاب جديد في الساحة السياسية، يرتكز على مدى توافقه مع متطلبات المجتمع، ربما تكون رغبة الإستماع للصوت الجديد عزوفا عمّا سبق، أو لغرض تغيير الأجواء السياسية في وسط قد عنى فيه السابقون بشتى المغريات من حسن الكلام وكثرة الوعود، دون تحقيق الأهداف المنشودة، كما يتخوف البعض من المجهول وإعادة كرّة ما سبق.

ولهذا، تنضوي المرأة فيما هو معمول به وتبحث عن فضاء لها للتخذ المنهجية الذكورية كمرجع لخطابها السياسي.

من البديهي أن توجد فوارق طبيعية للتواصل بين الرجل والمرأة، و لكنّها ليست مشكلة بحدّ ذاتها، لأنها الطبيعة التي خلق الله عليها كلاً من الذكر والأنثى، ولكن تضارب الأفكار من جهة وعدم القبول بوجود الرأي الآخر والرضوخ إلى المناقشة والتحليل من جهة أخرى يؤدي بالضرورة إلى بروز تضاريس وعقبات تصعب على المرأة إيصال أفكارها خاصّة وأنها أتت بعد الرجل في هذا الميدان.

فهناك إختلاف في تسلسل المفاهيم والخطط وترتيب الأولويات، فما يرى أنّه مستعجل من طرف قد يترك لأجل مسمّى أو حتى يتجاهله الطرف الآخر، مؤدّياً بذلك إلى صراع متعدّد الجوانب يتمثل في كيفية إيصال الأفكار من قبل المرأة، تمريرها لبسط السيطرة ولو كانت غير مكتملة وفتور في العمل سوياً، لأن الأهداف لم تعد واحدة.¹

لهذا، يمكن القول أنّ القضايا التي يدور حولها الجدل والنقاش هي كثيرة، ولعلّ من أهمّ تلك القضايا المطروحة الآن، قضية مشاركة المرأة في الحالة السياسية سواء عن طريق المشاركة في الإنتخابات كمرشحات، تأسيس نقابات أو من خلال إنتخاب أحزاب أو أفراد في المجالس التشريعية والمحليّات، حيث يتوفر هنا مبدأ القدرة على التعبير عن موقف سياسي أو إيديولوجي، ويكون هذا التعبير نوعاً من أنواع المشاركة السياسية في صنع القرار.

فلابد من وضع خطط ودراسات لتقليص حجم التفاوت بين المساحات المتوفرة لحرية حركة النساء وبين المساحات المتوفرة للرجال أثناء تأديتهم الأنشطة ذاتها.

¹ - Deborah Cameron and Sylvia Shaw, Authors of (Gender power and political speech :women and language in the 2015UK), General election 1sted 2016 edition.

تجدر الإشارة إلى تنوع أشكال المشاركة السياسية للمرأة التي تتسع لتتضمن قدرة النساء على نقد الواقع والتعبير الحرّ عن تصوراتهن للمجتمع الذي يشكلن نصفه، بحيث لا تكون المشاركة المرجوة هي مجرد الحصول على مقاعد ومناصب تعيينية فحسب ولكن لتشمل إمكانياتهن الفكرية في وضع خطاب يتناولن من خلاله قضاياهن وتدخلاتهن في مفاصل الدولة المختلفة باعتبار العمل السياسي للمرأة ركيزة من ركائز الديمقراطية وشرطا من شروط المواطنة الفعّالة ومؤشرا من مؤشرات التنمية البشرية و تتويجا لما تتبوأه المرأة من أدوار في الحياة العامة.

فلقد أصبحت المشاركة النسائية في الحياة السياسية اليوم تمثل مطلباً أساسياً من مطالب الحركات الإنسانية والنسائية مقترنة بضرورة تواجد المرأة في مراكز صنع القرار والتمثيل المتساوي للجنسين في الهيئات الوطنية والدولية. فالمجال السياسي للمرأة يمنح المجتمع فرصاً أكبر لتحليل الأفكار وتبيان الأحسن منها باعتبار أنّ المرأة هي حلقة الوصل بين الشعب والقيادة من خلال تأثيرها على الجيل الذي تربيته ومن خلال تعايشها مع الرجل.

ولكون طبيعة المرأة البيولوجية هي العطاء، ستعطي حبّها وإهتمامها للوطن وستتعاون من أجل خدمة الصالح العام.

خاتمة :

لعبت اللغة و لا زالت تلعب دورا أساسيا في الوجود الإنساني على جميع الأصعدة و المجالات الحياتية المختلفة، إذ تشكل اللغة أداة لإخراج الأشياء من العدم إلى الوجود، فيها يحدد الإنسان إنسانيته و هويته، و بها يقرأ الأحداث و يفسر الأمور، و بها يفكر و يقرر و يؤمن، و بها يمارس سلوكه و حياته و يحقق أهدافه و طموحاته و آمال.

فلن يكون للواقع معنى دون لغة، كما لا وجود لفكر مؤثر خارج اللغة. و كما أن للوقائع سلطتها، فللغة سلطتها التي لا تتوقف عند حدود التوظيف ... يقول رولان بارت : " أن ننتج خطابا ليس هو أن نتواصل كما يردد غالبا، بل هو أن نسود و نسيطر، فكل لغة هي تعميم لتبعية المفعول لفاعله أو لإسناده إليه " .

كان جبران خليل جبران يقول : " لكم لغتكم و لي لغتي " ، فلم يكن يقصد بذلك القواعد المعيارية، بل كان همّه أن يلفت النظر لأمر من صميم الواقع؛ أن يقول؛ اللغة تغيير و تأثير، موقف و تأمل ... مع المعيار، نمطيته، و مع التأمل، تجدد.

فمن المعلوم أن يتدخل السياسي في الشأن اللغوي، لأنّ هذا الأمر ضروري لبناء نمط موحد و تقديم إستراتيجية مبنية على نفس القيم، لتفادي تفكيك الجماعة، و ضبط الإيقاع الفردي الضامن لتماسك مكونات المجتمع.

فالسّياسة تتسم إجمالاً بقدرتها المتأصلة على إستثمار مجمل وسائل أو نتائج النشاط الإنساني عموماً، لكن طبيعة إستثمار السّياسة للغة في إطار ما يمكن الإصطلاح عليه " بعلم سياسة اللغة " يخضع لقواعد خاصّة، نابعة من خصوصية الموضوع الخاضع للسّياسة.

فهناك إرتباط شديد بين السّياسة و اللغة، و كلّ متنبّع للغة السّياسية يلاحظ أنّها تنهل و تستعير من جميع الحقول و الميادين لإيجاد الدلالة السّياسية اللّازمة عند معالجة قضية أو إشكالية معينة سواء ذات شأن دولي أو ذات شأن عام داخلي.

و هكذا سنجد أنّ اللغة السّياسية و الخطاب السّياسي يتعاملان مع جميع الحقول و بدون إستثناء؛ و إذا أردنا أن نحدّد طبيعة مصطلحات اللغة السّياسية، فسيكون من المفيد دراسة ما يشكل جوهر النصوص السّياسية، و يمكن أن يكون نطاق النص السّياسي، الإقناع، المنطق، الخداع أو حتى

الصّخب؛ و كلّها تتطلّب استخدام لغة معيّنة، لأنّ الغرض من الخطاب هو إقناع الجمهور بالموافقة على فكرة أو رأي ما يقوله المتكلّم.

و هذا أكيد ينطبع على لغة الخطاب السّياسي عند المرأة بإعتبار أنّ هذه الأخيرة دخلت عالم السّياسة، و لا زالت تتاضل من أجل فرض وجودها في عالم كان دائماً حكراً على الرّجال، فقضية مشاركة المرأة في العالم السّياسي تعتبر من أهمّ القضايا التي حظيت بعناية كبيرة خلال العقود الأخيرة، خصوصاً و أن المرأة أثبتت أنّه عندما تتساوى لها الفرص التي يحصل عليها الرجل، فإنّها تعطي مثل عطاءه، إن لم يكن أكثر.

فلقد أصبحت دراسة اللّغة أكثر مركزية بالنّسبة إلى الدّراسات الأكاديمية التي تعنى بالسّياسة، و مع ذلك، فعلماء السّياسة من جهة و علماء اللّغة و محلّوا الخطاب من جهة أخرى يركّزون على مظاهر مختلفة عند مناقشة العلاقة بين اللّغة و السّياسة؛ إضافة إلى ذلك، فإنّهم يطبّقون نظريّات و مناهج مختلفة، و إذا كان إهتمام علماء السّياسة يرتبط بشكل أكبر بنتائج القرارات و الأفعال السّياسية بالنّسبة إلى المجتمع، مع إمكانية الإهتمام بالوقائع/الحقائق السّياسية التي تتشكل في الخطاب و عبره، فإن علماء اللّغة يهتمّون دائماً و بشكل خاصّ بالبنى اللّغوية المستعملة للحصول على رسائل مناسبة سياسياً من أجل إنجاز وظيفة محدّدة.

لكن الأمر الغائب في الدّراسات التقليدية حول السّياسة هو الإنتباه إلى كون التصرّفات/السلوكيات في المستوى السّياسي العام، هي حالياً نوع من الفعل اللّغوي الذي هو الخطاب و بشكل مواز، فإنّ المؤسّسات في المستوى السّياسي العام هي نوع من الخطاب بمميّزات خاصّة، على سبيل المثال المداولات البرلمانية، و المقابلات الإذاعية، كما أنّ الدّساتير و القوانين هي أيضاً خطاب، لكنّها خطاب مكتوب أو نصّ من نوع دقيق جداً.

نتائج الدّراسة و التحليل :

خلصت هذه الدّراسة المتواضعة إلى إبراز جملة من النّتائج أهمّها :

1- أن اللّغة تلعب دوراً كبيراً في تشكيل ثقافة المجتمع السّياسية و خطابه السّياسي.

2- يشارك العامل البصري في رؤية الحركات و الإشارات و تفسير الحدث اللغوي، فهو يسهم في فهم الفكرة، لأنّ صوت ونغمة الخطاب السياسي بكلّ ما يعنيه، يساعد على توجيه المتلقي إلى أهدافه وإقناعه بها.

3- التكرار له دوره في تحقيق التوازن بين الجمل، حيث هناك علاقة قويّة بين الأداء اللغوي المنطوق والجمل المتوازنة. فالأداء اللغوي المنطوق يميل إلى أن يكون إيقاعياً بشكل ملحوظ، لأنّ الإيقاع من الناحية الفيسيولوجية يساعد على التذكّر، و لا تكون الكلمات إلاّ عبارة عن أصوات لا تؤدي إلى التحكّم في أنماط التعبير فقط، بل التحكّم في العمليات الفكرية أيضاً. ومن هنا تأتي الجمل متوازنة قابلة للحفظ والتذكّر السهل.

4- الخطاب المنطوق يستعمل مفردات غنيّة بالدلالات و لها علاقة بالواقع الخارجي السياسي، تعبّر عن إنطباعات الجمهور، وعن العلاقة بين المرسل والمتلقي وتنشئة الشعور بالإنتماء الحضاري، الثقافي والسياسي.

ومن الظواهر اللغوية التي سجّلها البحث أيضاً هي :

5- حضور الجمهور المباشر وإستماعه يؤثّر على نوعية الكلمات و التعبيرات والجمل التي يستخدمها المرسل لتؤدّي هدفه وتعزّزه، بالإضافة إلى الخلفية السياسية عن الموضوع التي تجعل الخطاب غنياً بالمضامين.

فمن المعلوم أن يتدخّل السياسي في الشأن اللغوي، لأنّ هذا الأمر ضروري لبناء نمط موحد وتقديم إستراتيجية مبنية على نفس القيم، لتفادي تفكيك الجماعة، وضبط الإيقاع الفردي الضامن لتماسك مكونات المجتمع.

وهذا من شأنه أن يسلط الضوء على أهميّة الإتصال السياسي الذي يعتمد على اللّغة التي تصبح خطاباً، إذ يتعامل الخطاب السياسي مع المشكلات الكبرى للحياة العامّة ويصفها ثم يدافع عنها. فاللّغة عامل أساسي في بناء الخطاب السياسي، ولأنّ مستويات اللّغة عندنا في الجزائر متفرّعة وبجميع التعابير، أي من الفصحى إلى التعبير باللّغة الأمازيغية أو الفرنسية أو الدارجة، فلقد أجمع علماء الأنثروبولوجيا على أن اللّغة جزء لا يتجزأ من حضارة الأمّة، كما أنّها عرضة للتبدّل نتيجة التراكم الضخم لتجارب الشعب.

فالخطاب السياسي، هو خطاب إجتماعي يرتبط بالمجتمع السياسي الذي يوجّه إليه، و يحمل قيمه، وتحليل الخطاب ينظر في علاقة المجتمع بالخطاب، وطريقة التواصل وأدواته. ومن هنا، فإن للغة أثر في الحياة السياسية في أعلى مستوياتها، والسؤال المطروح هنا، هو هل استطاعت المرأة الأفراد بخطاب خاص بها أم أن لغة الخطاب السياسي هي نفسها بين الرجل والمرأة؟

ربّما يستخدم الرجل و المرأة اللّغة نفسها في خطابهم السياسي لأنّها كثيراً ما تكون مربوطة بايديولوجية الحزب الذي ينتمون إليه، و لكن يختلف تفاعل الرجل السياسي عن المرأة السياسية في طريقة إلقاء الخطاب من خلال الألفاظ المستعملة و النبرات المرافقة لها فهدوء المرأة يكون جلياً أكثر من الرجل أثناء الإلقاء، و هذا يرجع إلى طبيعتها و صوتها المنخفض في العموم، كما تتسجم رغبتها في إيصال رسالتها مع إهتمام الحضور لمعرفة ما في جعبة هذه المرأة. وأما الألفاظ، فيتشابهان فيهما إلى حدّ بعيد، غير أن المرأة تميل في الكثير من الأحيان إلى إلزامية فعل الأمور باستخدامها ألفاظ مثل: " يجب"، " من الواجب"، " لا بدّ"، عند تطلّعها لتغيير وضع ما أو التماسها إستجابة لطلب ما أو حلّ مشكلة...، رغم إشتراكها مع الرجل في توظيف ألفاظ على شكل: " من الأرجح"، في الإقتراح، " يرجى" و " ينبغي" في توجيه أمر ما أو الأمل في حدوثه بطريقة ما.

كما تبدو المرأة أكثر إلزاماً في خطابها السياسي وتقيدّها بالموضوع، إلى هنا تتشابه في تصرفاتها مع الرجل، إلا أنّ الإختلاف يظهر في الكثير من الأحيان في عدم ميولها إلى النكت للتخفيف من التركيز الزائد و الإنضباطية أو مداعبة شعور الحاضرين، ربّما خوفاً من أن تخرج الأمور عن السيطرة أو خشية فقدان مصداقيتها أو حتى تلاشي ثقّتها بنفسها، خصوصاً إذا لم يستصغ الحضور رغبتها في تخفيف الضغط بتلك الطريقة، و قد يرجع هذا إلى عدم توقّع تصرف أو عبارات ما من شخص بعينه.

إنّ التعبير في السياسة يكون غالباً بالتلميح و الحث على فعل الأمور لا التشخيص، فمثل الرجل السياسي، المرأة تلتزم في خطابها السياسي بما يمليه توجّهها الإيديولوجي و القناعات السياسية المؤطرّة لحزبها في شتّى المجالات، فلا ريب في تشابه البعض مع البعض الآخر حتى يصبح إستنساخاً صريحاً في العديد من الأطياف السياسية.

فالمراد من الخطابات هو شكل و مضمون الكلمات المستعملة في الإلقاء من أجل تبيان ماهية الأمر المطروح للنقاش و الإحاطة بجلّ زواياه ليصل إلى المتلقي مفهوماً.

لذا نرى أن قوة الكلمات المنتقاة و تناغمها مع لبّ الموضوع، سوف يضيف على المرأة السياسية المخاطبة للحضور، هيبه و إحتراما دائماً، خاصة إذا كانت هذه المرأة السياسية تتصرف على طبيعتها، لا رغبة في التشبّه بالرجل و لا معادية لمن يريد طمس وجودها و تأثيرها في المشهد السياسي.

وأخيراً إستطاعت الدّراسة أن تفتح آفاقاً جديدةً للبحث في مثل هذه القضايا الرئيسية التي تعنى بالّلغة و إرتباطها الوثيق بالسياسة و بالتالي القضايا التي لها علاقة بالمنطوق اللّهجي و اللّسانيات.

التوصيات :

أمّا فيما يخصّ تفعيل المشاركة السياسية للمرأة و تطوير لهجتها السياسية و خطابها السياسي، خلصت الدّراسة إلى طرح بعض التوصيات و إقتراح جملة من الحلول يمكن تلخيصها فيما يلي :

- لكي نفهم على نحو جيّد مفهوم المشاركة السياسية، لا بدّ أن نشير أيضاً كما تشير عدّة دراسات و مرجعيّات تحليلية مختلفة إلى عدّة مقاربات؛ مقارنة النّوع الإجماعي وإشكاليته الأساسية التي تعتبر النّساء أوّل الضحايا للفقروالبطالة والأمية، وضعف المشاركة السياسية على العموم. و عليه يجب تقليل الفجوة النوعية بين الرجل والمرأة.

و هناك مقارنة التنمية التي تركز على ضرورة تفعيل المرأة مع الرجل في المنظومة التنموية و هذه المقاربة ترى أن الهدف الأساسي للتنمية هو الإقتصاد وبالتالي فهي تنظر إلى المشاركة السياسية للمرأة و الرجل على حدّ سواء في هذه الزاوية. و هنا يتمّ التّشديد على إنسانية الفرد و توجب له المساواة بغضّ النظر على النّوع.

وأمّا مقارنة حقوق الإنسان، فهي قائمة على إنسانية الفرد وحقّه في التمتع بكافة الضّمّانات المنصوص عليها في الشّريعة الدولية.

- لتعزيز الدور الريادي للمرأة و تمكينها من فرض نفسها سياسياً بخطاب قويّ و جريء، فعلى المرأة إدراك هويّتها النسوية و المواطنة السياسية في الوقت ذاته، و هذا يعني أن تنخرط في عمل مدني أو إجماعي و في عمل سياسي عام و أن تنضمّ النّساء في هذا الإطار إلى جانب الرجل من

أجل تغيير رؤية الرجل، وهو الأمر الذي سيمكّن التغيير على مستوى التفكير وعلى مستوى الأداء في القاعدة وأيضاً الأداء على المستوى العام.

- من الضروري أن تهتمّ المرأة السياسية بالشأن العام بالقدر نفسه الذي تعنى فيه بقضايا المرأة، فلا تحصر المرأة نفسها في الإهتمام بقضاياها، فهي في نهاية المطاف جزء من المجتمع و عليها أن تحدث تراكمات نوعياً في أدائها المتنوع و المتعدّد.

- أهمية التدريب حتى تصل النساء المؤهلات إلى المناصب القيادية وتكون قادرة على صياغة وإلقاء خطاب سياسي يعادل في قوة الطرح خطاب الرجل، إذا لم يفوقه لأنّ المرأة إلى جانب إعتناها بجميع الميادين، فهي تبرع في دفاعها عن المرأة و طرح الحلول المناسبة للمشاكل التي تواجهها.

- تحضير جيل من النساء قادرات على الحضور والتأثير من خلال لغة سياسية قويّة وبرنامج سياسي أقوى، فاللغة السياسية لا تتحقّق بألفاظها، بل بالمعلومات التي تنقلها و بالسياق الذي تتحقّق به عملية التواصل.

- يجب أن تعتمد اللغة السياسية على البلاغة بشكل كبير، لأنّ تأثيرها العاطفي يعود إلى أهميتها الثقافية على مرّ التاريخ الإنساني الطويل.

وختاماً، لا يمكننا إلا أن نقول أنّ الخطاب السياسي ليس كالخطابات الأخرى الدينية، الثقافية أو الأدبية، فلغته لغة تواصلية و هو يخلو من اللغة الإبداعية.

وهو سلطة مادية تملك القوة والقدرة وتتضمّن مخاطر ومخاوف وتحمل صراعات وما تسفر عنه من إنتصارات وهزائم، سلطة تعبّر عن الذات والمؤسسة على السواء.

وبما أنّ كلّ خطاب يلقي، هو حلقة واحدة في سلسلة محدّدة مسبقاً من الرسائل التي يهدف المستوى السياسي إيصالها للجماهير أو لهجات سياسية أخرى، فلا يمكن تحليل أيّ خطاب بشكل منفصل على السياق العام لمجريات الأحداث والظروف التي تمرّ بها الشخصية السياسية أو الحزب أو الدولة. فالخطابات وقت الحرب تختلف عنها وقت السلم، و خطابات الدعاية الانتخابية لا ينظر إليها بنفس عدسة الخطابات المصيرية أو المراسيمية، كما أنّه لفهم السياق والمتغيرات، لا بدّ من مقارنة خطابات الشخصية السياسية بأخرى سبقتها، وذلك لتحديد تأثير الزمن والظرف على أسلوب الكلام و التبرة والكلمات المستخدمة والعوامل البصرية الأخرى.

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم (برواية حفص)

1. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني، 1982.
2. ويكيبيديا الموسوعة الحرة ك التواصل بين الثقافات.
3. موسوعة التنمية البشرية.
4. المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لمطابع الأميرية بالقاهرة ، 1983.
5. عبد الرحمان بن محمد بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تحقيق الأستاذ درويش الجويدي، بيروت.
6. عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة.
7. البيان و التبيين للجاحظ ، الجزء الأول ، تحقيق عبد السلام محمد هارون.

I. باللغة العربية :

1. د. أحمد عبد السلام، "العولمة والثقافة اللغوية وتبعاتها للغة العربية"، الجامعة الإسلامية العالمية / ماليزيا، مجّع اللغة العربية الأردني.
2. أ. رفيق الوحسيني، "الأبعاد الرابطة بين اللغة العربية و التواصل".
3. أ. محمد أمين موسى، "العامل النفسي والإتصال في الحياة اليومية عبر الوسائل".
4. د. طارق عبد الرؤوف عامر، "الثقافة ... مفهومها، خصائصها وعناصرها" في التربية والثقافة عن الكاتب أمجد قاسم.
5. عبد الرزاق الداوي، في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات : حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات ، الطبعة الأولى، بيروت، 2013.
6. د. ناصر عارف، أستاذ مشارك، جامعة جورج تاون ، "الثقافة ، مفهوم ذاتي متحدد".
7. أ. عبد الله الحميدي ، "الكلام والكتابة بين اللغة والثقافة".
8. الدكتور إبراهيم الفقي، "البرمجة اللغوية العصبية وفن الإتصال اللامحدود"، الناشر، المركز الكندي للبرمجة اللغوية العصبية ، 2001.

9. د. فتحي علي يونس، "التواصل اللغوي و التعليم" ، 2009.
10. د. مصطفى العمراني ، " نظمة التواصل اللساني".
11. أ. محمد عودة ، "أساليب الإتصال و التعليم الإجتماعي" ، دراسة ميدانية في قرية
مصرية ، القاهرة ، دار المعارف ، 1971.
12. أ. زهير إحدادن، "مدخل لعلوم الإعلام و الإتصال ، الجزائر" ، ديوان المطبوعات
الجامعية ، 1991.
13. د. عادل صالح ، دكتوراه الإتصال السياسي، "مهارات الإتصال الفعّال"
14. جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، "المزهر في علوم اللغة و أنواعها"
دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1998.
15. علي عبد الواحد وافي، "علم اللغة".
16. د. كريم زكي حسام الدين، "اللغة و الثقافة، دراسة أنثرو لغوية لألفاظ و علاقات
القرباة في الثقافة العربية".
17. د. عبد الحميد لطفي، الأنثروبولوجيا الإجتماعية ، ط1 ، دار المعارف ، 1968.
18. أ. حسن سيد سليمان، "المدخل للعلوم السياسية"، دار جامعة إفريقيا العالمية
للطباعة، الخرطوم، 2010.
19. ناجي الغزي، "دور الإعلام في الإتصال السياسي وأثره على الجمهور"
20. حورية توفيق مجاهد، "الفكر السياسي من أفلاطون إلى محمد عبده".
21. محمد علي محمد، "أصول الإجتماع السياسي: السياسة و المجتمع في العالم الثالث".
22. نعمان بوقرة، "اللسانيات و إتجاهاتها وقضاياها الراهنة".
23. خليف الجراد، "علم السياسة و مقدماته اليونانية".
24. عبد السلام المسدي، "الفكر العربي بين لغة السياسة ، و سياسة اللغة".
25. عيسى عودة برهومة، "تمثلات اللغة في الخطاب السياسي" ، ضمن سلسلة عالم
الفكر.
26. أ. عبد الرحيم العماري، "نسق التواصل السياسي بالمغرب المعاصر"، 2005.
27. عهد ناصر الحبيب، "الخطابة السياسية و فن التواصل مع الجماهير" معهد
البحرين للتنمية السياسية ، 2013.

28. ميلود بلقاضي، "الخطاب السياسي بين السلطة و سلطة الخطاب" 2011.
29. الدكتور محمود عكاشة، "لغة الخطاب السياسي ، دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الإتصال"، ط 1 ، 2004.
30. د. ناصر صامد أبو زيد، "الخطاب والتأويل"، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، ط 3 ، 2008.
31. الزواوي بوغورة، "مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو".
32. سعيد يقطين، "تحليل الخطاب الروائي" المركز العربي الثقافي، 1988.
33. أ. عبد الرحيم الخلافي، "الخطاب و تحليل الخطاب".
34. عماد عبد اللطيف: "تحليل الخطاب السياسي في العالم العربي ، التاريخ و المناهج و الآفاق".

II. المترجمة :

1. ويل ديورانت ، Will Durant :
- "قصة الحضارة"، ترجمة زكي نجيب محمود، دار الجيل، مجلد الشرق الأدنى، الجزء 1 ، المجلد 1، بيروت، ط 1، 1988.
2. بنجمين لي وورف Benjamin Lee Whorf :
- "العلاقة بين التفكير و السلوك المعتاد في اللغة و الثقافة الشخصية".
3. صارة فريزر Sarah Fraser :
- "العلاقة بين اللغة و الفكر"، ترجمة الدكتور بشير الشاوش.
4. مارسيلو داسكال Marcelo Dascal :
- "الإتجاهات السيميولوجية المعاصرة" ، ترجمة فنون مبارك وآخرين، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1987.
5. مارشال ماكلوهان Marshall Mc Luhan :
- "كيف نفهم وسائل الإتصال"، ترجمة خليل صابات، النهضة العربية، 1975.
6. جيسلا جيسلر Gisela Geisler :
- "النساء وإعادة خلق السياسات في بلدان جنوب إفريقيا"، ترجمة الدكتورة عزة خليل، المركز القومي للترجمة.

.III باللغة الأجنبية :

1. Norbert Elias, « La civilisation des mœurs », paris, calmann levy, 1973.
2. Edward Sapir, « Language, an introduction to the study of speech », New York, 1921.
3. Claire Kramsch, « Language and culture », Oxford University press, U.S.A, 1998.
4. Dell Hymes, « Vers la compétence de la communication », 1984, collection « langues et apprentissage des langues », paris, Hatier crédif.
5. Eric Buysens, « La communication et l'articulation linguistique », revue belge de philosophie et d'histoire, 1969.
6. Roland Barthers, « Eléments de sémiologie en communication », 1964.
7. Winkin Yves, « Anthropologie de la communication, de la théorie au terrain », de Boeck université, Bruxelles, 1996.
8. Edward T.Hall, « le langage silencieux », 1959, titre en anglais, the silent language, traducteur Jean Mesrie et Barbara Niceall.
9. Lauring Jakob, « Intercultural Organizational Communication », the social organizing of interaction in international Encounters. Aarhus university, Denmark, 2011, journal of buisness communication.
10. Daniel Bounoux, « Introduction au sciences de la communication », collection Repères, Editeur, la découverte, 2001.
11. J.L.Austin, « How to things whith words », the william jannes lectures, delivered at Harvard university in 1955.
12. Dell Hymes, « The ethnography of communication », 1964.
13. « Political Women », language and leadership, edited by Michelle Lockhart and Kathleen Mollick.
14. Danielle Griswold, « The politics of speech : engendering the publics sphère », carnegic mellon university, 2007.

15. Jeanne Fradley, « The language of women in politics », the fword blog // october,2011.

16. « A woman in charge : the life of Hillary Redham Clinton », by Carl Bernestein, publisher,knopf doubleday, publishing group, 08/2008.

ثالثا / الدوريات و المقالات و مواقع الإنترنت :

I. الدوريات و المقالات :

1. أحمد أبو زيد، "حضارة اللغة"، مجلة عالم الفكر، المجلد الثاني، العدد الأول، 1971.
2. محمد هادي عفيفي، في أصول التربية، الأصول الثقافية للتربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1983.
3. الباحث علي عبد الحميد، "الثقافة، المفهوم، الخصائص، العلاقات"، شعبة إعداد معلّمي اللغة العربية لغير الناطقين بها، (2011-2012).
4. إبراهيم ناصر، "التربية و ثقافة المجتمع، تربية المجتمعات"، بيروت، دار الفرقان، مؤسسة الرسالة، 1983.
5. بيلر بول Baepler Paul "العبيد البيض، الأسياد الأفارقة"، حوليات الأكاديمية الأمريكية للعلوم السياسية و الإجتماعية.
6. عز الدين بن عثيمين، " اللغة و الثقافة"، الحوار المتمدن، العدد 2404، 2008/09/14.
7. "دراسة آليات اللغة و الثقافة"، منتدى السوافة، 2011/07/24.
8. عبد الهادي بوطالب، "الحقوق اللغوية": حق اللغة في الوجود و البقاء و التطور و الإنتماء، دار الكتاب، ط 1، 2003.
9. إبراهيم الفقي، "البرمجة اللغوية العصبية و فن الإتصال اللامحدود"، الناشر المركز الكندي للبرمجة اللغوية العصبية، 2001.
10. حسين فهيم، "الإتصال، مفاهيم، أساليب و أنواع" في فضيل دليو و آخرين : الإتصال في المؤسسة، فعاليات الملتقى الوطني الثاني، مؤسسة الزهراء للفنون المطبعية، قسنطينة، 2003.
11. محمد الجوهري و آخرون، علم الإجتماع و دراسة الإتصال الجماهيري، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، 1992.

12. فضيل دليو وآخرون، الإتصال في المؤسسة، منشورات مخبر علم الإجتماع والإتصال، قسنطينة ، مؤسسة الزهراء للفنون المطبعية بالخروب ، 2003.
13. زهير إحدادن، مدخل لعلوم الإعلام و الإتصال، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1991.
14. ناجي الغزي، "دور الإعلام في الإتصال السياسي وأثره على الجمهور" الحوار المتمدن.
15. أ. بلال دربال، "السياسة اللغوية المفهوم و الآلية"، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللغات والآداب، جامعة باتنة، مجلة المخبر، العدد 10.
16. باقر جاسم محمد، "الخطاب السياسي و اللغة العادية"، الحوار المتمدن.
17. حكيم بوغرارة، "ترقية الخطاب السياسي في الجزائر" نشر في الشعب يوم 2016/03/15.
18. د. تيرس سعاد - الجزائر، "المشاركة السياسية للمرأة بين الخطاب السياسي والواقع الملموس"، خاص بوكالة أخبار المرأة، الجزائر 2016/11/02.
19. بورغدة وحيدة، "المشاركة السياسية و التمكين السياسي للمرأة العربية: حالة الجزائر"، المجلة العربية للعلوم السياسية ، العدد 36، 2012.
20. "المشاركة السياسية للمرأة والوصول إلى موقع صنع القرار"، بيان صالح، الحوار المتمدن، العدد 483 ، 2006/03/08.

II. مواقع الأنترنت :

- www.alhewar.org/debat/show.art.asp
- www.almoqatel.com/openshare « culture »
- www.khayma.com/almoudaress/takafah
- www.dinalarab.com/spip.php2article16829
- www.alsouafa.ahlalmountada.com
- www.mijama.org.jo.index.php/2
- www.madaris.fr/philosophie
- www.ar.wikipedia.org
- www.wadilarab.com/7516-topic
- www.abahe.co.uk/human-development

رابعاً / الرسائل الجامعية و المذكرات :

1. " الخطاب السياسي الرسمي وتأثيره على المشاركة السياسية للطالب الجامعي"، أطروحة لنيل شهادة ماجستير في علم الاجتماع السياسي ، اعداد الطالب حمّو مصطفى، السنة الجامعية 2012-2013.
2. " المشاركة السياسية للمرأة الجزائرية في المجتمع المحلي، (وهران نموذجاً)"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، اعداد الطالبة حمداد صبيحة، السنة الجامعية 2015-2016.
3. "ترجمة المسكوت عنه في الخطاب السياسي"، بحث لنيل شهادة الماجستير في الترجمة، اعداد الطالبة آيت عبد الله حياة، جامعة وهران، السنة الجامعية 2014-2015.
4. "الخطاب السياسي الرسمي والمشاركة السياسية للمرأة في الجزائر(الطالبة الجامعية نموذجاً).، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه، اعداد الطالبة بقدوري حورية من جامعة وهران، تخصّص علم الاجتماع السياسي، السنة الجامعية 2018-2019.
5. "-اللغة العربية و سؤال التخطيط اللغوي في الجزائر"، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصّص لسانيات، اعداد الطالبة معافي خيرة، سنة 2015-2016.
6. "اللغة العربية و سؤال التخطيط اللغوي في الجزائر"، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصّص لسانيات. اعداد الطالبة معافي خيرة، جامعة وهران سنة 2015-2016.

.....	شكر وعرفان
.....	اهداء
.....	مقدمة عامة
.....	الفصل الأول : متلازمة اللغة و الثقافة
02.....	تمهيد
03.....	المبحث الأول : لمحة تاريخية
05.....	المبحث الثاني : مفهوم الثقافة
06.....	المبحث الثالث : طبيعة الثقافة
07.....	المطلب الأول : النمط الثقافية
11.....	المطلب الثاني : خصائص الثقافة
11.....	المطلب الثالث : جوانب الثقافة
13.....	المطلب الرابع : عناصر الثقافة
14.....	المطلب الخامس: تكامل الثقافة
28.....	المطلب السادس: فوائد الثقافة
32.....	خلاصة
.....	لفصل الثاني: اللغة كأداة للإتصال والتواصل الانساني
33.....	تمهيد
37.....	المبحث الأول : اللغة و إشكالية التواصل
38.....	المطلب الأول : الأبعاد الرابطة بين اللغة و التواصل
53.....	المطلب الثاني : اللغة و التواصل
55.....	المبحث الثاني : دور المتلقي في تفعيل العملية التواصلية
58.....	المطلب الأول : التواصل و التلقي

- 81.....المطلب الثاني : التواصل بين الثقافات
- أولًا : مفهوم الإتصال
- ثانيًا : عناصر عملية الإتصال
- ثالثًا : أهداف الاتصال و آثاره
- 85.....المطلب الثالث : التواصل و الإتصال السياسي
- 88.....الخلاصة
- الفصل الثالث : السياسة و سلطة اللّغة
- 92.....تمهيد
- 94.....المبحث الأول : السياسة اللغوية مفهومها و آلياتها
- 95.....المطلب الأول : مصطلح السياسة
- 95.....المطلب الثاني : مصطلح اللغة
- 96.....المطلب الثالث : مصطلح السياسة اللغوية في اللسانيات الإجتماعية
- 97.....المبحث الثاني : الثقافة والسياسة ، تجليات العلاقات وأنماطها
- 98.....المطلب الأول : العلاقة بين المعرفة والواقع
- 100.....المطلب الثاني : العلاقة بين النظر والعمل
- 100.....المطلب الثالث : العلاقة بين المعرفة والقوة
- 102.....المطلب الرابع : العلاقة بين القيم والمصلحة
- 103.....المبحث الثالث : اللغة السياسة وسياسة اللغة
- 106.....المطلب الأول : سلطة اللغة
- 108.....المطلب الثاني : اللغة السياسية
- 111.....المطلب الثالث : الخطاب السياسي و اللغة العادية
- 112.....المطلب الرابع : لغة الساسة
- 113.....المبحث الرابع : الخطاب السياسي
- 115.....المطلب الأول : الهوية البلاغية للخطاب السياسي
- 118.....المطلب الثاني : الغرض من الخطاب السياسي
- 121.....المطلب الثالث : وظيفة الخطاب السياسي و فن التواصل مع الجماهير

- المطلب الرابع : الخطاب السياسي و أثره في تحريك الشعوب.....124
- المطلب الخامس :ثمانية من أعظم الخطابات السياسية في التاريخ الحديث.....129
- المطلب السادس :علاقة الخطاب السياسي بالسلطة.....131
- المبحث الخامس : الخطاب السياسي في علم اللسانيات.....133
- المطلب الأول : تحليل الخطاب السياسي.....137
- المطلب الثاني: أهمية الخطاب في معالجة القضايا السياسية و الاجتماعية.....140
- الخلاصة.....148
- الفصل الرابع : الخطاب السياسي في الجزائر.....
- تمهيد.....152
- المبحث الأول : الإنفتاح السياسي.....155
- المطلب الأول : الأحزاب السياسية.....155
- المطلب الثاني : الأحزاب السياسية داخل الحقل السياسي.....157
- المطلب الثالث : وظائف الأحزاب السياسية.....161
- أولا : وظيفة الوسيط المعبر عن الارادة الشعبية.....
- ثانيا وظيفة تكوين الرأي العام و هيكله الاقتراع.....
- ثالثا : وظيفة تكوين و اختيار النخبة السياسية.....
- رابعا : وظيفة تنظيم المعارضة.....
- المبحث الثاني : آليات الإنتقال إلى التعددية السياسية في الجزائر.....165
- المطلب الأول : السلوك الإنتخابي.....166
- المطلب الثاني : الوضع الحزبي و مستقبله في الجزائر.....168
- المطلب الثالث : القيادة السياسية كأحد مداخل تحليل النظم السياسية.....169
- المبحث الثالث : الأحزاب السياسية في الجزائر و دورها في خلق ثقافة سياسية...177
- المطلب الأول : المشاركة السياسية.....177
- المطلب الثاني : التحول الديمقراطي في الجزائر بين التحدي و الطموح.....180
- المطلب الثالث : دور الأحزاب السياسية في التعبير.....181
- المبحث الرابع : المرأة و المسار الديمقراطي في الجزائر.....182

- المطلب الأول : أهمية المشاركة السياسية للمرأة.....187
- المطلب الثاني : التمثيل السياسي للمرأة الجزائرية في المجالس المنتخبة.....193
- أولا : المشاركة السياسية
- ثانيا : المرأة الجزائرية من النضال المسلح إلى الممارسة السياسية.
- ثالثا : الحقوق السياسية للمرأة في الجزائر بين الإتفاقيات الدولية و النصوص الدستورية.
- الخلاصة.....203
- الفصل الخامس: دور اللغة والثقافة في الخطاب السياسي الأنثوي.....
- تمهيد207
- المبحث الأول : المشاركة السياسية للمرأة الجزائرية، رؤية سوسولوجية.....209
- المطلب الأول : المرأة و السياسة.....215
- المطلب الثاني : التمكين السياسي للمرأة.....217
- المطلب الثالث : الدفاع عن الحقوق النسائية في التجربة النيابية للمرأة البرلمانية الجزائرية
- 219.....
- المطلب الرابع : قصص نجاح سيدات وسياسيات.....220
- المبحث الثاني : جزائريات قدن أحزابهن في الإنتخابات البرلمانية.....224
- المطلب الأول : نبذة عن حياة لويزة حنون، زعيمة حزب العمال.....225
- المبحث الثالث : كيفية التواصل السياسي من خلال الخطاب.....229
- المطلب الأول : الخطاب السياسي عند المرأة.....235
- المطلب الثاني : خصائص الخطاب السياسي عند المرأة.....236
- أولا : الاندفاع
- ثانيا : الدفاع
- ثالثا : الكلمات
- المطلب الثالث : عوائق بناء خطاب سياسي خاص بالمرأة.....237
- الخلاصة.....239

Résumé de la thèse : La langue et la culture sont des questions importantes qui mobilisent une grande partie de la pensée des professionnels et même des gens ordinaires, deux facteurs qui affectent directement l'esprit humain, l'identité et la personnalité qui lui sont inhérents tout au long de sa vie. La langue est la première expression expressionniste dans laquelle une personne exprime ce qu'elle traverse, une personne peut expliquer aux autres l'excellence culturelle de sa nation et de son peuple. La langue et la culture sont les éléments les plus importants qui déterminent la personnalité de l'individu et de la communauté et contribuent à la direction de la pensée chez l'homme. Sur cette base, le sujet de la langue et sa relation avec la politique est une question importante et intéressante dans l'étude et la recherche, d'autant plus que le discours politique joue un rôle important dans la persuasion des électeurs dans un système multipartite. La relation du discours à la pratique politique nécessite deux aspects de l'analyse: analyser les différents processus de la critique dans un domaine particulier du discours et, d'autre part, définir l'éventail des sujets que le discours tente de montrer dans l'exercice d'une politique particulière. La langue et le langage de la politique sont des moyens qui véhiculent et portent les idées et atteignent les objectifs souhaités, à travers lesquels la mobilisation se produit pour provoquer des changements dans les domaines politique, économique, social et culturel. La présence des femmes dans la vie publique étant devenue l'un des principaux piliers du changement social, économique et même politique. Elle a non seulement prouvé son existence dans tous les domaines, mais elle est également apparue sur la scène politique malgré les multiples obstacles rencontrés, surtout quand il s'agit de diriger un discours politique à la catégorie masculine

Les mots clés: Culture - Langue - Dialecte - Discours politique - Femme

Summary of the thesis :

Language and culture are important issues that mobilize much of thinking of professionals and even ordinary people. Two factors that directly affect human mind: the identity and personality inherent in throughout its life. Language is the first expression in which a person expresses what he or she is going through, someone can explain to others the cultural excellence of their nation and people. Language and culture are the most important elements that determine the personality of the individual and the community and contribute to the direction of human thoughts. On this basis; the subject of language and its relation to politics is an important and interesting issue in study and research, especially since the political discourse play important role in persuading voters in multi-party system. The relationship of discourse to political practice requires two aspects of analyses: analyzing the different process of criticism in a particular area of discourse and on the other hand, defining the range of topics that discourse attempts to show in the exercise of a particular policy. The language of politics are means that convey and carry ideas and achieve the desired goals, through which mobilization occurs to bring about changes in the political, economic, social and cultural spheres . The presence of women in public life has become one of the main pillars of social, economic and even political change. She has not only proven her existence in all areas, but she has also appeared on the political scene despite the many obstacles encountered, especially when it comes to leading a political speech to the male category.

Key words: Culture-Language-Dialect-Political discours- Woman.

ملخص الأطروحة

تعتبر كلاً من اللغة والثقافة من الأمور المهمة التي تأخذ حيزاً كبيراً من تفكير المختصين وحتى الناس العاديين، فهما معاً يعتبران من الأمور التي تؤثر بشكل مباشر في تفكير الإنسان وهويته وشخصيته التي تبقى ملازمة له طيلة حياته. كما أن اللغة هي الوسيلة التعبيرية الأولى التي يعبر فيها الإنسان عما يجول في خاطره، فيها يمكن للإنسان أن يشرح للأخرين وجوه التميز الثقافي لدى أمته وشعبه. فاللغة والثقافة هما من أهم الأمور التي تحدد شخصية الفرد والجماعة وتساهم في توجيه التفكير لدى الإنسان. وعلى هذا الأساس، يعتبر موضوع اللغة وعلاقتها بالسياسة من القضايا المهمة والشيقة في الدراسة والبحث، خاصة وأن الخطاب السياسي أصبح يلعب دوراً مهماً لإقناع الناخبين في ظل التعددية الحزبية وعلاقة الخطاب بالممارسة السياسية، يتطلب جانبيين من التحليل، ضرورة تحليل مختلف العمليات النقدية التي يقوم بها الخطاب في ميدان خطابي معين من جهة ومن جهة أخرى تعيين مجال الموضوعات التي يحاول الخطاب إظهارها أثناء ممارسة سياسة معينة. إن اللغة هي لسان السياسة والوسيلة التي تنتقل وتحمّل أفكارها وتحقق أهدافها المنشودة، فمن خلالها تحدث التعبئة لإحداث التغيير في الأوضاع السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية. وبما أن تواجد المرأة في الحياة العامة أصبح يمثل أحد أهم ركائز التغيير الإجتماعي والإقتصادي وحتى السياسي، فهي لم تكف بمجرد إثبات وجودها في كافة المجالات، ولكنها ظهرت أيضاً في المجال السياسي وفي الحياة السياسية بالرغم من المعوقات المتعددة التي تواجهها، خاصة عندما يتعلّق الأمر بتوجيه خطاب سياسي للفئة الذكورية.

الكلمات المفتاحية : الثقافة - اللغوية - النّهجة - الخطاب السياسي - المرأة .